جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية
قسم البلاغة والنقد

التشبيه والاستعارة
بين
الإفراد والتركيب

رسالة لنيل درجة الماجستير

إشراف الأستاذ الدكتور
محمد عبد الرحمن الكردى

إعداد
محمد الأمين الخضرى
المعيد بكلية اللغة العربية

ذو القعدة ١٣٩٩ هـ — أكتوبر ١٩٧٩ م

إهـــــداء

إلى النبعـــين المتدفقـــين بالحب والوفاء

إلى اليـــدين الضارعتين بالأمـــل والرجاء

إلى أمي وزوجتي

إهدي ثمار كفاحهما

بسم الله الرحمن الرحـــــيم

هذا البحث

الحمد لله الذى أعز العرب بالاسلام • وشرف لغتهم بالقرآن وأيد رسوله بنا صـــع الحجة ورفيع البيان • والصلاة والسلام على من فتح بجوامع كلمة قلوبا غلفـــــا وأسمع بسحر بيانه آذانا صما وهدى بحكمته من كان فى ضلال مبين •

وبعـــد

فقد كان وراء اهتمامى بموضوع الافراد والتركيب فى التشبيه والاستعارة عـــدة أســـباب :

أولا : أن امام البيان عبد القاهر الجرجانى أفرد فى كتابه " اسرار البلاغـــة " فصولا مطولة استغرقت معظم صفحاته للحديث عن الافراد والتركيب فـــى التشبيه والتمثيل • ووقف طويلا أمام النماذج المركبة تشبيها واستعـــارة يوازن بينها • ويكشف دقائق التفصيل فيها ويستجلى أسرارها ويبـــين أسباب تأثيرها فى النفوس وامتلاكها لمجامع القلوب حتى أحسست وكـــأن الكتاب لم يؤلف الا لهذا الغرض •

وصنيع كهذا من شيخ البيان لابد أن يسترعى الانتباه ويغرى بالبحـث عن سر اهتمامه بهذا الحديث وتأصيل مباحثه بما يكشف عن سبقـــــة أو متابعته لغيره •

ثانيا : أن التمثيل هو الفن الذى تقاس به قدرة الأديب وبراعته فى التصويـــــر • احتفلت به سور القرآن الكريم وسمقت به جوامع كلم النبى العظيم وهـــو يتوقف فى تحديد مفهومه والتمييز بينه وبين التشبيهات على مبحث الافـراد والتركيب مما تفاوتت فيه آراء البيانيين وتعددت مذاهبهم •

ثالثا : أن الاستعارة التمثيلية وأمثال العرب التى تمثل كنوز البيان فى لغتهـــم وتكشف عن براعتهم فى القدرة على التصوير والايجاز يتوقف مفهومها أيضا على مبحث الافراد والتركيب فى طرفيها مما دعا الى الخلاف فى الرأى وأدى الى معارك عديدة خاصة بين السعد والسيد وأنصار كل منهما •

رابعا : جعل الخطيب من أقسام التشبيه نوعا يسمى المقيد فصله عن المركب و الحقه بالمفرد فأثار بذلك جدلا حول الفرق بين التقييد والتركيب مما تطلـــــب البحث عن نشأة التقييد وتطوره والفرق بين المركب والمقيد •

لهذه الأسباب أصبح — في نظري — للافراد والتركيب أهمية بالغـــة نظرا لتعلقه بأهم مباحث علم البيان من تشبيه واستعارة وتمثيل وتوقف موضوعاتهـــا عليه في فهمها وتحديد مصطلحاتها •

وبالرغم من هذه الأهمية فانه لم يعالج في دراسة مستقلة وتناول نشأتـــــه وتطوره وأثره في الأبحاث البيانية ودوره في تحديد مصطلحاتها اللهم الا اشـــارات أو أحكاما تساق في بعض المواطن من الدراسات التي تناول فيها الباحثون مسائـــل علم البيان من تشبيه واستعارة وكناية •

لذلك اخذت على عاتقي التصدي لهذا الموضوع بما يكشف عن جذوره البعيـــدة ويحدد اطواره في مراحله المختلفة منذ أن كانت اشارات نقدية سريعة حتى استقـــر لدى المتأخرين في حدود واقســـام •

وقد صحب هذه الدراسة التاريخية دراسة فنية تكشف عن الحدود والمصطلحـات وتبرز اسهام العلماء في العصور المختلفة ودورهم تقليدا أو تجديدا والموازنـــــة بينهم من حيث الفكرة او طريقة عرضها والتدخل في المعارك التي تنشأ بينهـــــم بما يكشف عن موطن الخلاف وابعاده ونتائجه •

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وبابين وخاتمـــــة •

تناولت في المقدمة بداية الحديث عن الافراد والتركيب والتعدد في التشـــبيه والاستعارة وأثبت من خلال النصوص انها كانت بداية مبكرة امتدت جذورهـــا الى العصر الجاهلي حيث اشار امرؤ القيس الى كيفية انتزاع الصور المركبة مـــن التشبيه المركب الطرفين كما أثبت أن العصر الاسلامي عرفت فيه صور التمثيل بنوعيـــه التشبيه التمثيلي والاستعارة التمثيلية تحت اسم المثل ، والمح العلماء والمفسرون الى تركيب طرفيه مما يؤكد بطلان ما ذهب اليه البعض من أن مباحث التشبيه لـــم تعرف الا على أيدي اللغويين والنحاة في العصرين الاموي والعباسي •

وفى الباب الأول عرضت عرضا تاريخيا نقديا تحليليا لفكرة الافراد والتركيب فى التشبيه والاستعارة منذ أن بدأت الملاحظات الجزئية تأخذ طريقها الى التسجيل فى آثار مكتوبة حتى عهد القاهر الجرجانى • وبدأت بالقرن الثانى الهجرى فعرضت لثلاثة من أئمة اللغة والبيان وهم سيبويه وابو عبيدة والفراء ، كشفت عن جهدهم وبسطت الحديث عن أبى عبيدة من خلال كتابه " النقائض " بوجه خاص نظرا لأنه لم ينل حظه الكافى من الدراسة •

ثم انتقلت الى القرن الثالث فكشفت عن اسهام خمسة أعلام كان لهم دورهم البارز فى تطور هذا البحث وهم الجاحظ وابن قتيبة والاشناندانى والمبرد وثعلب ووجدت لهذا القرن حصيلة مرضية كان أهمها الكشف عن كتابين لم تصل اليهما أبحاث البلاغيين بعد ، وهما المعانى الكبير لابن قتيبة ومعانى الشعر للأشناندانى وهما على جانب كبير من الأهمية فى تاريخ البلاغة وتطورها •

وفى القرن الرابع الهجرى التقيت بابن طباطبا وقدامة وابن وهب والرمانى وابى هلال وابن فارس والباقلانى ، وتبينت من جهود هذا القرن أن ثمة اتجاها جديدا بدأ يظهر على يد قدامة يميل الى التحديد والضبط والتمييز بين المصطلحات مما كان له أثره فى موضوع البحث كما أن هذا القرن تمخض عن ظهور مصطلحى الاطلاق والتقييد واستقلالهما فى دراسة خاصة لدى ابن فارس •

وفى القرن الخامس كشفت عن جهد ابن رشيق الذى يكاد يكون محصورا فى جمع آراء السابقين واستقصائها كما تعرضت لجهد ابن سنان الخفاجى الذى عاصر كلا من ابن رشيق وعبد القاهر •

والباب الثانى جعلت عنوانه الافراد والتركيب لدى عبد القاهر والمتأخرين وقسمته الى ثلاثة فصول • :

الفصل الاول : خصصته للحديث عن الافراد والتركيب فى التشبيه وكان ذلك ضروريا بعد أن استقل مصطلح التشبيه عن التمثيل والاستعارة ويشمل الفصل خمسة مباحث :

الأول يتناول جهود عبد القاهر ، والثانى يكشف عن جهود لم تتأثر بعبد القاهر

من خلال أربعة أعلام وهم ابن الأثير ، والتنوخي والعلوي ، وابن قيم الجوزيـــــه ، والثالث يتناول جهود ! سارت على خطا الامام عبد القاهر وكان تأثيره فيها ظاهـــرا ولكنها سارت في اتجاهين أحدهما يميل الى الناحية التطبيقية ، ويمثلها الزمخشـــري والثاني حاول حصر أبحاث عبد القاهر وتبويبها ، وقد بدأت بالـــرازي وانتهيـــت بمدرسة الخطيب وأعني بها مجموعة الشروح والحواشي التي وقفت عند أبحاث الخطيب وتناولتها بالشرح والتفصيل ، والمبحث الرابع يتناول نشأة التقييد وتطوره ، واستقلاله عن التركيب لدى الخطيب وتابعيه ، والخامس وازنت فيه بين منهج عبد القاهـــر في تناوله للتركيب والتقييد وبين المنهج التقعيدي الذي سار عليه السكاكـــــي والخطيب وغيرهما .

والفصل الثاني : خصصته للتمثيل وبيان المذاهب المختلفة في افراده وتركيبه ، وأثبت أن هناك ستة مذاهب في التمثيل وليست أربعة كما عرف لدى الباحثين وقـــد وضحت كل مذهب بما يكشف عنه ويميزه عن غيره .

والفصل الثالث : عرضت فيه للآراء البارزة حول تركيب الاستعارة التمثيلية من خـــلال عبد القاهر ، والزمخشري ، والسكاكي والخطيب ، كما عرضت للمعركة التي نشـــبت بين السعد والسيد حول اجتماع التبعية والتمثيلية وأنهت المناظرة التي أقيمت بينهمـــا وحاولت البحث عن جذور الخلاف وحقيقته وأسهمت بالرأي كلما استدعى الأمر ذلك .

وفي الخاتمـــة : أثبت النتائج التي توصلت اليها من خلال هذه الدراســـــة .

وبعد ، فقد حاولت أن تأتي دراستي على الصورة التي ينشدها القـــــارئ وبذلت في ذلك من الجهد ما استطعت فان كنت قد وفقت في فذلك فضل اللـــه يؤتيه من يشاء وان تكن الأخرى فعسى ألا أحرم أجر المجتهدين .

وأخيرا فانني اتقدم بجزيل الشكر والتقدير لأستاذي الجليل فضيلة الاســـــتاذ الدكتور محمد عبد الرحمن الكردي الذي ـ أشهد الله ـ أنه لم يدخر جهـــــدا في توجيهي وارشادي ولم يضق صدره بالساعات الطوال التي كنت أقتطعها من وقتـــه ليلا ونهارا في تخطيط هذه الرسالة أو تنفيذها فما كان فيها من شيء يرضي القـــارئ فله والله ، وجزاه الله عني وعن طلاب العلم خير الجزاء .

تحريرا في { ٢٣ من ذي القعدة ١٣٩٩ هـ
{ ١٤ من اكتوبـــــــر ١٩٧٩ م

تمهيـــــد

يخطئ كل الخطأ من يعتقد أن الصور البلاغية ومصطلحاتها وليدة عصر من العصور أو نتاج جهل واحد من علماء اللغة والأدب . فالحق الذى تؤيده طبائع الأشياء وتقـــره حقائق العلم أن البلاغة العربية ومصطلحاتها بدأت بداية مبكرة وتطورت مع تطور البيـــان العربى ، وشارك فيها أجيال متعددة منذ العصر الجاهلى .

والقول بأن اللغويين فى العصر الأموى وأوائل العصر العباسى هم الذين لاحظـــوا بعض هذه المصطلحات كما يذهب الى ذلك أحد الباحثين (١) فى حاجة الى روية وإعادة نظر .

فهذا شاعر العربية فى العصر الجاهلى " امرؤ القيس " الذى أثر علماء اللغة والبيـان بتفوقه وبراعته فى التشبيه يكشف لنا عن فهمه الواضح للصورة التشبيهية وأبعادها المختلفة وما فى طرفى التشبيه من تركيب اكتسبت به الصورة دقة وتفصيلا وأضفى عليها مزيدا مـــن الحسن والجمال .

فقد جاء فى " التاج " تعليقا على قول امرئ القيس :

نطعنهم سلكى ومخلوجة ... كرك لأمين على نابـــــــل

" سئل أبو عمرو بن العلاء عن تفسير معنى قول امرئ القيس هذا فقال :

ذهب من كان يحسن تفسير هذا البيت منذ ثلاثين سنه ويجوز أن يكون قـــد أراد رؤبة . فان رؤبة قال : حدثنى ابى عن عمته وكانت فى بنى دارم قالت سألت أمرأ القيس عن هذا البيت فقال مررت بهابل برجل يبرى السهام ويريش وصاحبه يناوله لوما وظهـــارا فما رأيت شيئا قط أحسن منه فشبهت الطعن بذلك " (٢)

وهذه الرواية شاهدة بأن المبدع فى العصر الجاهلى كان واعيا لفنه التصويرى مدركا لمواد صورته وأشكالها . فامرؤ القيس حين رأى رجلا يبرى السهام ويريشها وآخر يناولـــه سهمين فيقعان فى يده احدهما مستو مستقيم والآخر منحرف رسخت فى أعماقه هذه الهيئة المركبة لتظهر فى هيئة أخرى شاهدها فى طعنه لأعدائه طعنا سريعا فتأتى الطعنـــة تارة مستقيمة وتارة منحرفة ويتدخل عنصر السرعة ليكون من الطعنتين هيئة تشبه هيئـــة السهمين وهذا هو التشبيه المركب أو التشبيه التمثيلى كما اصطلح عليه المتأخرون .

---

(١) الصورة الفنية عند أبى تمام صـ ٢٥

(٢) تاج العروس ٧ / ١٤٤

ولست أرى فارقا كبيرا بين توضيح امرئ القيس لصورة التشبيه فى بيته هذا وبين تفسير علماء اللغة له . فهذا صاحب " التنبيه " يروى عن بعضهم قوله ((أراد أنه يرد السهمين على صاحب سهام فدفعهما اليه لينظر اليهما فاذا القاهما اليه لم يقعا جميعا مستويين على جهة واحدة ولكن أحدهما يموج والآخر يستوى فشبه جهتى الطعن بجهتى هذين السهمين فذهب من هذا التفسير الى أن يخبر عن شكل الطعنتين المستويتين منهما والمنحرفة (١) وبذلك لا يكون امرؤ القيس حين يتفوق على نظرائه من الشعراء بدقة تشبيهاته وكثرتها وحين يشهد له الجميع بالتفرد فيها لا يكون الا مبدعا أتقن فنه وأحسن استخدام كل أدواته مما دفع عمرو بن العلاء الى القول بأن الشعر افتتح بامرئ القيس واختتم بذى الرمة .

وقد عرف العصر الجاهلى مذهبا فنيا يعتمد على التجويد والتنقيح ويقوم على التفصيل الدقيق والاستقصاء التام فى عرض الصور البلاغية تزعمه احد اساطين الشعر فى الجاهلية وهو زهير بن ابى سلمى وامتد هذا الاتجاه الى العصر الاسلامى .

يقول الدكتور شوقى ضيف " وتلاحظ اختلاف الطريقة البيانية عند امرئ القيس وعند زهير فصور امرئ القيس تعتمد على تراكم التشبيهات أما زهير فانه يعنى بتفصيل الصور والتشبيهات فيستوفى اجزاء الصورة وأجزاء التشبيه ويفصل ما يأتى به تفصيلا دقيقا (٢)

والاتجاه الذى سار عليه عبيد الشعر من العناية بالتفاصيل الدقيقة لصورهم يتطلب بالضرورة كثيرا من الصبر والمراجعة وادامة النظر فى الخيوط الرفيعة التى تصنع نسيج هذه الصور مما يجعلهم ينفقون حولا كاملا فى اخراج قصيدة واحدة وليس ذلك الا من أجل أن تخرج صورهم دقيقة محكمة التفاصيل متلائمة الأطراف صائبة التشبيه لأن هذا هو مكمن الصعوبة فى الابداع الفنى . ولا يعقل أن يظل الشاعر سنة كاملة ينقح قصيدته من أجل استبدال كلمة بكلمة أو عبارة بعبارة فان الشأن فى ذلك ألا يستغرق هذا الزمن الطويل خاصة مع من يملكون زمام اللغة وتنقاد لهم مفرداتها .

ويؤكد — مدى اهتمام المبدعين بالصور الفنية — ما روى عن جرير أنه حين استمع الى عدى بن الرقاع ينشد عبد الملك بن مروان قوله " وزجى أغن كأن أبرة روقه " أشفق عليه فلما قال ((قام أصاب من الدواة مدادها)) استحال الاشفاق حسدا وليس ذلك الا ندرة التشبيه ودقة التفصيل فيه فهو لم ينظر الى الروق اجمالا وانما فصله

---

(١) التنبيه فى حدوث التصحيف صـ ٣٣

(٢) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى صـ ٣٠

وركز على جزء معين فى نهايته يتميز بشكل ولون خاص ثم تطلب له شبهاً توقع عليه بعد معاناة وجهد — فى القلم لا بجملته ولكن فى الطرف منه وفى حالة خاصة بعد أن يتلون بلون المداد .

وقد أحدث القرآن الكريم ثورة هائلة فى تطور البيان العربى بما صحبه من دراسات وما أسفرت عنه من ملاحظات بيانية كان لها أثرها الكبير فى تاريخ البلاغة العربية حيث كان النقاد يتجهون الى النص القرآنى باعتباره المثل الأعلى لبلاغة العرب يقيسون عليها آثار العرب شعراً ونثراً وان كانت وسائل الدراسة للصورة البلاغية لا تختلف فى القرآن الكريم عنها فى اشعار العرب أو نثرهم .

فمقاييس العرب البلاغية والنقدية التى كانوا يقومون بها النص الأدبى ويكشفون بها عن أسرار الجمال فى الصورة هى نفسها المقاييس التى أثبتوا بها اعجاز القرآن الكريم وكشفوا بها عن الابداع فى صوره . وليس أدل على ذلك من أن المصطلحات البلاغية التى وردت على ألسنة النقاد والعلماء عند تناولهم للنماذج الأدبية جاءت على لسان ابن عباس الذى كان يفسر القرآن الكريم بأشعار العرب . فقد روى الطبرى أن عمر بن الخطاب توقف أمام قوله تعالى ((أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل واعناب تجرى من تحتها الأنهار وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فأحترقت)) فيجيبه ابن عباس ((هذا مثل ضربه الله للانسان يعمل عملا صالحا حتى اذا كان عند آخر عمره احوج ما يكون اليه عمل عمل السوء)) (١) .

فالآية استعارة تمثيلية كشف ابن عباس عن طرفيها وأفاض فى بيان هيئة المشبه المحذوف بما يفصح عن تركيبه كما أن المشبه به المذكور فى الآية واضح التركيب واطلاق ابن عباس اسم المثل على هذه الصورة التى يسميها المتأخرون " الاستعارة التمثيلية " ليس بعيداً فان " المثل " يطلق الآن عليها اذا نشأ استعمالها .

وهذا دليل ناطق بأن الصورة البلاغية كانت واضحة فى ذهن المبدع والناقد فى العصر الجاهلى والعصر الاسلامى بل وكانت بعض هذه المصطلحات معروفة لديهم بما نعرفه نحن الآن وان كانت طبيعة هذه الفترات من الزمن تميل الى الايجاز والاكتفاء بالتلمحة الدالة دون اللجوء الى الشرح والتفصيل مما جعل هذه الوقفات البلاغية أمام النص الأدبى قصيرة سريعة بالاضافة الى ما استطاع الزمن أن يمحوه من ذاكرة قوم يعتمدون على الحفظ والمشافهة دون التسجيل والتدوين .

---

(١) تفسير الطبرى ٥ / ٥٤٥

وأستطيع القول بأن أيا من اللغويين أمثال ابى عمرو بن العلاء والاصمعى وسيبويه وأبى عبيدة حين ترد على السنتهم أو فى كتبهم ألفاظ الاستعارة والتشبيهة وغيرهما من المصطلحات البلاغية لا يكون من حقنا أن ننسب الى واحد منهم اختراعا لهذا المصطلح أو ذاك كما لا يصح لنا بأمانة العلم أن نقول انه أول من عرف الاستعارة أو عرف التشبيه • وكثيرا ما دفعت مثل هذه الأحكام المتعجلة باصحابها الى زلل البحث بعد أن يكتشف غيرهم أن هناك من سبق الى هذه التسمية أو ذلك المصطلح ودليلنا على ذلك :

١ ــ أن المؤرخين للبلاغة العربية يكادون يجمعون على أن مصطلح التشبيهة لم يرد قبل القرن الثانى أو الأول للهجرة على أكثر تقدير مع أننا رأينا منذ قليل أن امرأ القيس فى العصر الجاهلى تحدث عن التشبيه بل وعن طرفيه بما ينم عن ادراك كامل لملامح هذه الصورة •

٢ ــ أن ابن عباس حينما تحدث عن المثل فى القرآن أو (الاستعارة التمثيلية) ووضح طرفى المثل فيه مع ما عرف عن ابن عباس من حبه للشعر وذهابه الى تفسير القرآن بأشعار العرب يعطينا دليلا على أن مثل هذا المصطلح كان معروفا لدى دارسى الشعر فى هذه الفترة •

٣ ــ أن أبا عمرو بن العلاء والأصمعى وغيرهما من اللغويين فى هذا العصر كانوا معروفين بمحافظتهم الشديدة ورفضهم لكل ما هو جديد وكانوا يأخذون الشعراء بمذهبهم هذا فينعون عليهم كل خروج عن التقاليد الموروثة تعبيرا أو تصويرا فكيف ينسب اليهم أنهم استحدثوا هذه المصطلحات مثلما ننسب الى ابى عمرو أنه أول من صرح بلفظ الاستعارة ؟

وكيف سكت معاصروه من المحافظين عن معارضته او حتى عن طلب تفسير وشرح لهذا المصطلح الجديد ؟

ذلك بالطبع يقودنا الى حقيقة لابد منها وهى أن هذه المصطلحات ليست وليدة أبحاث اللغويين فى هذا العصر •

٤ ــ اذا صح أن السبب الذى كتب من أجله ابو عبيدة " مجاز القرآن " هو الجدل الذى دار حول قوله تعالى " طلعها كأنه رؤوس الشياطين " فان ذلك يدل على نضج فى فهم الصورة البيانية لدى علماء هذا العصر لأن ما دار من نقاش حول التصوير فى الآية لم يكن فى طبيعة التشبيهة او ما شابهه وانما دار حول جواز

تشبيه المعلوم بالمجهول وانكار المعنى لذلك وهذا بالطبع طور من دراسة الصورة التشبيهية لابد أن تسبقه اطوار فى بحث المشبه والمشبه به ووجه الشبه والغرض من التشبيه قبل البحث فى الشبه الحقيقى والمتوهم .

٥ ــ ليس صحيحا ان علماء اللغة هم الذين أدركوا عرضا صور التشبيهة او الاستعارة عند جمعهم للغة فنحن نرى أن عهد الملك بن مروان فى القرن الأول من الهجرة يدرك فى ذكاء الفرق بين صورتين من الشعر احداهما تقوم على الشكل المجرد بعيدا عن الاحساس الصادق والأخرى يحركها شعور فياض وعاطفة صادقة او بعبارة أقرب الى المصطلح البيانى أدرك الفرق بين التشبيه العقلى والتشبيه الحسى وذلك عندما يستمع الى عبد الله بن قيس الرقيات يمدحه بقوله

يأتلق التاج فوق مفرقه .. على جبين كأنه الذهب

فيقارن بين هذه الصورة وبين تصوير نفس الشاعر لمصعب بن الزبير فى قوله :

انما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلماء

ويتملكه الغضب ثم يقول لابن قيس " اعطيته المدح بكشف الغم وجلاء الظلم واعطيتنى من المدح مالا فخرفيه وهو اعتدال التاج فوق جبينى الذى هو كالذهب فى النضارة "(١)

ولعل هذه اللمحة كانت بداية حديث ممتع عن الفرق بين التشبيه والتمثيل كما وجدناه عند عبد القاهر حيث جعل مدار الفرق بينهما الحسية الصريحة والعقلية الخفية المحوجة الى الفكر والتأول فنعت الحسى بالتشبيه والعقلى بالتمثيل .

٦ ــ الشأن فى المباحث العلمية وفى الطور الأول من نشأتها أن تتجه نحو المبادئ العامة والقضايا الكلية بخلاف ما نجده لدى علماء القرن الثانى والثالث فى تناولهم لابحاث البلاغة وقضاياها الجزئية واصدارهم احكاما ما ظلت ثابتة تتناقلها الأجيال بعدهم حتى آخر عصور التطور البلاغى دون خروج عليها عدا ما تقتضيه طبيعة كل عصر من المقارنة او التحليل أو ما شابه ذلك .

وأوضح مثل على ما ندعيه قضية التعدد فى التشبيه والتى دارت حول بيت امرئ القيس : كأن قلوب الطير ... فقد كان هذا البيت مثار اعجاب العلماء والادباء لما فيه من اصابة التشبيه وما تضمنه من تشبيهين فى بيت واحد مع حسن

---

(١) الصناعتين صـ ٩٨

الجمع والترتيب . وهذا الاعجاب حين يجئ من علماء في القرن الثاني الهجرى مـــــع الاقصاح عن سر اعجابهم يكون دليلا على أن دراسة التشبيه قد وصلت الى حد متطور فـــي هذا القرن حيث تجاوزت النظرة العامة الى قضية جزئية تتعلق بالافراد والتعدد .

فقد ابدى ابو عمرو بن العلاء اعجابه بهذا البيت لتعدد التشبيه فيه كما كان الاصمعي يقول " ان أحسن التشبيه ما يقابل به مشبهان بمشبهين " (١)

وتعرض ثعلب لهذا البيت فقال " وزعم الرواة أن هذا أحسن شيء وجد في تشـــبيه شيئين بشيئين في بيت واحد " (٢)

وبذلك يخطو ثعلب خطوة الى الامام حين لا يقف بالاستحسان عند مجرد الجمع بـين تشبيهين بل يحكم بتفوق بيت امرئ القيس على أشباهه من الأبيات التي ضمت اكثر مـــن تشبيه في بيت واحد ثم ينسب هذا الحكم الى رواة سابقين عليه مما يدل على أن الدراســة حول التشبيه المتعدد وصلت قبل عصر ثعلب الى حد الموازنة بين أبيات تعدد فيهـــا التشبيه وانتهت الى الحكم بتفوق بيت امرئ القيس على ما عداه .

ولم يكن الاعجاب ببيت امرئ القيس مقصورا على العلماء والنقاد وحدهم بل شاركهـم في ذلك المبدعون ومن هم في الطبقة العليا من الشعراء فقد روى أن بشار بن بـــــرد قال " ما قرى القرار منذ سمعت قول امرئ القيس حتى صنعت :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبـــه " (٣)

ولعل هذه الرواية عن بشار هي التي جعلت العلماء بعد ذلك يذكرون الى جوار بيـــت امرئ القيس بيت بشار هذا ويوازنون بينهما .

وممن وازنوا بينهما الصولي في كتابه اخبار ابي تمام (٤) وابو هلال العسكري فـــي الصناعتين (٥) والباقلاني في كتابه اعجاز القرآن (٦)

ثم فرق عبد القاهر بينهما فجعل بيت امرئ القيس من المتعدد وبيت بشار مـــــن المركب (٧) .

---

(١) الحلبة ١ / ١٥١
(٢) قواعد الشعر صـ ٤٠
(٣) العمدة ١ / ٢٩٠
(٤) اخبار ابي تمام صـ ١٧ وما بعدها
(٥) الصناعتين صـ ١٥٥
(٦) اعجاز القرآن صـ ٣٧
(٧) اسرار البلاغة صـ

وهكذا ظل البيتان وما دار حولهما من ملاحظات تتعلق بالتعدد والتركيب يتنقلان من عصر الى عصر حتى عصرنا هذا حيث تعددت نظرات الدارسين فيهما نظرا لتأثر المحدثين بالاتجاهات النقدية الحديثة التى جعلتهم يسلكون فى الموازنة بينهما مسالك أخرى بعضها يوازن بينهما من حيث الصدق والكذب وبعضها يستهجن تعلق القدماء واعجابهم بالتصوير فيهما .

فهذا المرحوم الدكتور محمد مندور يتناول البيتين بالنقد والمقارنة بعد أن يسوق حديث الصولى فيقول " فلننظر فى تشبيه امرئ القيس وتشبيه بشار لنرى كيف أن امرأ القيس لم يذهب بعيدا وانما طلب الى حواسه المألوفه والى حياته الراهنة أن تأتيه بهذا التشبيه الصادق القريب تشبيه قلوب الطير التى افترستها العقاب بالعناب والحشف البالى . العناب للقلوب الرطبة والحشف للجافة ثم ننظر فى تشبيه بشار التمثيلى كما يقولون فنراه يشبه النقع وقد انعقد فوق الرؤوس والسيوف تضرب بالليل تتهاوى كواكبه وبشار لم ير الليل تتهاوى كواكبه ولا رآه حتى المبصرون فهو تشبيه بعيد ليست له فى النفس صورة ما ونحن لا نكاد نتصور ليلا تسقط نجومه فيشبه ذلك معركة ترتفع فيها السيوف ثم تسقط وسط النقع المثار ولا كذلك تشبيه امرئ القيس (١)

فنحن الآن أمام اتجاه فى النقد يقوم على الواقعية والصدق الفنى بعيدا عن مدحى القدماء فى الموازنة بين التشبيهين من حيث التعدد أو التركيب وهى نقطة الالتقاء الوحيدة بينهما والمرحوم مندور خير من يعلم ذلك ، خاصة أن حديثه جاء تعقيبا على ما ذكره الصولى وهو يقارن بينهما على اساس الجمع والتعدد لا على اساس الصدق أو الكذب . واذا كان من حق الدكتور مندور أن يقارن بين الصور من حيث الصدق والكذب فواجب عليه أن يضم بيت بشار الى أشباهه مما يتناول صور المعركة كبيت المتنبى :

يزور الأعادى فى سماء عجاجة أسنته فى جانبيها الكواكب

وبيت المتنبى :

تهنى سنابكها من فوق أرؤسهم سقفا كواكبه الرمح المياتير

اما الموازنة بين بيتى امرئ القيس وبشار من هذا الجانب فهى محاكمة لغير غرض .

ثم أن هذا الحكم يعتبر سابقة خطيرة فى تاريخ النقد حين يكون مقياس الصدق هو الرؤية والمشاهدة . فاذا لم يكن بشار قد رأى الليل تتهاوى كواكبه ولا رآه حتى المبصرون فان امرأ القيس وهو المبصر لم ير أنياب الاغوال حتى يشبه بها فى قوله :

---

(١) النقد المنهجى عند العرب ص ٨٢

أيقتلنى والمشرفى مضاجعى ٠٠ ومسنونة زرق كأنياب أغوال

كما أن العرب لم يروا ولا نحن رأينا صورة رؤوس الشياطين التى شبه بها القرآن الكريم فى قوله " كأنها رؤوس الشياطين "٠

هذا وفى النقد الغربى الحديث نظرية معروفة الآن تسمى " تراسل الحواس " (١) وهى تتيح للمبدع والمتلقى أن يبصر بأذنه ويسمع بعينه ويشم بعقله وغير ذلك مما هو معروف فى هذه النظرية التى سبق اليها ابو العلاء حين قال

والاذن تعشق قبل العين أحيانا

وهذا باحث آخر يتهجم على البلاغيين العرب فيقول " ولقد كان هذا الاعجاب الواضح ببيت امرئ القيس مبررا لأن التشبيه تتوافر فيه كل صفات الدقة والاصابة والصحة فضلا عن أن امرأ القيس جمع تشبيهين فى بيت واحد وهذه براعة شكلية أخذت تلفت الانظار وهى بعد مرتبطة بتحول مفهوم الشعر الى صنعة تهدف فى جانب من جوانبها الى أن يبهر المتلقى بحرفية الصانع وهذا أمر جعل البلاغيين بعد المبرد يفاضلون بين الأبيات حسب كمية ما فيها من تشبيهات (٢)

وهذه دعوى يتناقلها ابناء هذا الجيل ممن يبهرتهم الثقافات الغربية دون قراءة متأنية لتراثنا البلاغى والنقدى فكان اتهامهم له بالشكلية وعدم التعمق والعجز عن اثارة الاحساس الداخلى متناسين أن العناية بالصنعة والشكل تعبيرا وتصويرا اقرب الوسائل الى تحريك المشاعر واثارة النفوس وهى بعد موجودة فى كل آداب العالم فلماذا صبوا هجومهم على الأدب العربى ؟

واذا كان الباحث يرى أن نظرة المبرد وغيره الى بيت امرئ القيس واعجابهم بالتعدد فيه تعلق بصور متهافته وتمسك بأسس فنية بالية فان كثيرا من النقاد لا يزالون يرون فى التعدد والتركيب قيمة فنية ترفع من شأن الصورة وتكسوها رونقا من الحسن والجمال " يقول الأستاذ السيد محمد الخضر حسين " ومن براعة التخييل أن يكون التخييل مبنيا على ملاحظة أمور متعددة فالصورة التى يراعى فى تأليفها ثلاثة معان مثلا تكون أرجح وزنا وأنفس قيمة من الصورة التى تبنى على معنيين فمن الشعراء من يصور لك الرمح شهابا ثاقبا فهل يحق لك أن تساويه بمن يخيله لك برؤوس الأعداء منصوبة على طرف يالغصن يوم يكون مكللا بالثمار كما قال ابن عمار يخاطب المعتمد :

أثمرت رمحك من رؤوس كماتهم لما رأيت الغصن يعشق مثمرا (٣)

---

(١) راجع معالم النقد الادبى صـ ٣٠٧
(٢) قضية الصورة الفنية فى التراث النقدى والبلاغى صـ ١٣١
(٣) الخيال فى الشعر العربى صـ ٤٥

ويقول " والأدباء الذين أوتوا الحس فى صورة الدر ليسوا بقليل وانما المزية لمن اتسع فى صورة هذا المعنى ونظر فى تركيبها الى امور متعددة فقال يصف واديا :

وقانا لفحة الرمضاء واد ... سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحة فحنى علينا ... حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا ... الذ من المدامة للنديم

والحق أن الاحساس بالجمال الفنى فى الصورة الأدبية والوعى بأجزاء هذه الصورة وموادها وفهم مصطلحات هذه الصورة على نحو ما كان مصاحبا للابداع الفنى فى العصر الجاهلى ونما وتطور فى العصر الاسلامى بما أتاحه القرآن الكريم من نماذج عالية للصورة الفنية أو كما يقول أحد الباحثين " وقد أكثر القرآن من ضرب المثل وألوان التشبيه والمجاز والكناية والبديع حتى كان المتقدمون والمتأخرون يجدون لكل نوع بلاغى يهتدون اليه مثالا فيه وكان تفهمه مدعاة الى ظهور البحث البلاغى فألفت فى العصور الأولى كتب كثيرة فى معانى القرآن ومجازه ونظمه واعجازه (١)

ومسألة الافراد والتعدد والتركيب فى التشبيه أو الاستعارة وجدت طريقها الى البحث فى وقت مبكر ألمح امرؤ القيس الى تركيب التشبيه وتعرض بيت امرئ القيس الذى اشرنا اليه آنفا وهو من التشبيه المتعدد لدراسة جادة منذ ابى عمرو بن العلاء والأصمعى وحتى عصرنا هذا حيث وقف عنده معظم البلاغيين واللغويين سواء بالاستحسان او بالمقارنة بينه وبين بيت بشار الذى كان محلكاة له وان اختلفت صورة التركيب فيهما .

اما الاستعارة مفردة ومتعددة ومركبة فهى ايضا كانت مادة لابحاث مثمرة وتناولتها اقلام متعددة . ولعل البحث فى الصورة الاستعارية المركبة تحت اسم المثل كان من أشهر واسبق صورها . فقد كانت الامثال القائمة على تشبيه مضربها بموردها شائعة فى الأدب الجاهلى وعلى السنة العرب وكان المتلقى حين يسمع المثل يضرب أمامه ينتقل سريعا بذهنه الى مورد المثل ليدرك وجه الشبه بين ما ضرب له وما ورد فيه وفى قوله تعالى " أيود احدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجرى من تحتها الأنهار " يضع ابن عباس امامنا صورة واضحة لفهم النقاد العرب للصورة التمثيلية فى الاستعارة المركبة وان كانوا يكتفون بتسميتها مثلا وهو نفس المصطلح الذى استقر لدى المتأخرين تعبيرا عن هذا النوع من البيان .

وأبو عمرو بن العلاء اشر عنه التعبير بمصطلح الاستعارة المفردة فى قول ذى الرمة :

---

(١) البلاغة العربية فى دور نشأتها صـ ١٠

أقامت به حتى ذوى العود والثوى وساق الثريا فى ملاءته الفجـــــــــــــــــر

يقول ابو عمرو " ألا ترى كيف صير له ملاءة ولا ملاءة له وانما استعار له هذه اللفظـــــة (١)

وهذا ما يسمى فى اصطلاح البلاغيين المتأخرين بالاستعارة المكنية وهى استعارة مفـــردة

أما الاستعارة المتعددة القائمة على جمع أكثر من استعارة فى بيت واحد يجمع بينها خيط فنى دقيق لا يصل الى درجة التركيب وان كان يضفى عليها صحة التقسيم وحســـن الترتيب فقد اشار اليها ثعلب حين قال " الاستعارة وهو أن يستعار للشىء اســـــم غيره أو معنى سواه كقول امرئ القيس فى صفة الليل فاستعار وصف الجمل .

فقلت له لما تمطى بصلبـــــــــه وأردف اعجازا ونآ بكلـــــكل (٢)

وهو يشير الى أن امرأ القيس استعار عدة أوصاف من الجمل صلبه واعجازه وكلكله لاول الليل ووسطه وآخره وهى استعارة متعددة كما صرح بذلك عبد القاهر الجرجانى فيما بعد

وأما التشبيه المقيد فاننا نلمح بوادره عند الاصمعى فى الصورة التى أخذت بعـــــد ذلك مصطلح " الايغال " وانتقلت عند المتأخرين من الصور البيانية الى علم المعانـــــى قال الأصمعى " أشعر الناس من يأتى الى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا او الـــى الكبير فيجعله بلفظه خسيسا أو ينقض كلامه قبل القافية فاذا احتاج اليها افاد بهـــــا معنى كقول ذى الرمة :

قف العيس فى اطلال مية واســـــــأل .. رسوما كأخلاق الرداء المسلســـل

أظن الذى يجدى عليك سؤالهـــــــا .. دموعا كتبديد الجمان المفصـــــل

فليس هذا الا تشبيها قيد المشبه فيه بوصف أطلف جديدا الى صورة التشبيه فان فنيـــة الصورة تبلغ غاية الكمال فى البيت الأول اذا كانت الاطلال البالية ورسومها التى يكـــاد الزمن يمحى عليها شبيهة بأخلاق الرداء المسلسل فالوصف هنا لم يضف معنى فحســـب بل وصل بالصورة الى حد الكمال ، وقل مثل ذلك فى البيت الثانى .

هذا بالطبع بعيدا عما استقر عليه المصطلح البلاغى أخيرا من ادراجه تحـــــــت صورة من صور الاطناب سميت بالايغال .

---

(١) العمدة ١ / ٢٦٩

(٢) قواعد الشعر صـــ ٥٧

البـــــــــــاب الأول

الافراد والتركيب فى التشبيه والاستعارة قبل عبد القاهـــــــر

الافراد والتركيـــــب
فى القـــــرن الثانى الهجـــــرى

قد أشرنا فى التمهيد الى أن قضية الافراد والتركيب والتعدد فى التشبيه والاستعارة بدأت مبكرة ورأينا جذور هذه القضية لدى امرئ القيس وفيما روى عن ابن عباس وفـــــى تعليقات النقاد والعلماء فى العصر الأموى مما كان له كبير الاثر فى نمائها وتطورهـــــا مع الزمن • ونتوقف الآن عند القرن الثانى الهجرى حيث بدأت الملاحظات البيانيـــــة تأخذ طريقها الى التسجيل فى آثار مكتوبة •

سـيبويه :

واذا كان قد استقر لدى مؤرخى علوم البلاغة أن بداية المصطلحات البلاغيـة وجدت فى آثار النحاة واللغويين وأنها جاءت عرضا فى اشارات سريعة فانى ارى أن الدراســـــة فى هذا القرن بل وفى القرن الذى يليه لم تكن قد اخذت بعد طابع التخصص ولم يكـــــن علماء هذين القرنين ممن ينطبق عليهم وصف اللغوى أو النحوى بل ان مؤلفاتهم نفسهـــــا بعيدة عن التخصص •

فكتاب سيبويه مثلا لم يكن كتاب نحو بما تعنيه هذه الكلمة فى عرفنا اليوم وان كانـــت السمة الغالبة عليه تتجه نحو ضبط أواخر الكلمات وعلتها فان مرجع ذلك الى ظـــــروف عصره الذى تفشى فيه اللحن بعد اختلاط اللسان العربى بغيره من الألسنة وشـــــيوع الاخطاء اللغوية فاتجهت جهود العلماء جميعا لدرء هذا الخطر قبل أن يصل الى كتاب الله الكريم ومن ثم فقد غلبت هذه الصفة على باحثى هذا القرن ودارسيه • وهذا ليـــس كافيا لأن نخلع عليهم صفة التخصص او على مؤلفاتهم العلمية • بل الأقرب الى الحقيقـــــة ان هؤلاء العلماء كانوا يضربون بسهم وافر فى كل علوم اللغة والقرآن الكريم وما يتصـــــل بهما من المعارف والأخبار وكانت كتبهم تغص بمعارف شتى تجد فيها الملاحظـــــــة البيانية أو النقدية قد اقترنت بتفسير لغوى أو طريقة أدبية أو خبر غريب دون التقيـــــد بفن من الفنون •

فالدراسة اذن كانت تتجه الى الأسلوب بصفة عامة تتناول مفرداته والعلاقة بينهـــــا وما فيها من صور وما دار حولها من ملاحظات وما يتصل بها من طرائف • وهـــــــذه الطريقة فى التأليف قد امتدت الى القرن الرابع والخامس الهجريين تلمس ذلك فى كتـــاب الموازنة للآمدى وهو كتاب فى النقد الا أنه ملىء بالمعلومات اللغوية من نحو وصـــــرف والبلاغية من تشبيه واستعارة وغير ذلك من المعارف • ومثل ذلك يمكن أن يقال فـــــى

مؤلفات ابن رشيق وعبد القاهر الجرجانى فى القرن الخامس الهجرى والأخير نحوى بارع ناقد حاول فى كتابيه ان يربط بين النحو والبلاغة ما وسعه الجهد حتى أقام نظريته المشهورة فى النظم تجسيدا لهذه العلاقة .

وقد صرح بذلك باحث معاصر حيث يقول " واذا كانت الدراسات الأسلوبية المعاصرة لا تفصل بين اللغة والبلاغة وتدخل فى صميم عملها جنبا الى جنب دراسة موقع اللفظ والتكرار والوسائل الايقاعية والموسيقية والاستعارة والرمز والصورة فكذلك الأمر فى تراثنا القديم حيث كانت الدراسة البلاغية متداخلة مع الدراسة اللغوية فى كتب النحاة الأوائل أمثال سيبويه (١)

ومن ثم فلا غرابة أن يعد أحد مؤرخى البلاغة العربية سيبويه مؤسس علمى المعانى والبيان كما ذهب الى ذلك الاستاذ احمد مصطفى المراغى فى كتابه تاريخ علوم البلاغة وذلك لما وجده فى " الكتاب " من ملاحظات بلاغية فى التشبيه والتمثيل والتقديم والتأخير والايجاز والتكرار وغير ذلك مما هو داخل فى علم المعانى أو البيان .

واذا كان استاذنا الدكتور كامل الخولى يرى أن " كلمات البلاغة فى (الكتاب) تناثرت فى غير مظنتها وبرزت فى غير مكمنها (٢) فان ذلك بناء على أن مؤلف سيبويه خاص بفن النحو وان كنا نرى أنه دراسة فى الأسلوب افرادا وتركيبا وتصويرا وما ورد فيه من ملاحظات بلاغية قد جاء فى موضعه ومكانه من الدراسة . وهذا باحث آخر هو الدكتور احمد ابراهيم الشمراوى يعتبر سيبويه أول من دون كلمة المجاز واستعملها بمعنى المقابل للحقيقة سابقا بذلك الجاحظ الذى يعتبره الكثير من المؤرخين أول من استعمل المجاز هذا الاستعمال (٣) وذلك يعنى لدينا ما نعتقده من أن الملاحظات البلاغية فى الكتاب سيبويه فى مثل هذا العصر المتقدم تصبح ذات قيمة علمية كبيرة ولا يقلل من هذه القيمة أن يكون حديثه عن بعض المصطلحات بطريقة ساذجة كما ذهب الى ذلك الدكتور عبد القادر حسين فى رسالته (أثر النحاة فى البحث البلاغى) (٤) ويكفيه فخرا أنه أول من ذكر التشبيه من العلماء فى كتاب مؤلف (٥) كما لا يقلل من قيمته البلاغية أيضا " أنه لم يتوسع فى الالوان التى ذكرها ولم يعرفها كما لم يفصلها تفصيل

---

(١) قضية المجاز فى القرآن عند المعتزلة صـ ٨١
(٢) أثر القرآن فى تطور البلاغة العربية صـ ٧
(٣) تاريخ البلاغة العربية صـ ٧٨ ـ ٧٩
(٤) اثر النحاة صـ ١١٤ ـ ١١٥
(٥) الصور البيانية بين النظرية والتطبيق صـ ٥٩

علماء البلاغة المتأخرين عنه بل كان يكتفى بالاشارة اليها وذلك شأن علماء عصره اذ كانوا بعيدين كل البعد عن التقسيمات والتفصيلات والتحديد (١)

والذى يهمنا من كتاب سيبويه وملاحظاته فيما يتصل بالافراد والتركيب ما جاء فى باب استعمال الفعل فى اللفظ لا فى المعنى لاتساعهم فى الكلام وللايجاز والاختصار فقد ذكر سيبويه الوانا من التوسع فى الكلام مما يدخل تحت دائرة المجاز المقلى أو المجاز المرسل ثم قال " ومثله فى الاتساع قوله عز وجل ((ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء)) فلم يشبهوا بما ينعق وانما شبهوا بالمنعوق به وانما المعنى مثلكم ومثل الذين كفروا كمثل الناعق والمنعوق به الذى لا يسمع ولكنه جاء على سعة الكلام والايجاز لعلم المخاطب بالمعنى فالآية فيها ايجاز والمخاطب يعلم أن فى الآية ايجازا ولولا هذه القرينة لما جاز الاتيان بالايجاز فى الآية حتى لا يغض الأمر على المخاطب فمن غير المعقول أن يشبه الكافر بالداعى الى الايمان ولا يجد من ينعت أو يلبى دعوته ولكن المعقول ان يشبه وعظ الكافرين الذين لا يستجيبون بدعوة الاغنام التى لا تعى ومن يسمع الآية يقفز الى ذهنه هذا المعنى فيعلم أن فى الآية اختصارا (٢)

فمن هذا النص نستطيع القول بأنه وضع لمن بعده لبنة الحديث عن التشبيه المركب فقد أدرك سيبويه أن التشبيه فى الآية ليس من نوع التشبيه المفرد فلم يشبهوا بما ينعق وانما المعنى على تمثيلهم بالناعق والمنعوق به . فالمشبه به ليس الناعق وحده وانما الناعق والمنعوق به معا والمشبه ليس الكافرين فحسب بل بضميمة أنهم لا يستجيبون وهذا هو التشبيه التمثيلى المركب كما يسميه علماء البلاغة المتأخرون حيث شبه " وعظ الكافرين الذين لا يستجيبون بدعوة الأغنام التى لا تعى " .

ولعل تعقيب الزجاج على كلام سيبويه دليل واضح على ما قلناه يقول الزجاج ((قال سيبويه وهو من أفصح الكلام ايجازا واختصارا لان الله تعالى أراد أن يشبه شيئين بشيئين الداعى والكفار بالراعى والغنم فاختصره ولكنه اكتفى بذكر الكفار من المشبه والراعى من المشبه به فدل ما أبقى على ما ألقى وهذا معنى كلام سيبويه (٣)

---

(١) الصور البديعية بين النظرية والتطبيق صـ ١١٠ ـ ١١١

(٢) كتاب سيبويه ١ / ١٨٠

(٣) اعراب القرآن ١ / ٤٧

وهذا يؤكد ما قلناه من أن سيبويه أحس بالتركيب في طرفي التشبيه فنبه الـــى أن في الآية اختصار أو توسعا بحذف جزء من التركيب في كل من الطرفين . ويبدو أن سيبويه لا يفرق بين التمثيل والتشبيه بل يستعملهما استعمالا لغويا كما هو معروف من أن اللغة لا تفرق بينهما فالآية من قبيل التمثيل وهو يطلق عليها لفظ التشبيه ويؤيد ذلك قولـــه ((وأما قول العرب هو مثيل هذا وأمثال هذا فكأنما أرادوا أن المشبه حقير كمـــا أن المشبه به حقير (١)

وليس هذا ببدع من الأمر فقد رأينا علماء البلاغة المتأخرين مثل الزمخشـــرى وابن الأثير يتعلقون بالمعنى اللغوى هذا كما تعلق به سيبويه .

وما عدا هذه الملاحظة فاننا لم نجد في كتاب سيبويه مما يتصل بقضيتنا ما يستحـق الاشارة اليه فنحن لا نجد للاستعارة ذكرا في كتابه بالرغم من أنها كانت معروفـــة لدى معاصريه كما ذكر الباقلاني تعليقا على قول امرئ القيس:

وقد اغتدى والطير في وكناتهـــا ٠٠ بمنجرد قيد الأوابد هيـــكل

وذكر الاصمعي وأبو عبيدة وحماد وقبلهم ابو عمرو أنه احسن في هذه اللفظة وانه اتبـــع فيها فلم يلحق وذكره في باب الاستعارة البليغة .

وقد اثبتنا قبل ذلك نص كلام ابى عمرو في استعارة الملاءة للفجر في بيت ذى الرمـــة

---

(١) كتاب سيبويه ٢ / ١٣٥

ابو عبيـــــــــــدة

اما ابو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى سنة ٢١٠ هـ فقد حظى كتابة " مجـــاز القرآن " بدراسات عديدة من مؤرخى البلاغة العربية ودارسى اعجاز القرآن الكريـــم وذلك نظرا لأنه أول مؤلف بين أيدينا يمنون له بمصطلح من مصطلحات البيان .

ودارسو بلاغة ابى عبيدة فريقان احدهما قصر دراسته على كتابه المجاز وما فيه مـــن اشارات بلاغية والآخر ضم الى هذا الكتاب مؤلفه الآخر " النقائض " وهو فى نظـــرى اكثر خطرا فى تاريخ البلاغة من سابقه ومن ثم فقد تفاوتت آراء الفريقين فى تقويـــم انتاج ابى عبيدة وملاحظاته البيانيه ومدى اهميتها فى ارساء دعائم هذا الفن فالفريـــق الأول الذى نظر الى انتاج ابى عبيدة من خلال كتابه المجاز وحده لم ير فيه الا باحثـــا لغويا ترد فى اثناء مباحثه اللغوية اشارات عابرة الى بعض المصطلحات البلاغية دون أن يعرض لها بالشرح أو التفصيل الا أن يكون ذلك فى خدمة تخصصه اللغوى وربما ذهـــب بعض الباحثين الى المقارنة بين " مجاز القرآن " لأبى عبيدة ومعانى القرآن للفـــراء وجاء الحكم لصالح معانى القرآن " وأول من دون لفظة التشبيه الاصطلاحى هـــو ابو عبيده فى كتابه آنف الذكر " مجاز القرآن " وذلك عند تعرضه لقوله تعالـــى " نساؤكم حرث لكم " قال انها كناية وتشبيه فكان فهمه اللغوى للآيات مسيطرا عليـــه وغامرا ملكاته فهو لا يستطيع أن يلتفت الى الاشارات البيانية الواضحة التى اهتـــدى اليها الفراء فى معانى القرآن حيث انه قد لمح الصلة بين المشبه والمشبه به وتطـــرق الى وجه الشبه فميزه وكان بحق أوسع قدما من سابقه وأوسع فهما منه فى معرفـــة ما للتشبيه من قيمة بيانية فى الاسلوب القرآنى (١) وملاحظتنا على ما أورده الكاتـــب أولا : أن ابا عبيدة لم يكن أول من دون لفظة التشبيه الاصطلاحى فقد سبق الـــى ذلك كما اشرنا من قبل سيبويه .

ثانيا : ماذا يعنى وصف التشبيه الاصطلاحى اذا كان ابو عبيدة يفهمه بالمعنى اللغـــوى المسيطر عليه .

ثالثا : ان هذا الحكم ليس بعيدا عن الصواب ما دام المتنافسان هما مجاز القـــرآن ومعانى القرآن وحدهما غير أن هذا الحكم فيه شئ من الجور على ابى عبيدة حـــين نقول بأنه يريد بالتشبيه معناه اللغوى بينما له مؤلف آخر يحدد لنا مراد أبى عبيـــدة من هذا المصطلح وغيره .

---

(١) التشبيه فى القرون الأربعة الهجرية الأولى صـ ٧٠

اما الفريق الثانى الذى درس كتابيه معا " المجاز والنقائض وحاول تقويم انتاج أبى عبيدة من خلال الكتابين معا فقد كانت له نظرة أخرى توامها أن أبا عبيدة ترك أثرا كبيرا فى تاريخ البلاغة العربية مما حفل به كتاب النقائض من مصطلحات البيان كالتشبيه والتمثيل والاستعارة والمثل الى جانب ما تميز به هذا الكتاب عن مؤلفه المجاز بالبسط والتحليل للنماذج المتعددة التى أوردها لهذه المصطلحات فاذا قورن هذا الانتاج بما تركه الفراء فى كتابه " المعانى " جاء الحكم بلا تردد لصالح أبى عبيدة يقول الدكتور عبد القادر حسين " نستطيع أن نقول ان أبا عبيدة كان حديثه عن التشبيه أوضح بكثير من الفراء حقا ان أبا عبيدة فى مجاز القرآن كان يكتفى أحيانا بالقول هذا مجاز للمثل والتشبيه ولكنه فى النقائض بين جرير والفرزدق يذكر طرفى الاستعارة والوجه " ثم يمضى بعد ذكر امثلة من كتاب النقائض الى القول ((فواضح من هذه الأمثلة وتعقيب ابى عبيدة عليها أن التشبيه كان عنده واضحا تمام الوضوح بما فيه من الطرفين ووجه الشبه بل ان ابا عبيدة كان يعرف التشبيه المقيد بوصف لابد من مراعاته حتى يصح التشبيه)) (١).

والحق أن دراسة بلاغة ابى عبيدة من كتاب المجاز وحده لا تعطى صورة صحيحة لجهد هذا الرجل وأثره فى تاريخ هذا العلم بل انها تدفع أحيانا الى عدم الاستنتاج الصحيح لآرائه وما اورده من مصطلحات • لذلك فسوف نعتمد على كتابيه معا •

التشبيه المفرد :

فى كتابه مجاز القرآن يقول فى الآية الكريمة " نساؤكم حرث لكم " تشبيه وكناية والتشبيه هنا مفرد الطرفين حذفت منه اداة التشبيه وهذا مما لا يحتاج الى توضيح ولكن الذى لفت نظر الباحثين هنا القول بأن فى الآية كناية مما أطلق الصنان لخيالهم فراحوا يلتمسون لها تفسيرا فرأى البعض أنه استعملها بمعنى الاضمار " والكناية ترددت فى الدراسة القرآنية منذ ابى عبيدة واستمرت مختلطة بمعناها اللغوى حتى عصر الامام على (٢) لكننا نرى انه يقصد بالكناية هنا معناها الاصطلاحى المعروف لدى علماء البلاغة • ففى الآية تشبيه لا شك فيه طرفاه النساء والحرث وفيها كناية فى لفظ الحرث حيث كنى به عن الجماع • ولا تزاحم بين النكات البلاغية وليس ثمة داع لهذا التكلف الذى ذهب اليه احد الباحثين فى تخريج الكناية فى الآية حيث قال

---

(١) اثر النحاة صـ ١٥٢
(٢) اثر القرآن فى تطور البلاغة العربية صـ ٢٢٥

الدكتور احمد ابراهيم الشرقاوى " ففى قول الله تعالى ونساؤكم حرث لكم " كناية باعتبار آخر هو وضع الكلمة مكان غيرها لعلاقة التشبيه (١)

فان القول بأن هناك كناية بمعنى وضع الكلمة مكان غيرها لعلاقة التشبيه يؤدى الى تداخل المصطلحات لان هذا هو تعريف الاستعارة ثم ان التشبيه موجود اصلا فى الآية فكيف يتأتى التشبيه الآخر ؟

ويمثل ما ذهبنا اليه من أن فى الآية كناية و تشبيها ولا تزاحم بينهما نذهب اليه فى قوله تعليقا على قول الشاعر

له فرس شقراء لم تلق فارسا كريما ولم تعلق عنانا بقيمها " له فرس شقراء يعنى أم البيت (أو ابنته أو اخته) لم تعلق عنانا بقيمها وهو مثل يريد به الأدب والتحصين وهو كناية) (٢) .

فهو مثل باعتبار ما فيه من تمثيل استعارى شبهت فيه المرأة الحصان الكريمة المترفعة عن الدنايا بطبيعتها وفطرتها دون مؤدب أو راع بالفرس الكريمة التى تعرف واجبها وتنطلق الى غاياتها من غير احتياج الى تقويم الفارس أو وضع الصنان فى فمها .

وهو كناية ايضا حيث كنى عن المرأة الكريمة بالفرس

وفى كتاب النقائض تتوالى أمثلة التشبيه المفرد الذى يكشف فيه المؤلف عن طرفى التشبيه ووجه الشبه .

١ ــ يقول معلقا على قول الفرزدق:

وأنت كليبى لكلب وكلمة ∴ لها عند أطناب البيوت هرير

" شبهه فى قلة خيره بالكلب " (٣) وفى ذلك ابانة عن طرفى التشبيه والوجه

٢ ــ ضربت عليك المنكبوت بنسجها وقضى عليك به الكتاب المنزل

قوله ضربت عليك المنكبوت بنسجها يعنى ان جريرا فى الوهن والذل كبيت المنكبوت (٤).

وفى ذلك ايضا كشف عن المشبه والمشبه به ووجه الشبه .

---

(١) تاريخ البلاغة العربية ص ٣٥
(٢) النقائض ١ / ١١٣
(٣) السابق ١ / ٣٢
(٤) السابق ١ / ١٧٠

٣ ــ عطون بأعناق الظباء وأشـــــرقت ٠٠ محاجرهن الغر بالأعين النجـــــل
وانما يعنى الظباء اذا تناولت بأفواهها الغصن اذا طالها فمدت أعناقهـــــا
اليه شبه أعناق النساء بأعناق الظباء (١).

فقد أبان عن المشبه والمشبه به صراحة ووجه الشبه ضمنـــــــــــا

٤ ــ ومن التشبيه الذي ذكرت اداتـــــه

فألقى عصا طلح ونملا كأنهـــــــا ٠٠ جناح سمانى صدرها قد تخذمـــا
يقول " شبه نمله بجناح سمانى فى دقتها وصغرهـــــــــــــــــا (٢)

التشبيه المقيد :ــ

وقد ورد فى كتاب النقائض كثير من الأمثلة التى يسميها البلاغيون المتأخرون تشبيهـا مقيدا يوضح فيها ابو عبيدة طرفى التشبيه والقيد ولا ينقصه سوى ذكر مصطلح التقييـــد

فمن التشبيه المقيد الذى ورد طرفين ورد :

يمشون فى خلق الحديد كما مشـت ٠٠ حرب الجمال بها الكحيل الشمـــــــل
" شبه الرجال لعظمهم ولون الحديد عليهم بالجمال المهنوءة بالقطران (٣)

فهاهنا طرفان قيد المشبه (الرجال) بكونهم فى خلق الحديد وقيد المشبه بـــــه (الجمال) بكونها مهنوءة بالقطران أوضح ذلك ابو عبيدة وان لم يسمه تقييدا ٠

ومن الذين اشاروا الى احساس ابى عبيدة بالتشبية المقيد استاذنا الدكتور كامـــل الخولى والدكتور عبد القادر حسين ٠

التشبيه المركـب :ــ

اما التشبيه المركب الذى نطلق عليه لفظ التمثيل والذى ذكر فيه كل من طرفـــــى التشبيه فان ابا عبيدة لا يسميه مثلا وانما يطلق عليه لفظ التشبيه ويشير الى طرفيه ممـــا يدل على أن لفظ المثل عنده خاص بالاستعارة التمثيلية فهو يطلق على قول الشاعـــــر

الا حيها الريح القوله وسلمـــــــا ٠٠ وبعا بجثمان الحمامة مهبـــــط

فيقول شبه الريح وما فيه من لون الرماد والدمنه وأثر وصب اللبن وأثر بياض الأرض بويـــش

(١) السـابق ١ / ١٢٤
(٢) النقائـض ١ / ٤٢
(٣) السابـق ١ / ٣٠

القمرية لما فيه من السواد والبياض (١)

فهذه اشارة واضحة الى تركيب طرفى التشبيهة والهيئة التى يتكون منها وجه الشبه ومثل ذلك قوله تعليقا على البيت :

خرجت خروج الثور اذ عسكت به ٠٠ مقلدة الأوتار غير سنان

((مقلدة الأوتار يعنى كلابا قد قلدت الأوتار شبه نفسه بالثور تكتنفه الكلاب فيقتا فيها ويجرح ويقتت سالما)) (٢)

ويقول تعليقا على قول الشاعر :

والعقبات تقودهن على الوجى ٠٠ بحث السباع مدامع الأوشال

((الخيل تبحث بأيديها من المرج كما تبحث السباع المطاش عن مدمع الوشل لتشرب منه)) (٣)

فهاهنا تشبيه مركب أو تشبيه تمثيلى أبان فيه عن طرفيه وأظهر الاداة تصريحا عن هذا التشبيه ٠

المثل والتمثيل :ـ

يكاد يجمع دارسو ابى عبيدة فيهم من درس كتاب النقائض أيضا على أنه يستعمل التمثيل مرادفا للتشبيه أو التشبيه التمثيلى اذ ان فهمه هذا يتمشى مع طريقته التى يغلب عليها الطابع اللغوى يقول الدكتور زغلول سلام ((التمثيل وهو يعنى عنده هنا)) يقصد فى قوله أفمن اسس بنيانه ٠٠٠ التشبيه أو تشبيه التمثيل (٤)

كما يقول فى موضع آخر عن التشبيه والمثل " هذان اللفظان ايضا من أول الاصطلاحات التى بدأت تظهر فى الدراسات القرآنية دالة على صورة بيانية لكنها لا تزال عند ابى عبيده تطلق فى حدود المعنى اللغوى وان كانت تشير الى المعنى البلاغى من ذلك " (٥)

---

(١) السابق ١ / ٤٠

(٢) السابق ١ / ٢٩ ـ ٣٠

(٣) السابق ٢ / ١٢

(٤) اثر القرآن فى تطور النقد العربى صـ ٤٦

(٥) السابق صـ ٥٦

والى مثل ذلك ذهب باحث آخر معللا ذلك المعنى اللغوى للمثل فيقول " ومعنى ذلك أن مصطلح المثل يصبح قريبا جدا من معنى التشبيه ويدل عليه ومما يؤكد هذا التطابق الذى يكاد يكون تاما بين المثل والتشبيه أن مادة شبه فى القرآن لا تأتى الا بمعنى الاشتباه والاختلاط والتداخل (١) ثم يمضى فيقرر " ولقد شاع استخدام مصطلح المثل على السنة المفسرين مثل ابن عباس ومجاهد وقتادة والسدى ثم على السنة اللغويين كأبى عبيدة والفراء ومن بعدهم فى تحليلهم للعبارات القرآنية واذا كانت الكلمة تعد مرادفة للتشبيه فانها من جانب آخر قد تتسع لتدل دلالة على معنى التصوير (٢)

وأرى أن استعمال ابى عبيدة لفظ التمثيل فى قوله تعالى " أفمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار يقصد به ما عرف بالاستعارة التمثيلية كما يتضح من تعليقه عليها بقوله " ومجاز الآية مجاز التمثيل لان ما بنوه على التقوى أثبت اساسا من البناء الذى بنوه على الكفر والنفاق فهو على شفا جرف وهو ما يجرف من سيول الاودية فلا يثبت البناء عليه " (٣)

فالتمثيل هنا مراد فى اللفظ المثل الذى يستعمله كثيرا فى النقائض ويقصد به الاستعارة التمثيلية . وهو واقع فى قوله " أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار " حيث شبه الله الذى بنوه على النفاق والكفر بالبناء على شفا جرف هار وكلا الطرفين مركبان حذف المشبه واستعير المشبه به .

وهذا ما يدل عليه قول الرازى فى تفسيره : " المعنى أفمن أسس بنيانه من دينه على قاعدة قوية محكمة وهى الحق الذى هو تقوى الله ورضوانه خير أم من اسسه على قاعدة هى اضعف القواعد وأقلها بناء وهو الباطل والنفاق الذى مثله مثل شفا جرف هار من أودية جهنم فلكونه شفا جرف هار كان مشرفا على السقوط ولكونه على طرف جهنم كان اذا انهار فانما ينهار فى قعر جهنم ولا نرى فى العالم مثالا أحسن مطابقة لأمر المنافق من هذا المثال " (٤)

فهو اذن تمثيل على سبيل الاستعارة ويتأكد ذلك للباحث حين يطابق بين تعليقه على الآية وبين النماذج العديدة المثل فى كتاب ((النقائض)) وما يصاحبها من توضيح كامل لطرفى المثل . من ذلك :

---

(١) قضية المجاز فى القرآن صـ ١٠
(٢) السابق صـ ١٠١ ـ ١٠٢
(٣) مجاز القرآن ١ / ٢٦٩
(٤) مفاتيح الغيب ج ٤/ ٥٥

ابا لخطفى وابنى محمد ومحـــــرض ٠٠ تمدى امرءا جمة لا تنيرهـــــا

((جمة = كثيرة ، ويقال هذه بئر جمة أى كثيرة الماء يقول تمدى أى تمد خيـــوط الثوب طولا واللحمة عرضا وبالنيرة والنير يتم نسج الثوب وهذا مثل ومعناه أنه يتـــوا، وتمد مالا تدركه ولا يتم ذلك)) (١) وحديثه واضح فى أن البيت من الاستعـــارة التمثيلية التى يطلق عليها اسم المثل حيث شبه من يمد مالا يدركه ولا يتم ذلك بمـــن يمد خيوط الثوب طولا واللحمة عرضا ولا يتم نسج الثوب ٠

وفى تعليقة على قول الشاعر :

انى اذا بسط الرماة لضلوهـــــم ٠٠ عند الحفاظ غلوت كل مغـــــال

((يقول نظرنا أينا أبعد غلوة سهم وانما هذا مثل للتفاخر وذكر الأيام والنعـــــم والأيادى)) (٢)

فقد شبه من يتفوق على نظرائه فى نعمة وأياديه ومفاخره بمن يبز غريمه ويغلبه فـــى رمى السهام

وفى "مجاز القرآن" يعلق على قوله تعالى ((ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقـــك فيقول ((مجازه فى موضع قولهم لا تمسك عما ينبغى لك أن تبذل من الحق وهـــو مثل وتشبيه)) (٣)

وهذا يدل على تميزه بين المثل والتشبيه حيث انه مثل من يمسك عن انفاق المال فى أوجه الخير والحق بمن غلت يده الى عنقه وذلك ما نسميه بالاستعارة التمثيلية اطلـــق عليها لفظ المثل وأما التشبيه فباعتبار أصل المثل ٠

الافراد والتركيب فى الاستعارة :ـ

واذا كان ابو عبيدة لم يذكر مصطلح الاستعارة فى كتابه " مجاز القرآن " فانـــه صرح بهذا اللفظ فى كتابه النقائض وأطلقه على الاستعارة المفردة وذلك حين علق علـــى قول الفرزدق::

(١) النقائض ١ / ١٦
(٢) النقائض ٢ / ٣
(٣) مجاز القرآن صـ ٣٧٥ الجزء الاول

لا قوم أكرم من تميم اذا غـــــــدت ٠٠ عود النساء يسقن كالآجـــــــال

فقال ابو عبيدة ((قوله عود النساء هن اللاتى معهن أولادهن والأصل فى عود الابـــل التى معها أولادها فنقله العرب الى النساء وهذا من الاستعارة وقد تفعل العرب ذلـك كثيرا (١)

انه الاستعارة المركبة فقد وجدت فى الكتاب كثيرا تحت اسم المثل وتوقف ابو عبيـــدة أعلم الأمثال يوضحها ويعين طرفى التمثيل فيها كما أشرت الى ذلك فى الحديث عن المثـل.

وخلاصة القول أن أبا عبيدة أسدى الى البلاغة العربية خدمة جليلة ووضع اســـس مصطلحاتها فتكلم عن الاستعارة المفردة والمركبة التى يطلق عليها المثل حينا والتمثيـــل حينا آخر ٠ كما ذكر التشبيه المفرد وساق نماذج للتشبيه المركب وان لم يصرح بمصطلـح التركيب مكتفيا بتوضيح الطرفين والوجه توضيحا يشعر بالتركيب وقد ادرك ذلك بعـــض الباحثين الذين توافروا على كتابيه مجاز القرآن والنقائض وان لم أجد أحدا منهم يبســط الحديث أو أفاض فيه على النحو الذى قدمنا

أما ما رآه احد الباحثين من أن ابا عبيدة يلجأ لتبسيط التراكيب الاستعاريـــــة والتمثيلية بدلا من أن يحللها ويتذوقها ويكشف عن مناحى الجمال فيها (٢) فهـــذا الحكم لا ينسحب على كتابه " النقائض " وان كان ذلك صحيحا بالنسبة الـــــى " مجاز القرآن "

---

(١) النقائض ١ / ٢٧٥

(٢) قضية المجاز فى القرآن عند المعتزلة صـ ١١١

الفـــــراء

وللفراء المتوفى ســـــنة ٢٠٧ هـ جهد طيب فيما يتعلق بالافراد والتعدد والتركيـــب في التشبيه والاستعارة وذلك فيما ذكره من ملاحظات ببانيه في كتابه " معاني القـــرآن "

التشبيه المفـــرد :ـ

تناول الفراء التشبيه المفرد وأبان عن طرفيه ووجهه حين تعرض لقوله تعالـــــى (طلعها كأنه رؤوس الشياطين) فقال " فان فيه في العربية ثلاثة أوجه أحدهـــا أن تشبه طلعها في قبحه برؤوس الشياطين لأنها موصوفه بالقبح وان كانت لا ترى وأنـــت قائل للرجل كأنه شيطان اذا استقبحته والآخر أن العرب تسمي بعض الحيات شيطانـــا وهو حية ذو عرف قال الشاعر :

لمنجرد تحلف حين أحلـــــف ... كمثل شيطان الحماط أعـــــرف

ويقال أنه نبت قبيح يسمى برؤوس الشياطين والأوجه الثلاثة تذهب الى معنى واحد فـــي القبح (١) .

واستقصاء الفراء للمعنى اللغوي للفظ الشيطان لم يكن يستهدف الا خدمـــــة الغرض البلاغي في التشبيه حيث كانت النتيجة في النهاية أن المعاني كلها تدور حـــول معنى القبح وهو الغرض من التشبيه .

التشبيه المركـــب :ـ

تناول الفراء قوله تعالى " فمثلهم كمثل الذي استوقد نارا " فقال :
فانما ضرب المثل والله أعلم للفعل لا لأعيان الرجال انما هو مثل للنفاق فقال مثلهـــم كمثل الذي استوقد نارا " ولم يقل الذين استوقدوا وهو كما قال الله " تدور أعينهـــم كالذي يغشى عليه من الموت " وقوله " ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة " ولو كـان التشبيه للرجال لكان مجموعا كما قال كأنهم خشب مسندة (٢)

وهذه لمحة طيبة من الفراء حين ينبه الى الفرق بين تشبيه مفرد يقصد فيه الـــى الذات مثل قوله " كأنهم خشب مسندة " وبين تشبيه مركب يقصد فيه الى الفعـــــل المنتزع من أوصاف متعلقة بالذات كما في قوله تعالى مثلهم كمثل الذي استوقد نـــــارا "

---

(١) معاني القرآن ٢ / ٣٨٧
(٢) معاني القرآن ١ / ١٥ دار الكتب

فالمثل هنا لما وقع من النفاق والكفر بعد الايمان وليس لذوات المنافقين • واطـــــلاق المثل على هذا التشبيه التمثيلي المركب شائع في كتب المفسرين •

ويقول في قوله تعالى " ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينفق بما لا يسمع الا دعـــــاء ونداء) " أضاف المثل الى الذين كفروا ثم شبههم بالراعي ولم يقل كالغنم والمعنـــى والله أعلم ــ مثل الذين كفروا كمثل البهائم التى لا تفقه ما يقول الراعي اكثر من الصـــوت فلو قال لها ارعى واشربى لم تدر ما يقول لها فكذلك مثل الذين كفروا فيما يأتيهم مـــن القرآن وانذار الرسول فأضيف التشبيه الى الراعي والمعنى والله اعلم في المرعى) (١)

فقد طال نفسه هنا وأفاض في بيان طرفي التشبيه بما يشعر بتركيبهما ونبه الى المشبه به الحقيقي وهو البهائم التى لا تفقد ما يقول الراعي اكثر من الصوت حتى لا يتبادر الـــى الذهن أن المشبه به هو الراعي وحينئذ تفسد صورة التشبيه •

المثـــــــــل :ــ

يأتى لفظ المثل في كتاب معاني القرآن مرادا به التشبيه التمثيلي او الاستعـــــارة التمثيلية وذلك ليس هما اختصه هذا الكتاب بل شأنه شأن كتب التفسير الأخرى مثـــــل تفسير الطبري والرازي وغيرهما ففي قوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا " يقول الفراء " هو مثل للكافـــــر " (٢) والآية كما هو واضح تشبيه تمثيلي •

وفي قوله تعالى " ذلك مثلهم في التوراة والانجيل " يقول " مثل ضربـــــــة الله عز وجل للنبي اذ خرج وحده ثم قواه الله بأصحابه كما قوى الحبة بما نبت فيها (٣)

---

(١) معاني القرآن ١ / ٩٩
(٢) معاني القرآن ٢ / ١٢
(٣) معاني القرآن صـــــــ

وهى تشبيه تمثيلى ايضا اطلق عليها لفظ المثل ويأتى مرادا به الاستعارة التمثيليـــــة كما فى قوله تعالى " أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فاحتمل السيل زبـــدا رابيا ومما يوقدون عليه فى النار ابتغاء حليه أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحـــق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض " يقول الفـــراء " أنزل من السماء ماء " ضربة مثلا للقرآن حين أنزل عليهم " فضرب المثل هنا بمعنى به الاستعارة التمثيلية حيث شبه انزال القرآن عليهم بأنزال الماء من السماء وحذفت صـورة المشبه بعد استعارة صورة المشبه به . ثم يقول " فسالت أودية بقدرها " قبلتـــه القلوب بأقدارها وأهوائها " وهذه استعارة تمثيلية اخرى حيث استعيرت هيئـــة الأودية التى فاضت بمائها بقلوب الكفار التى قبلته بأهوائها ثم يمضى الى القـــول " فاحتمل السيل زبدا رابيا " يذهب لا منفعة له كذلك ما سكن فى قلب من لم يؤمـــن وعبد الهته وصار لا شئ فى يده " وهى استعارة تمثيلية ثالثة ويقول أخيرا " وأمـــا ما ينفع الناس فيمكث فى الارض " فهذا مثل المؤمن (١) وتلك رابعة الاستعـــارات التمثيلية فى الآية اغناه التفصيل السابق عن توضيحها وكلها أمثال فى نظر الفـــراء

التعدد فى التشبيه ؛

وللفراء ملاحظة هامة تتعلق بحديثنا وقد جاءت اثناء تفسيره لقوله تعالى " فـــاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان " قال الفراء :

" أراد بالوردة الفرس والوردة تكون فى الربيع الى الصفرة أميل فاذا اشتـــد البرد كانت وردة حمراء فاذا كان بعد ذلك كانت وردة الى الغبرة أميل فشبه تلـــون السماء بتلون الوردة وشبهت الوردة فى اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف الوانه ويقـــال ان الدهان الأديم الاحمر (٢).

فقد كشف الفراء عن صورتين متعاقبتين من صور التشبيه هما تشبيه السماء بالـــوردة وتشبيه الوردة بالدهان يقول استاذنا الدكتور محمد عبد الرحمن الكردى " ولقـــد كشف الفراء ايضا لونا آخر من التشبيه وهو التشبيه المتعدد وان كان لم يسمه بهـــذا الاسم فهو الذى كشف مادته التى سميت بعد ذلك بالتشبيه المتعدد وذلك فى قولـــه تعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان (٣)

---

(١) معانى القرآن ٢ / ١٢
(٢) معانى القرآن
(٣) التشبيه بين عبد القاهر وابن الأثير صـــ ١١

ولعل استاذنا يقصد أنه أول نص يتناول بالتفصيل تحديد أطراف هذا النوع من التشبيه وبيان الوجه فيه وهو كذلك لا أنه أول من اكتشف هذا النوع فقد سبق أن اشرت الى أن أبا عمرو بن العلاء والاصمعي كانا يتقبلان بالاستحسان والاعجاب قول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير ... الهيت لما فيه من حسن الجمع بين تشبيهين . يقول باحث آخر أن الفراء " قد احسن فهم الدور الذي يقوم به التشبيه في التصوير فتراه قسمين أو صورتين متعاقبتين صورة السماء منشقة وصورة الوردة ثم صورة الدهان والصورتان الأخيرتان مركبتان لتوضيح وجه الشبه (١)

وقد نقل وجهة النظر هذه الاستاذ محمد شريف الخياط في رسالة علمية دون أن يشير الى صاحبها مع أنه نقل النص بحروفه حيث جاء في رسالته تعليقا على الآية " فقد أجاد في هذا المثال ادراك التشبيه بأقسامه وعرف أنه مركب هنا من قسمين أو صورتين متعاقبتين صورة السماء منشقة وصورة الوردة ثم صورة الدهان والصورتان الاخيرتان مركبتان لتوضيح وجه الشبه (٢)

ولكن هل التشبيه في الآية متعدد أو مركب ؟

لقد حصر المتأخرون التشبيه المتعدد في أربعة انواع " ان كان التعدد في المشبه به وحده سمي تشبيه الجمع وان تعدد المشبه سمي تشبيه التسوية وان تعدد طرفاه معا فان ذكرت المشبهات ثم المشبهات بها فتشبيه ملفوف وان ذكر كل مشبه مع ما شبه به فمفروق (٣)

وبالنظر الى تفسير الفراء من أن السماء مشبهة بالوردة والوردة مشبهة بالدهان لا تكون الآية من التشبيه المتعدد الذي اصطلح عليه المتأخرون وان جاز اطلاق هذا الاسم عليها لدى بعض المفسرين الذين يذهبون الى أن السماء مشبهة بالوردة والدهان .

أما القول بأنها من التشبيه المركب الذي يقتضي أن يكون وجه الشبه هيئة منتزعة من متعدد فهذا مالا يقبله النص بحال .

وأقرب المصطلحات في نظري الى هذه الصورة أن يسمى تشبيها متعاقبا أو متداخلا وكتاب معاني القرآن للفراء كان مادة خصبة لمؤرخي البلاغة العربية الذين كثيرا ما كان يحلو لهم المقارنة بينه وبين كتاب مجاز القرآن لأبي عبيدة وكم جاءت أحكامهم متباينة

---

(١) أثر القرآن في تطور النقد العربي ص ٥٦
(٢) التشبيه في الفروق الاربعة الهجرية الاولى ص
(٣) امالي عبد الرازق ص ٧٨

فهذا باحث يقول :

وحين نتحدث عن التشبيه البلاغى نرى أن الفراء هو صاحب الفضل فيه اما التشبيه بمعناه اللغوى فهو قدر مشترك بين العلماء نجده عند الفراء كما نجده عند ابى عبيدة يقول فى مجازه عند قوله تعالى " يضاهئون قول الذين كفروا " ومجاز المضاهاة مجاز التشبيه ولم أعثر عنده على تشبيه بمعناه البلاغى ".

ويمضى الى القول " ولهذا أوجه دعوة أشبه ما تكون بالرجاء الى المشتغلين بالدراسات البلاغية أن يعيدوا النظر فى تاريخ نشأتها من جديد على ضوء ما انتهى اليه عند الفراء وما يلفونه من لمحات بلاغية قد تغير كثيرا من المفاهيم التى استقر عليها الرأى أو يكاد (١) .

أرأيت كيف يكون التعجل والتعصب من الدارسين لمن يتخصصون فى دراسته فهو لا يجد تشبيها واحدا فى مجاز القرآن بمعناه البلاغى فهل التشبيه فى قوله تعالى " نساؤكم حرث لكم " لا يحمل دلالته البلاغية ؟

وهل يلزم من اعلاء شأن " معانى القرآن " أن نضع من قدر المجاز ثم أبى دعوة يوجهها هذا الباحث ليغير من تاريخ نشأة البلاغة العربية اذا كان هو لا يعرف أن لأبى عبيدة كتابا آخر قد غير بالفعل كثيرا من المفاهيم فى تاريخ نشأة هذا الفن ولكن التغيير هذه المرة كشف النقاب عن فهم ناضج لابى عبيدة أكد ادراكه الكامل للتشبيه ولاركانه سواء ما كان منه مفردا او مركبا كما كان يعرف التمثيل والاستعارة مما يجعله احد الاعلام البارزين فى تاريخ نشأة البلاغة .

وعلى النقيض من ذلك نجد بعض الباحثين يقللون من دور الفراء فى مباحث البيان ويرون أن فهمه للتشبيه لا يتعدى طبيعته اللغوية يقول احدهم " واذا كان التشبيه هو الاصل فى التجاوز سواء فى اسناد الافعال أو الضمائر فمن الطبيعى ان يتوقف الفراء عند المثل ــ التشبيه ــ وقفة تكشف عن طبيعة فهمه له ومن الطبيعى أن تكون وقفة النحوى الذى تستلفت نظره ظواهر نحويه فى الاسلوب (٢)

ويقول الدكتور عبد القادر حسين " فاذا تقدمنا مع الزمن لنرى نظرة الفراء الى التشبيه نجده قد فهمه كما فهمه من قبل ابو عبيدة بل ربما كان مقصرا عن ابى عبيدة وسيبويه حيث لمسنا ألوانا من التشبيه لم يعرفها الفراء (٣) والحق أن كلا الفريقين

---

(١) ابو زكريا الفراء ومذهبه فى اللغة والنحو ص ٣١٢
(٢) قضية المجاز فى القرآن ص ١٢٠
(٣) اثر النحاة فى البحث البلاغى ص ١٥٣

يفتقر الى التروى والانصاف . ذلك أن المقارنة اذا كانت بين " مجاز القرآن " و " معانى القرآن " فلنذكر دائما أن كتاب ابى عبيدة أسبق وكان منحاه معرضا للطعن والرفض من جانب علماء عصره الذين كانوا يتحرجون من تأويل القرآن والقول فيه بالرأى .

وبرغم ما أبداه ابو عبيدة من شجاعة فى الجهر برأيه الا أنه كان يؤثر أن تكون خطواته حذرة متمهلة حتى يتبين مواقع أقدامه فى طريق يعلم أنه ملىء بالالغام ومن ثم فقد كانت ملاحظاته البيانية اشارات ولمحات استغنى بها عن التفصيل والتوضيح وقد روى أن أبا عبيدة دخل فى معارك مع معاصريه من أجل ذلك حيث انهم اعتبروا ما جاء به بدعا من القول وحديثا بالهوى فى كتاب الله يقول الاستاذ سيد نوفل " واذا ضممنا الى هذا أن أبا عبيدة ألف كتابه مجاز القرآن بعد مسألة التشبيه التى روينا هنا وأن عالما كالاصمعى اعتبره بدعا لم نبعد اذا قلنا ان المجاز عند ابى عبيدة لوحظ فيه مطلق النقل من الوضع الاصلى (١)

أما كتاب النقائض فقد انطلق فيه دون تحرز او تهيب لأنه يتناول ابداع البشر ولا يمثل القول فيه بالرأى حرجا فى الدين أو وصما بالتجرؤ على كتاب الله ومن ثم فقد عمر كتاب النقائض بتفصيل الملاحظات البيانيه وتوضيحها ولعل هذا هو السر فى أن أبا عبيدة لم يذكر مصطلح الاستعارة فى مجاز القرآن بينما لم يتهيب من ذكره فى النقائض

وكتاب " معانى القرآن " للفراء جاء بعد كتاب أبى عبيدة ولا شك أن سبق أبى عبيدة فى تمهيد الطريق للفراء خفف من حدة الحذر والخوف فجاء كتاب معانى القرآن أكثر وضوحا وتفصيلا فى اشاراته البيانية وان ظلت بعض الهيبة والحذر من خطأ القول فى آيات الكتاب الحكيم حائلا دون الانطلاق الكامل فمقارنته بكتاب مجاز القرآن تجعله أكثر وضوحا وتفصيلا اما مقارنته بكتاب النقائض الذى يتناول انتاجا شعريا لا حرج من ابداء الرأى فيه فانها ترجح كفة النقائض الذى حفل بكثير من مصطلحات البلاغة وتحليل نماذجها .

وبعد فاننا نستطيع القول بأن الفراء شارك مشاركة ايجابية فى قضية الافراد والتركيب فى التشبيه والاستعارة كما هو واضح من النماذج التى قدمناها وهو ان لم يكن قد ذكرها بمصطلحاتها المعروفة لدينا الآن فلا نحسب ذلك تقصيرا ما دام قد أبان عن مراده بالتحليل والتفصيل .

---

(١) البلاغة العربية فى دور نشأتها صـ ٤٨

القــرن الثالث الهجـــــرى

الجاحـــــظ :ـ

ونلتقى فى القرن الثالث بعلم من أعلام المعتزلة واعلم من أئمة البيان وهو أبو عمـــــرو الجاحظ المتوفى سنة ٢٥٥ هـ الذى اعتبره بعض الباحثين موسس علم البيان الكتـــــرة ما ورد فى كتابه " البيان والتبيين " و " الحيوان " من ملاحظات بيانية هامـــــة وان كان كتابه " الحيوان " اكثر خطرا فى تاريخ البلاغة العربية من " البيـــــان والتبيين " على خلاف ما يتوقعه القارئ .

التشبيه المفـــــرد :ـ

ذكر الجاحظ كثيرا من نماذج التشبيهات المفردة المصرح فيها بالأداة تحـــــت اسم المثل . أو التشبيه من ذلك قوله " ويقال فى مثل اذا مدحوا الخف اللطيـــــف والقدم اللطيفة قالوا كأنه لسان حية "(١)

ويفطن الجاحظ الى أغراض التشبيه التى قد تتعدد فى المثال الواحـــــــد طبقا لقصد المتكلم فيقول " ويقولون ما هو الا شيطان يريدون القبح وما هـــــــو الا شيطان يريدون الفطنة وشدة المعارضة وروى عن بعض الاعراب فى وقعة كانـــــت والله ما قتلنا الا شيطان يوصا لأن الرجل الذى قاتلهم كان اسمه شيطان وكان به بـــوص

قال طفيل : وشيطان اذ يدعوهم ويثـــــــوب

وقال ابن مياده :

فلما أتانى ما تقول محـــــارب ... تفننت شياطين وجن جنونهـــا

وهذا كله على وجه المثل "(٢)

التشبيه المركـــــب :ـ

أورد الجاحظ من التشبيهات النادرة عددا من النماذج التشبيهية المركبـــــــة

---

(١) الحيوان ٤ / ٨٣

(٢) الحيوان ١ / ١٤٥ ـ ١٤٦

مما يوحى باعتداده بهذا اللون من التصوير من ذلك قول الأحمر :

يأتب منطلق اللبان كأنـــــــه ٠٠ سيد تنصل من جحور ضمالـــــى

وقال الآخر :

أراتب لحامن سهيل كأنه اذا ما بدا من دجية الليل يطـــــــــرف (١)

وكلاهما من التشبيه المركب ٠

ويتناول التشبيه التمثيلى المركب فيكتفى أحيانا ببيان وجه الشبه كما فى قولـــــه " وذكر الحمار فقال كمثل الحمار يحمل أسفارا فجعله مثلا فى الجهل والغفلـــــــة وفى قلة المعرفة وغلظ الطبيعة " (٢)

واحيانا يتعرض لبيان الطرفين والوجه بما يدل على ادراكه المتركيب فيها ويتضـــــح ذلك من شرحه لقوله تعالى " فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث وان تتركـــــه يلهث " يقول الجاحظ " فليس يريد أن يشبه الذى أوتى الآيات والاعاجيـــــب والبرهانات والكرامات فى بدء حرصه عليها وطلبه لها بالكلب فى حرصه وطلبه فان الكلب يعطى الجد والجهد من نفسه فى كل حالة من الحالات وشبه رفضه وقذفه لها ـــــن يديه وردء لها بعد الحرص عليها وفرط الرغبة فيها بالكلب اذا رجع ينبح بعـــــد اطراد ك له وواجب ان يكون رفضه قبول الأشياء الخطيرة النفيسه فى وزن طلبهـــــا والحرص عليها والكلب اذا أتعب نفسه فى شدة النباح مقبلا اليك ومدبرا عنك لهـــــث واعتراه ما يعتريه عند التعب والعطش " (٣)

فنحن هنا أمام عالم يهتم ببلاغة التمثيل وتحقيق علاقة التشبيه من خلا ل توضيحه للطرفين والوجه توضيحا ينبء عن التركيب ويبدو أن الجاحظ يرى فى الآية تشبيهين أولهما تشبيه من أوتى الآيات والاعاجيب والبرهانات فى بدء حرصه عليها وطلبه لهـــا بالكلب حين يعطى جهده فى كل حالة من الحالات وهو تشبيه تركب طرفاه ووجهـــه وثانيهما شبه فيه رفض من أوتى الآيات وقذفه لها من بين يديه مع فرط الرغبة فيهـــا بالكلب اذا رجع ينبح بعد اطراد ك له فكأن فى الآية صورتين مركبتين من صور التشـــبيه

---

(١) الحيوان ٣ / ١٥ الأقب : الضامر البطن عنى به فرسا ، السيد : الذئب

(٢) الحيوان ٤ / ١٢

(٣) الحيوان ٢ / ١٦ ـ ١٧

وان كان النسق القرآنى قد ربط بينهما ربطا دقيقا محكما بحيث لا يمكن فصلهمـــا

وبذلك يكون الجاحظ قد أدرك الدور الذى يقوم به التشبيه التمثيلى المركـــب فى الآية وأبان عن فهمه لهذا اللون من التصوير كما سبق أن أعجب بالتشبيهـــات المركبة .

يقول الاستاذ محمد على رزق " وعلى الرغم من أن الجاحظ لم يتحدث عن التشـــبيه فى تعريفات ولم يعين أركانه التى حددت فيما بعد الا أننا نرى الجاحظ قـــد أورد فى كتابه " الحيوان " أمثلة من التشبيه متكاملة التركيب فنرى الجاحظ قد ذكـــر أبياتا تدخل تحت ما عرف فيما بعد باسم تشبيه التمثيل وهو الذى يكون وجه الشبه فيـه صورة منتزعة من متعدد " (١)

التشبيه المتعـــدد :ـ

لقد أعجب الجاحظ بالتشبيهات المتعددة وجعل التعدد فيها سببا للنـــدرة والابتكار وذكر نوعين من المتعدد أحدهما عرف بتشبيه الجمع والثانى عرف بالتشـــبيه المتعدد المطوف .

وقد اعطى الجاحظ للأول اسمه الذى نعرفه به الآن يقول الجاحظ " ولا أجمـــع من قولـه :

له أيطلا ظبى وساقا نعامـــة .. وارخاء سرحان وتقريب تتفـــل

وقالوا ولم نر فى التشبيه كقوله حين شبه شيئين بشيئين فى حالتين مختلفتين فى بيـت واحد وهو قوله :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا .. لدى وكرها العناب والحشف البالى (٢)

فالأول يسميه الجاحظ تشبيه الجمع والثانى يعجب به مع النقاد السابقين ويحكم بتفوقـــه وندرته .

الاستعارة المفـــردة :ـ

تعرض الجاحظ للاستعارة المفردة فى قول النمر بن تولب :

---

(١) مفاهيم النقد والبلاغة صـ ٨٢
(٢) الحيوان ٣ / ١٥

العاذل أن يصبح صداى بقفـــرة ٠٠ يصيدا فانى صاحب وقريـــــــب
وذكر أن الصدى هنا مستعار وقال فى قول الشاعر :
وطفقت سحابة تغشاهـــــــا ٠٠ تبكى على عراصها عيناهـــــــا
" جعل المطر بكاء من السماء على طريق الاستعارة "

وهذا ما جعل الدكتور بدوى طبانه يقول " ولعل أقدم من ذكر الاستعـــــارة من علماء الأدب العربى الجاحظ " (١)

فاذا كان يقصد أن الجاحظ اول الأدباء الذين تحدثوا عن الاستعارة باعتبـــار أن أبا عمرو بن العلاء وحمادا والاصمعى وأبا عبيدة من اللغويين لا من الأدبـــاء فنحن لا نختلف معه الا فى ابعاد هؤلاء عن دائرة الأدب واكراههم على التخصـــص فى اللغة وهم أبعد ما يكونون رضا وقناعة بالتخصص فى علم واحد وقد اشرت من قبـــل عند الحديث عن سيبويه أن هذا العصر لا يعرف التخصص وانما هو عصر الموسوعـــات العلمية وهو ما ينطبق على الجاحظ أيضا ٠

أما اذا كان يقصد أن الجاحظ هو أول من ذكر الاستعارة على الاطلاق فهـــذا غير صحيح لانه سبق بأبى عمرو والاصمعى وحماد وأبى عبيدة

والجاحظ ادرك أن الاستعارة ضرب من المجاز حيث صرح بذلك فى قولـــه " على أننا لو تأولنا الذبح على مثال تأويل قولنا فى ذبح ابراهيم عليه الســـلام انما كان ذلك ذبحا فى المعنى لغيره أو على معنى قول القائل أما أنا فقد ذبحتـــه وضربت عنقه ولكن السيف خانني أو على قولهم ذبح الملك الذبيح أو على قولهم فجئـــت وقد ذبحتنى العطش لكان ذلك مجازا " (٢)

وترد الاستعارة فى كتاب الحيوان كثيرا تحت اسم المثل أو التشبيه او الاشتقـــاق يقول الجاحظ تحت عنوان المجاز والتشبيه فى الأكل " وقد يقولون ذلك ايضا علـــى المثل والاشتقاق وعلى التشبيه فان قلتم قال الله عز وجل فى الكتاب " الذين قالـــوا ان الله عهد الينا ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار " فقد علمنا أن الله

---

(١) علم البيان صـ ١٦٠
(٢) الحيوان ٤ / ٣٠

عز وجل انما كلمهم بلغتهم وقد قال أوس بن حجر :

فأشرط فيها نفسه وهو معصم ٠٠ وألقى بأسباب له وتوكلا
وقد أكلت أظفاره الصخر كلما ٠٠ تعاناها عليه طول مرقى توصلا
فجعل النحت والتنقص أكلا (١)

الاستعارة التمثيلية :ـ

وتأتى الاستعارة التمثيلية تحت اسم المثل أيضا كما جاء فى كتابه " البيان والتبين " (وضرب الله عز وجل مثلا لمن اللسان وردائة البيان حتى شبهه بالنساء والولدان فقال تعالى " أو من ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين) (٢)

ويبدو من حديثه أن الرجل الذى اللسان مشبه بالمرأة التى لا هم لها الا الحلى ولا تكاد تفصح عما تريد ٠ وهو ما يمكن ادخاله فى الاستعارة التمثيلية ٠

وقد ذكر أستاذنا الدكتور محمد عبد الرحمن الكردى " أن الجاحظ يستعمل كلمة مثل مريدا بها التشبيه لا المعنى الاصطلاحى عند المتأخرين الذين جعلوه خاصا بالاستعارة التمثيلية التى دارت على الألسنة واشتهرت عنه " ويقولون فى اصابة معين المعنى بالكلام الموجز فلان يقل المحز ويصيب المفصل وأخذوا ذلك من صفة الجزار الحاذق فجعلوه مثلا للمصيب الموجز ويقول عن الحمار فى قوله تعالى كمثل الحمار يحمل أسفارا " فجعله مثلا فى الجهل والغفلة وقلة المعرفة وغلظ الطبيعة فالجاحظ يستعمل كلمة المثل قاصدا بها التشبيه (٣)

فالمثل مصطلح عام وطلقه الجاحظ على التشبيه المفرد والمركب والاستعارة مفردة ومركبة وقد صرح الدكتور شوقى ضيف أن الجاحظ أدخل الاستعارة التمثيلية فى دائرة المجاز يقول " ونراه ـ أى الجاحظ ـ يدخل الاستعارة التمثيلية هى الأخرى فى المجاز اذ يقول ونار تأتى على طريق المثل لا على طريق الحقيقة نحو قول ابن ميادة :

---

(١) الحيوان ٥ / ٩
(٢) البيان والتبين ١ / ١٢
(٣) التشبيه بين عبد القاهر وابن الاثير ص ١٢

وناراه نار ، نار كل مدفـــــــع ٠٠ وأخرى يهيب المجرمين سعيرهـــــا (١)

ونحن لا ننكر أن تكون الاستعارة من المجاز ولكننى لا أرى فى البيت استعارة تمثيليـــة بل هو مجاز مفرد فى النار التى أراد بها الحرب وهو واضح من سياق حديث الجاحـــظ حيث ذكر قبل ذلك النار المستعملة فى حقيقتها وهى النار التى توقد للضيفان ثم قـــال " ويذكرون نارا أخرى وهى تأتى على طريق المثل لا على طريق الحقيقة كقولهـــــم فى نار الحرب ٠٠٠ ثم ذكر البيت)) (٢)

فمن أين يجىء التمثيل اذا كانت النار مستعملة فى الحـــرب ؟

وأخيرا فاذا كان بعض الباحثين يعتبر الجاحظ مؤسس علم البلاغة العربيـــــــة " ذلك بأنه قد جمع ما يتصل به من كلام سابقيه ومعاصريه وشرحه وأضاف اليـــه " (٣) فأننا نقول ان الجاحظ أسهم بدور بارز فى حديث الافراد والتركيب والتعدد تشبيهـــا واستعارة ٠

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ صـــ ٥٥
(٢) الحيوان ٥ / ٤٤
(٣) البلاغة العربية فى دور نشأتها صـــ ١٧٠

ابن قتيبـــــــة

واذا كانت هذه جهود علم من أعلام المعتزلة فان علما من أعلام أهل السنة عاصـــــر الجاحظ وساهم فى وضع اسس البلاغة العربية مساهمة جادة ذلك هو ابن قتيبـــــــة المتوفى سنة ٢٧٦ هـ ٠

وآثار ابن قتيبة التى حفلت بالمصطلحات البيانية كثيرة ومتعددة أهمها تأويل مشـــكل القرآن ــ الشعر والشعراء ــ تأويل مختلف الحديث ــ المعانى الكبير ٠ والكتـــــب الثلاثة الأولى حظيت بدراسة الباحثين فى تاريخ البلاغة وكان تأويل مشكل القـــــرآن اكثرها حظا وهو بالطبع أهمها فى هذا المجال ٠

أما كتابه " المعانى الكبير " فللأسف لم يتناوله ــ فيما أعلم ــ أحد ممن تصـــــدوا لدراسة بلاغة ابن قتيبة مع انه لا يقل خطرا فى تاريخ البلاغة العربية عن كتاب مشـــكل القرآن وان كان ينحو منحى الدراسة التطبيقية بعيدا عن التنظير ٠ واذا كنا قد اكدنـــا فيما سبق أن دراسة بلاغة أى عبقرية من خلال كتابه المجاز وحده قصور كبير فاننـــــا نؤكد أن دراسة بلاغة ابن قتيبة بعيدا عن كتاب المعانى الكبير تتسم بنفس القصـــــور ولذلك فاننى سوف أتناول قضيتى من خلال هذه الكتب جميعا حتى يمكن اعطاء صـــــورة صحيحة لفهم هذا الرجل وتقويما حقيقيا لفكره ٠

الاستعـــــــارة :ــ

ففى باب الاستعارة من كتاب تأويل مشكل القرآن يطالعنا ابن قتيبة بمفهوم واســـــع للاستعارة يدخل فيه التشبيه البليغ مثل قوله تعالى ((نساؤكم حرث لكم)) وقولـــــــه تعالى ((هن لباس لكم)) وليس هذا بمستغرب بمن ابن قتيبة اذا علمنا أن كثيرا مـــــن رجالات البلاغة وفى قرون مختلفة يذهبون هذا المذهب ٠ غير أن ابن قتيبة لا يقصـــــر الاستعارة على التشبيه بل يتسع بها لتشمل المجاز المرسل والكناية ونحن فى غنى عن ذكر الأمثلة لما لا يتصل بموضوعنا ٠

الاستعارة المفردة :ــ

تعرض ابن قتيبة فى هذا الباب للاستعارة المفردة فى الفعل ووضح علاقة التشـــــبيه بين طرفيها وذلك فى قوله ((ويقولون ضحكت الأرض)) اذا أنبتت لأنها تبدى عن حســـــن النبات وتنشقق عن الزهر كما يفتر الضاحك عن الثغر (١)

(١) تأويل مشكل القرآن صـ ١٠٢

كما يتعرض للاستعارة المفردة فى الاسم ويطلق عليها المثل مما يجعل لفظ المثل عنده يعنى التشبيه بمفهومه الواسع الذى يشمل التشبيه الاصطلاحى بقسميه التشبيه والتمثيل كما يشمل أيضا الاستعارة مفردة ومركبة باعتبار العلاقة التشبيهية فيها يقول ابن قتيبة فى باب الاستعارة " وقال المسيب بن علس ":

دعا شجر الأرض داعيهم .·. لينصره السدر والأثأب

أراد أنه دعا عليهم الخلق يعتضرهم فضرب الشجر مثلا لكثرة الناس (١) وتناول ايضا الاستعارة المفردة غير المقيدة وذلك فى قوله تعالى " وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر " حيث يقول سمى الحافر ظفرا على الاستعارة (٢)

الاستعارة المتعددة :ـ

وذكر أيضا الاستعارة المتعددة فقال " ومنه ـ يقصد من باب الاستعارة ـ قوله عزوجل ((أو من كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس)) اى كان كافرا فهديناه وجعلنا له ايمانا يهتدى به سبل الخير والنجاة ((كمن مثله فى الظلمات ليس بخارج منها)) أى فى الكفر فاستعار الموت مكان الكفر والحياة مكان الهداية (٣)

فواضح أن الآية ضمت استعارتين مفردتين على سبيل التعدد كما يفهم من كلام ابن قتيبة .

الاستعارة المركبة :ـ

أما الاستعارة المركبة فقد أورد لها النماذج التطبيقية وأبان عن علاقة التشبيه فيها مما هو ناطق بتركيب طرفيها . يقول ((ومنه قوله تعالى ((كلما اوقدوا نارا للحرب اطفأها الله)) يريد كلما هموا حربا وأجمعوا أمرا ليحاربوا النبى صلى الله عليه وسلم سكنه الله ووهن أمرهم (٤) .

وحديثه هذا فى غنى عن الايضاح فأمر التركيب فى هذه الاستعارة بين لائح

---

(١) تأويل مشكل القرآن صـ ١٣٧
(٢) تأويل مشكل القرآن صـ ١١٦
(٣) تأويل مشكل القرآن صـ ١٢١
(٤) تأويل مشكل القرآن صـ ١١٢

ويورد فى كتابه تأويل مشكل القرآن نموذجا للاستعارة التمثيلية ويعده من ضـــرب المثل • وذلك حيث يذكر قوله تعالى ((أيود احدكم أن تكون له جنه من نخيل وأعنـــاب تجرى من تحتها الأنهار وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت))

ويعقب على الآية بقوله ((هذا مثل ضربه الله تبارك وتعالى للمنافقين والمرائيـــن بأعمالهم ولسنا فى حاجة الى اعادة القول بأن هذا ما ذكره ابن عباس لعمر بن الخطـاب وهو دليل على أن المصطلحات البلاغية ليست وليدة عصر ابن قتيبة او القرن السابق لـــه • ثم يمضى ابن قتيبة فيقرن هذه الآية وهى من الاستعارة التمثيلية بآية أخرى من التشـــبيه التمثيلى ويطلق عليها أيضا لفظ المثل ليقول " وقد ضرب الله لهم قبل هذا مثلا فيـــه هذا المعنى بعينه فقال ((كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الأخـــر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا لا يقدرون على شىء مما كسبوا)) (١)

والآية الأخيرة من التشبيه التمثيلى المركب كما هو واضح وهذا يدفعنا الى القـــول بأن المثل يعنى به التشبيه سواء كان تشبيها اصطلاحيا أم استعارة منباها التشـــبيه مفردة أو مركبـــة •

التشـــبيه :ـ

وفى كتاب المعانى الكبير نعثر على كم هائل من النماذج التشبيهية والتمثيليـــة مفردة ومركبة ومقيدة مشفوعة بالشرح والتوضيح مما يجعلنا نتساءل كيف ينظر الباحثون مثل هذا الكتاب وهم يؤرخون للبلاغة العربية ثم يتساءلون لماذا أفرد ابن قتيبـــة بابا للاستعارة فى كتابه المشكل ولم يفرد بابا للتشبيه ويحكمون على ابن قتيبة ظالمـــا بأنه لا يهتم بالتشبيه اهتمامه بالاستعارة يقول أحد الباحثين ((وتتضح قلة اهتمامـــه بالتشبيه بصورة أظهر حينما نرجع الى كتابه تأويل مشكل القرآن فاننا لم نجد فيـــه كلاما على التشبيه مما يثير اثارة تلفت النظر حيث توحى للمتتبع ان يرى أن ابن قتيبـــة لا يعطى للتشبيه قيمة كبيرة بالتقاضى عن عدة من الصور البيانية الرائعة التى يجب على من يتصدى الى ابراز روعة الأسلوب البيانى للقرآن أن يظهر ما فيه من تشبيه (٢)

---

(١) تأويل مشكل القرآن صـ ٢٤٩ ـ ٢٥٠

(٢) التشبيه فى القرون الاربعة الهجرية الاولى صـ ١٤٨

فالقول بأن ابن قتيبة لم يهتم بالتشبيه ناشئ عن القصور الذى أدى اليه اهمال الكاتب وغيره لكتابة الهام " المعانى الكبير " فمن يتصفحه يعلم يقين أن ابن قتيبة كان مفرطا بالنماذج التشبيهية الى حد يتصور معه القارئ أن هذا الكتاب الضخم ما هو الا نموذج تطبيقى على باب التشبيه .

وأما أن ابن قتيبة لم يفرد بابا للتشبيه فى كتابه تأويل مشكل القرآن فان عنوان الكتاب فيه الجواب على هذا التساؤل حيث ان الغرض من الكتاب التعرض لما اشكل فهمه من القرآن . والتشبيه كان من الوضوح لدى المتلقى بحيث لم يعد يمثل مشكلا يحتاج الى تأويل اللهم الا بعض قليلة تعد على الأصابع احتاجت الى الايضاح فتناولها بما يوضح ملامح التصوير فيها وقد سبق ابو عبيدة والجاحظ الى توضيح الآيات المشكلة فى التشبيه . فالاستعارة فى هذا الكتاب أحوج الى هذا الباب بخلاف التشبيه الذى لم يكن بحاجة الى أن يفرد له مثل هذا الباب .

التشبيه المركب :ـ

فى كتاب المعانى الكبير يذكر ابن قتيبة التشبيه المركب الذى يسميه جمهور المتأخرين تشبيها تمثيليا ويسميه ابن قتيبة مثلا

قال ضمرة

والخيل من خلل الغبار خواذج ∴ كالتمر ينثر من جراب الجرم

الجرم : الصرام وهذا مثل . يقول : الخيل فى الغبار منتشرة كأنها تمر ينثر من جراب (١)

فهذا تمثيل كلا طرفيه مركبان كما هو واضح من تحليله للبيت وهذا مثال آخر تحس من خلاله الدقة البالغة فى ادراك ابن قتيبة لعناصر التركيب فى هيئة المشبه والمشبه به والقيود التى تكمل عناصر هذا التركيب واضعا كل لبنة فى مكانها من البنية التركيبية للتشبيه .

يخرجن من خلل الغبار عوابسا ∴ كأصابع المقرور ألقى يصطلى

يقول : خرجت الخيل متقاربا بعضها من بعض يهادين الغارة كتقارب الأصابع وقال بعضهم شبهها بأصابع المقرور خاصة اذا اصطلى لأنها اذا أدناها من النار قبضها بعض القبض فكادت اطرافها تتساوى (٢)

(١) المعانى الكبير ١ / ٥١ ـ ٥٣

(٢) السابق ١ / ٥٤

وفى قول الكميت يصف الثور

مكبا كما اجتنح الهالكـــــــى ٠٠ على النصل ان طيح المنصـــــــل

يقول : شبه الثور مكبا بصيقل مكب يجلو نصـــــلا (١)

أرأيت كيف وضح صورة التركيب ورأى أن هذه الهيئة فى المشبه لا توجد فى المشبه به الا حين الاضطلاع حيث تتقارب أطراف الاصابع حتى تكاد تتساوى كما نجد ذلك فـــى الخيل الضمرة تتسابق فتتقارب حتى تشبه هيئة هذه الأصابع • وفى المثال الثانـــى أدرك أن هيئة المشبه لا تكتمل الا بقيد أن يكون الثور مكبا حتى تتلاقى مع هيئـــة المشبه به فى صيقل مكب على نصله يجلوه •

وهذه الأمثلة من التشبيه المركب الواقع فى هيئات الحركات المجردة والذى لا يمكـن فض التركيب فيه أو تفريقه لأن هيئة الحركة لا تكتمل الا بالتركيب وهذا مثال للتشبيـــه المركب الذى ضم الى هيئة الحركة اللون أيضا وهو مما لا يمكن فض تركيبه كذلك حـــين يقول ابن قتيبة معلقا على قول الشاعر :

كأن تحت البطن منه أكفيـــا ٠٠ بيضا صغارا ينهش المنقبـــا

((وصف فرسا يسرع فى عدوه فقوائمه الأربع تجتمع على بطنه وهو محجل فشبه قوائمـــه فى اجتماعها وتحجيلها بكلاب بيض)) (٢)

فقد أدرك ابن قتيبة التركيب فى الحركة واللون • كما ألمح ابن قتيبة الى أن هنـــاك تشبيها مركبا يمكن فض تركيبه ليصح تشبيها متعددا ففتح الطريق لمن جاء بعـــــده فها هو ذا يقول تعليقا على قول الشاعر فى وصف فرس

كأنه مسربل أرندجـــــا ٠٠ كما رأيت فى الملاء البردجـــا

((الارندج : جلود سود ، والبردج : السبى ، والملاء : الملاحف

شبه سواد قوائمه بالجلود التى تعمل منها الخفاف وشبه بياض ظهره بالملاء)) (٣)

التشبيه المركب هنا يمكن فض تركيبه وتفريقه بحيث يشبه سواد القوائم بالجلود والبيـــاض بالملاء •

---

(١) السابق ٤ / ٧٤٨

(٢) المعانى الكبير ١ / ٧٩

(٣) السابق ٤ / ٧٣٧

ومثل ذلك ما قاله تعليقا على قول الفرزدق :

كأن أراقما علقت براهـــــا ٠٠ معلقة الى عمد الرخـــــام (١)

((شبه الأزمة بالحيات وأعناقها بعمد الرخـــام)) (٢)

ويبدو أنه يجعل طرفي التشبيه المركبين قابلين للفض بحيث تشبه ازمة الخيل بالحيـــات وأعناقها بعمد الرخـــــام •

وبذلك يكون قد أوحى الى الدارسين من بعده بأن التركيب منه ما يقبل فيه المـــزج الى حد لا يمكن معه التفريق ومنه ما يكون المزج فيه بدرجة تسمح بفض التركيب وجملـــه من التعدد من غير أن تفسد الهيئة وان كان النظر اليه من خلال تركيبه أروع وأجمـــل

التشبيه المقيـــــد :ـ

أما التشبيه المقيد فان نماذجه في هذا الكتاب من الكثرة بحيث تقف شاهدا على حسن ادراك ابن قتيبة لهذا النوع •

فهذا تشبيه مقيد بالوصف يذكره ابن قتيبة ويبين قيده ونوع القيد

كأن لدى ميسورها متن حيـــة ٠٠ تحرك مشواها ومات ضريبهـــا

((مشواها : بدنها كله غير الرأس لأن بدنها اذا ضرب كان مشوى أي خطأ ليس بمقتلهـــا يقال رميت فأشويت اذا اخطأت المقتل • والضريب : الرأس • لانه مقتلها فشـــــبه الزمام بحية هذه صفتها)) (٣)

فهذا تشبيه مفرد غير مقيد وهو الزمام بمفرد مقيد هو الحية التي تحرك مشواها ومسات ضريبها • والقيد هنا وصف • كل ذلك واضح جلي •

ومثل ذلك تراه واضحا أيضا في تناوله لقول الشاعـــر :

صب اللهيف لها السبوب بطفيه ٠٠ تهني العقاب كما يلط المجنـــب

يقول ((الطفية : الهضبة من الجبل صغيرة • والمجنب : الترس • يلط : يستـــــتره وكل ما حجبت شيئا فقد لططت دونه وانما اراد أن هذه الطفية كالترس من ملاستهـــــا ثم زاد في الكلام شيئا من صفة الترس اراد كالترس الملطوط)) (٤)

---

(١) السابق ٤ / ٦٦٩

(٢) المعاني الكبير صـ ٧٣٧ الجزء الرابع

(٣) المعاني الكبير ٤ / ١٢٣

(٤) السابق ٤ / ٦٢٨

فبعد أن أبان عن وجه الشبه أشار الى القيد وهو وصف الترس بوجدير بالذكر أن الصفة هنا معنوية غير عنها بالفعل بلط ووضحها بقوله ((كالترس المطوط)) ثم يتعرض لمثال آخر تقيد طرفاه وبين العلاقة بين الطرفين من خلال هذه القيود فيقول في قول الشاعر

فحط عليها والضلوع كأنها ∴ من الخوف أمثال السهام النواصل

((وقال غيره : السهم اذا سقط نصله فلا يستوى اذا رمى به ولكنه يضطرب فشبه رجفان ضلوعه باضطراب السهام النواصل)) (١)

فالمشبه مقيد بالحال ((من الخوف)) وهذا القيد له دخل في تحقيق وجه الشبه لان الخوف هو الذى يصنع اضطراب الضلوع كما أن المشبه به مقيد بالصفة وهى ((النواصل)) لأن السهم اذا سقط نصله اضطرب .

ومثال آخر تقيد فيه المشبه به وحده بالاضافة وابن قتيبة يوضح القيد ونوعه وأثره في صحة الصورة ففي قول ذى الرمة يصف صوت الرجل :

كأنا يغدى بيننا كل ليلة ∴ حداجد صيف من صرير المآخر

((شبه صرير مآخر الرجل بأصوات الحداجد ونسبها الى الصيف لانها لا تصيح الا في الصيف)) (٢)

وقد يكون القيد طرفا للمشبه دون المشبه به

((وأهوى له الكفين وامتد حالقه ∴ بجرع كأثناج الزباب الزنابر

شبه جرعة حين مر الابن في حالقه بأوساط هذا الفأر والزنابر العظام)) (٣)

المثل :-

اما المثل فيرد كثيرا في كتاب المعاني الكبير مرادا به الاستعارة التمثيلية المركبة ففي قول الشاعر :

أني أتيح لها حرباء تنضبة ∴ لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

---

(١) المصدر السابق ٤ / ٦٢٨

(٢) المصدر السابق ٤ / ٦٨٠

(٣) المعاني الكبير ٤/ ٦٥٧

يقول ((تنضبه : شجرة ، والحرباء اذا لجأ الى شجرة فزالت الشمس عنها تحـــــول الى اخرى أعدها لنفسه ، وهذا مثل يضرب للملحف اى أنه لا يدع حاجة الا ســـــأل اخرى)) (١)

فهذه استعارة تمثيلية مركبة شرحها ووضح طرفيها وأطلق عليها اسم المثل وفـــــى قول الشاعـــر :

ازجر حمارك لا يوتح بروضتنـــــا ٠٠ اذا يرد وقيد العير مكـــــروب

يقول ((هذا مثل ، يقول رد شرك عنا لا تعرض لنا والا تفعل يرجع اليك امرك ضيقـــا عليك)) (٢)

وكما يطلق المثل على الاستعارة المركبة يطلقه ايضا على الاستعارة المفردة ففـــــى قول الشاعـــر :

تنمى بها اليعسوب حتى أقرهـــا ٠٠ الى مألف رحب المباءة عاســـــل

يقول ((والمباءة : مرجع الابل اى مبيتها الذى تأوى اليه فضربه مثلا (٣)

فشأنه فى ذلك شأن كتاب مشكل القرآن ، على أنه يصرح بلفظ الاستعارة المفـــــردة أحيانا ففى قول الشاعر :

حتى أشب لها وطال ايابهـــــا ٠٠ ذو رجلة شتن البراثن جحنـــب

((يقول أبطأ رجوعها وطال حبسها فى مسرحها واستمكن من أخذه ذو رجلة صبور علـــى المشى وقوله شتن البراثن والبرثن لا يكون للانسان انما هو للسباع فأستعاره)) (٤)

التشبيـــــل :ـ

وقد رأيت ابن قتيبه يستعمل لفظ التمثيل كلون مغاير للتشبيه ولعله ادرك ما فـــــى التمثيل من التركيب ، ففى كتابه تأويل مختلف الحديث يورد قوله صلى الله عليه وســـــلم ((الحجر يمين الله تعالى فى الارض يصافح بها من شاء من خلقه)) ويعلق بقولـــــه " ان هذا تمثيل وتشبيه وأصله أن الملك كان اذا صافح رجلا قبل الرجل يده فكان الحجر لله تعالى بمنزله اليمين من الملك تستلم وتلثم)) (٥)

(١) السابق ٤ / ٦٦٢
(٢) المعانى ٤ / ٧٩٤
(٣) السابق ٤ / ٦٢٠
(٤) السابق ٤ / ٦٢٢
(٥) تأويل مختلف الحديث ص ٢٧١

والذى افهمه من توجيه ابن قتيبه لهذا الحديث أن فيه تشبيها وهو تشبيه الحجـــــر بيمين الله وفيه ايضا تمثيل على سبيل الاستعارة شبهت فيه منزلة الحجر من الله تعالـــــى بمنزله اليمين من الملك وكل منهما يشترك فى الاستلام والتقبيل وكل من الطرفين صـــــورة منتزعة من أمور فمراد ابن قتيبه من التمثيل هنا هو الاستعارة التمثيلية المركبة •

ومثل ذلك ما جاء فى قوله تعليقه على ما جاء فى الحديث القدسى " من تقـــــــرب الى شبرا تقربت منه ذراعا ومن تقرب منى ذرعا تقربت منه باعا ومن أتانى يمشى أتيته هرولة)) ((ونحن نقول ان هذا تمثيل وتشبيه وانما اراد من أتانى مسرعا بالطاعة اتيته بالثـــواب أسرع من اتيانه فكنى عن ذلك بالمشى والهرولة)) (١)

فهو يطلق هنا التمثيل على الاستعارة التمثيلية المركبة الطرفين حيث شبه من يأتيـــه مسرعا بالطاعة بمن يتقرب منه تقربا حسيا كما شبه سرعة اثابة الله تعالى له بمن يتقـــــرب منه اكثر من تقربه •

أما قوله فكنى عن ذلك بالمشى والهرولة فلعله يقصد بالكناية هنا الاضمار والاخفـــــاء يؤيد ذلك تعليقه على قول الرسول عليه السلام ((انى لاجد نفس ربكم من قبل اليمـــن حيث يقول ((وهذا من الكناية لأن معنى هذا أنه قال كنت فى شدة و كرب وغم من أهـــل مكة ففرج الله عنى بالانصار يعنى انه يجد الفرج من قبل الانصار وهم من اليمن كالريـــح من فرج الله تعالى وروحه كما كان الانصار من فرج الله تعالى)) (٢)

فلفظ الكناية هنا وارد بمعناه اللغوى وهو الاضمار ذلك أن شرحه المحدثين ناطـــق بعلاقة التشبيه بين طرفى التمثيل المركب ولما كان التمثيل يقتضى حذف المشبه واضمـــاره عبر عن ذلك بقوله كنى

ولا داعى لما ذكره الدكتور عبد القادر حسين من أن هذا المثال من الكنايـــــة التى تركب طرفاها والتى يسميها كناية تمثيلية •

وبعد فان ابن قتيبة بهذه الجهود الرائعة التى أسهمت اسهاما كبيرا فى تطـــــور ونماء البحث البلاغى بصاحة والافراد والتركيب فى التشبيه والاستعارة بصفة خاصـــــــة

(١) تأويل مختلف الحديث صـ ٢٨٤

(٢) تأويل مختلف الحديث صـ ٢٦٨

نقول
يجملنا بأنه افاد فى دفع عجلة بحثنا بما لم يفده احد ممن سبقوه أو عاصروه ولا أحسبنى مغاليا اذا قلت أن أبحاثه تمثل الدراسة الجادة والأولى من نوعها فى موضوع هذا البحث بما صاحبه من تفصيل ووضوح كما اننى أعتقد أن ما جاء فى كتاب المعانى الكبير يعد من اعظم الآثار التى تركها لنا القرن الثالث الهجرى فى مجال البحث البلاغى ولا يـــزال هذا الكتاب فى حاجة الى دراسة متأنية لاستخراج ما فيه من ملاحظات بلاغية جليلـــة الخطر •

واذا كنت قد اقتطفت من هذا الكتاب بعض ما يتعلق بموضوع البحث فانى اهيـــب بمن يتصدى لتاريخ البلاغة أن يتوافر على دراسة هذا الكتاب واعتقد أنه سيجد فيـــه ما يغير كثيرا من المفاهيم •

الاشنانداني

ونقع على كتاب آخر ينحو منحى كتاب " المعانى الكبير " وهو كتاب " معانى الشعر " لأبى عثمان سعيد بن هارون الاشنانداني من رجال القرن الثالث الهجرى • وقد وردت فى هذا الكتاب مصطلحات البلاغة من خلال شرحه للنماذج الشعرية الحافلة بالتشبيهات والاستعارات

وكما أن كتاب المعانى الكبير لابن قتيبة لم يعره الباحثون فى تاريخ البلاغة اهتماما فان كتاب " معانى الشعر " لم يلتفت اليه أحد — فيما اعلم — مع أنه لا يقل خطرا فى مجال البحث البلاغى عن أى كتاب ألف فى عصره من الكتب التى حظيت باهتمام باحثى البلاغة غير أن اهمية " معانى الشعر " لا ترجع الى ماضمه من مصطلحات بيانية وانما أهميته تكمن فى طريقة العرض والتحليل للصور البلاغية التى يوردها ويبدى اسرار الجمال فيها متناولا مادتها بالشرح والتحليل وباحثا عن العلاقة بين اجزائها

المثل :-

واذا كان لفظ المثل قد شاع استعماله فى كتاب المعانى الكبير وقبله كتب الجاحظ وكان يراد منه التشبيه بمفهومه العام الذى يشمل التشبيه الصريح والتمثيل ويشمل الاستعارة باعتبارها قائمة على التشبيه فان كتاب معانى الشعر يسير على هذا النهج فى استخدام مصطلح المثل وهو اكثر مصطلحات البلاغة ورودا فى هذا الكتاب •

التشبيه المفرد :-

ورد فى هذا الكتاب التشبيه المفرد بالاداة تحت اسم المثل وقد افصح الكاتب عن طرفى التشبيه المفردين وعن وجه الشبه •

ففى قول الشاعر :

ومشيح ذمر كتائلة الرضف ٭٭ ف خبوص يفهد ثم يبيد

يقول " وقوله " كتائلة الرضف هذا مثل • لان الراعى يصف الى ثلاثة أحجار

---

(١)

فيحميها فيطرح الأول فى اللبن فيسخن ثم يطرح الثانى فينشرثم يطرح الثالـــــــث فينضج والثالث أحماها واشدها حرا فشبه هذا الرجل بثالثة الرضف فى توقده وحرارته (١)

الاستعارة المفـــردة :ـــ

وفى قول الشاعـــــر :

ولما امتطينا صهبها وذلولهـــــا ٠٠ الى أن صحينا الشمس دون السرادق
تقتنا بفلذ من سرارة قلبهـــــا ٠٠ فحمنا عليه بين حاس وذائـــــــق

يقول الاعتاندانى " بفلذ من سرارة قلبها هذا مثل يريد أنهم اصابوا له قليلا فجعلـــه كالفلذ من اللحم والكبد (٢)

فهاهنا استعارة تصريحية مفردة شبه فيها الماء الذى هو نبع الحياة فى صحـــــراء تلتهب نارا بالفلذ من اللحم والكبد ٠ الذى هو مصدر الحياة فى الانسان وقد وضـــــع أطراف الصورة وأبان عن مبناها من التشبيه وان كان أطلق عليها " المثل "

الاستعارة المتعددة :ـــ

وكما يستعمل المثل عنده فى الاستعارة المفردة يأتى تصويرا عن الاستعارة المتعددة التى يوضح اطرافها توضيحا كاملا ويشير الى الجامع بين الطرفين

فبشر بنى حاج بصوب غزيـــــرة ٠٠ من النجم أو نوء ينوء يمتـــــــرب

فبشر بنى حاج وهم بطن من عدوان وقوله " بصوب غزيرة " هذا مثل يقول كنوء الثريـــــا وهو اغزر الأنواء ، وبهجاء ـــ ان لم يطلقوه ـــ كنوء المقرب ، ونوءها : ريح لا مطر فيـــه فجعل الممدح كالقطر فى حسن عواقبه والهجاء كالريح العاصف لافسادها (٣)

فهاهنا استعارتان متعاقبتان جاءتا على سبيل التعدد حلل طرفى كل منهمـــــا وأبان عن وجه الشبه أو الجامع بين الطرفين ثم سماهما مثلا ٠

---

(١) معانى الشعر صـ ٨٦
(٢) معانى الشعر صـ ٢٨ ـ ٢٩
(٣) السابق ٤٥

الاستعارة المركبـــــة :ـ

ويأتى " المثل " دالا على الاستعارة التمثيلية المركبة كما فى قول الشاعـــــر :

اسق ما أسأرته الأكمـــــا ∴ ان عهنا أن ترى علمـــــــا

((يقول : سق ما أسأرته)) فى بعيرك الأكم أى : اعل بهذا البعير الأكم فى طلـب الماء وكأن اتعابه لبعيره بين الآكام أسق ما أسأرتـــــه فى البعير لانه لم يكن أتعـــب بعيره قبل ضلاله فكأنه أسأر فيه بعض البقية فسق تلك البقية الأكم وليس هناك سقـــــى انما هذا مثل)) (١)

وقوله ((فكأن اتعابه لبعيره بين الآكام سقى لها ما أساره فى البعير)) دليل علـــــى تركيب طرفى الصورة التمثيلية " وليس هناك سقى انما هذا مثل " ايحاء بأن فى البيـــت استعارة جاءت على سبيل المثل . وهو ما نطلق عليه استعارة تمثيلية .

هل يجوز حذف بعض اجزاء التركيب فى التمثيلية ؟

أشار الاعناندانى الى أنه قد يحذف بعض أجزاء التركيب من المثل على أن يكـــون هناك دليل على المحذوف يرشد اليه وذلك فى تعليقه على قول الشاعر :

فما كان عمرى بعـــــــارورة ∴ اخوك ولا جاور الفرقـــــــدا

اينوى عياضا ولم أثنـــــــر ∴ ويحتل فى سلوه انقـــــــدا

يقول " و ((أنقد)) مثل . وأنقد هو القنفذ والقنافذ لا تكون الا فى أرض سهلـــــة فأراد أن أخاك لم يمتنع بجبل ولا غلظ ولكن حل أرضا سهلة فيها القنافذ ولا يمتنع فيهـــا وأراد أرض أنقد واكتفى بذكر انقد لأنه قد علم ما أراد)) (٢)

فقد شبه هنا من احتمى بما لا يمنعه ولا يحميه بمن نزل أرضا سهلة فيها القنافـــذ وهى لا تمنع من ينزل فيها من الثأر منه فحذف المشبه المركب وحذف المشبه بـــــه المركب ايضا ولم يبق الا جزءا منه وهو قوله ((أنقد)) وسنرى أن هناك خلافا بين علمـاء البلاغة المتأخرين حول ما اذا كان يمكن الاكتفاء بجزء المشبه به فى الاستعارة التمثيليـة أم أنه لابد فيها من التصريح بالمركب كله

---

(١) السابق ٢٥ ــ ٢٦

(٢) السابق ص ٤٣ ــ ٤٤

التعدد فى المجاز المركب :ـ

ونجد فى معانى الشعر بعض النماذج التى يجئ فيها البيت وقد تعددت الاستعارة المركبة فيه ونجد معها تحليلا كاملا لكل تمثيل على حدة كما صنع فى الاستعارة المفردة التى جاءت على سبيل التعدد •

فقول الشاعر :

اذا ما علا السيل الزبى فأتت دراهم ففيها يميل السيل كل مميـــل

((علا السيل الزبى • هذا مثل يقول اذا بلغ الشرغايته وواحدة الزبى زبية وهى حفـــرة تحفر للأسد وينصب فيها جدى أو كلب ولا تحفر الا فى علو من الأرض فاذا بلغ السيل ذلك الموضع فقد بلغ الغاية وقوله " ففيها يميل السيل كل ميل " هذا ايضا مثل يقول هم فى عزة ومنعة والخوف لا يصل الى دارهم فجعل الخوف كالسيل ولا سيل هناك)) (١)

فالبيت يضم استعارتين تمثيليتين جاءتا على سبيل التعدد ايضا وان كان ثمـــة خيط دقيق يصل بينهما لتكتمل صورة العزة والمنعة لدى هؤلاء القوم •

التمثيل على سبيل الالغـــاز :ـ

وقد أبان الاشتاندانى عن نوع من التمثيل يجئ على طريق الالغاز وذلك فى نموذج تعددت فيه الأمثال الحفردة والمركبة أى ما جاء على سبيل الاستعارة المفردة أو الاستعارة التمثيلية المركبة وذلك حين تناول بيتى الشاعر :

خلوا عن الناقة الحمراء واقتعـــدوا ٠٠ العود الذى فى جنابى زهرة وقـــح

ان الذئاب قد احضرت براثنهـــا ٠٠ والناس كلهم بكر اذا شهـــــدوا

فيقول هذا رجل كان أسيرا فى حى من أحياء العرب فعزم ذلك الحى على غزو قومـــــه فكتب اليهم بهذا الشعر والغز به • قوله " خلوا عن الناقة الحمراء " أراد الدهناء وهى أرض لبنى تميم فشبهها بالناقة لسهولة ركوبها لأنها أرض سهلة فضاء وقوله " واقتعـــدوا العود " يريد الاعمان وهو بلد لبنى تميم أرضه صلبة سمية الموطىء وشبهه بالجمـــل العود لتذكير اسمه والعود المسن من الابل فجعل الاعمان كالعود من الابل وجعـــل فى ظهره وقعا " الوقح " آثار الدبر فى ظهر البعير فشبه الاعمان اما قد وطىء وكثـــرت

---

(١) معانى الشعر ١٤ ــ ١٥

فيه آثار الناس يظهر يصير موقع يقول : امتنعوا بركوب الصمان وخلوا الدهناء لان الصمان وعر وصلب يشق على الخيل أن تطأه والدهناء ممكنة وقوله

" ان الذئاب قد اخضرت براثنها " فالذئاب في هذا الموضع القوم الذين يشبهون عليهم شبههم بالذئاب بختلهم وحرصهم على الغارة و " اخضرت براثنها " هذا مثل يريد أن الأرض اخصبت واخضرت وكثر العشب فيها وأمكن الغزو فالاقدام مخضرة من الكلأ فجعل الأقدام براثن)) (١)

وهذا فن راق من فنون الكلمة استخدمه العربي بلا تكلف في الابانة عما في أعماق نفسه وصل منه الى غرضه المنشود بما أتاحته له لغته الواسعة الثراء عن طريق المجاز حين لم تسعفه الحقيقة في الوصول الى مبتغاه وهي لوحة فنيه ضمت عددا من الأمثال أو الصور الاستعارية مفردة ومركبة اجاد الاشناندانى فهمها وكشف عن ملامحها ووضح خطوطها وبين علاقة المشابهة بين اطرافها .

المجاز المركب لا يمنع التجوز في المفردات :ـ

والجدير بالتنويه هنا أن الاشناندانى حين تعرض للمثل أو للمجاز المركب في قوله " اخضرت براثنها " وحين حلل التجوز التركيبي فيه بقوله " يريد أن الأرض اخصبت واخضرت وكثر العشب فيها وأمكن الغزو لم يمنع اجتماع المجاز المفرد مع المجاز المركب ففي العبارة تمثيل على سبيل الاستعارة وهو مجاز مركب وفي أحد مفردات هذا التركيب مجاز مفرد في لفظ البراثن وهو ما وضحه بقوله " فجعل الأقدام براثن " وهو استعارة تصريحية مفردة وهو ما يذهب اليه المتأخرون من علماء البلاغة حيث يرون أن المجاز المركب في الجملة لا يمنع التجوز في مفرداتها .

---

(١) معاني الشعر ٥٧ ـ ٥٨

ابو العباس المبـــــــرد

أما ابو العباس المبرد فقد افرد فى كتابه الكامل بابا واسما للتشبيه وساق فيـــــه كثيرا من النماذج التشبيهية وعلق عليها باشارات سريعة توحى الى الباحث بالمنهـــــج الذى سلكه المبرد فى عرضه له وهو منهج يعنى فيه بالاحكام العامة دون تحليل أو بســط لما يورده من أمثلة • فهذا تشبيه عجيب وذاك تشبيه مصيب وثالث بعيد ورابع جامـــــع دون بيان لأسباب الاصابة أو البعد وغير ذلك من الأحكام العامة التى يلقيها فى هـــذا الباب وهو ما صرح به الدكتور احمد درويش حيث يقول " ولا ينهج المبرد منهجـــــا تأثيريا منظما فى دراسته للتشبيه ولكنه يعتمد على طريقة التداعى وذكر الشىء بمناســبة الشىء ويلقى الأحكام العامة)) (١) ومع ذلك فان المبرد فى كتابه التفت كثيرا الـــى التشبيه المتعدد وأبان عن سر الجمال فيه كما أنه ألمح الى التشبيه المركب وأدرك أن ثمة تشبيها مفردا لا يقوم بنفسه بل يحتاج الى ما يكمل تركيبه حتى يصح التشبيه وهو بهـــذه الاشارة ينطلق ببحث التعدد والتركيب فى اتجاه النضج والكمال •

التشبيه المتعـــــدد :ـــ

يتعرض المبرد لقول امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابســـــا ٠٠ لدى وكرها العناب والخشف البالـــى

فيتحدث عن سر جمال التشبيه فيه ويرى أنه ضم نوعين من الحسن أولهما الاصابـــــــة فى وجه الشبه وثانيهما ما أفاده الجمع على سبيل التعدد من الاختصار وطرح مالا فائدة له من الكلام مراعى فيه طبع العربى الذى يقوم على الذكاء والالمعية وما ينتج عنهمـــــا من ميل الى الايجاز وكراهية فضول الكلام • وتلك أول اشارة مفصلة الى سر جمال التعدد فى البيت •

يقول المبرد (وهو بعض ما مر للعرب من التشبيه المصيب والمحدثين بعدهم فأحسن ذلك باجماع الرواة ما مر لامرىء القيس فى كلام مختصر أى بيت واحد من تشبيه شـــىء فى حالتين يشبهون مختلفين)) ثم يذكر البيت ويعقبه " فهذا مفهوم المعنى فـــــان اعترض فقال فهلا فصل فقال كأنه رطبا العناب وكأنه يابسا الخشف • قيل له : العربـــى

(١) الصورة الشعرية فى البلاغة والنقد ٦٤

الفصيح الفطن يرمى بالقول مفهوما ويرى ما يعد ذلك من التكرار عيـــــــــــا))(١)
واذا كان هذا البيت قد اصطلح على انه من التشبيه المتعدد المسمى بالملفـــوف فقد تعرض المبرد لنوع آخر من التشبيه الذى تعدد فيه المشبه به وحده وهو ما يسميـــه المتأخرون تشبيه الجمع والمبرد هو الذى سبق الى هذه التسمية وذلك حيث يشـــرع "ومن حسن تشبيه المحدثين قول بشار :

وكأن تحت لسانهـــــــــا ∴ هارون ينفث فيه سحـــــرا
وتخال ما جمعت عليـــــــ ∴ ـــه بنانها ذهبا وعطـــــرا

وهذا تشبيه الجامع ونظيره فى جمع شيئين لمعنيين ما ذكرت لك من قول مسلم بن الوليد :
((كأن فى سرجه بدرا وضرغاما)) (٢)

فالمبرد هو مكتشف هذا اللون وهو الذى وضع له مصطلحه .
كما تعرض أيضا لنوع ثالث من التشبيه المتعدد وهو ما نسميه بالتشبيه المفروق الـــذى يذكر فيه كل مشبه مع ما شبه به وذلك فى قوله ومن أحسن التشبيه وأجمعه قول رجـــــل يهجو رجلا بوثاثة الحال :

يأتيك فى جبة مخرقـــــــــة ∴ أطول أعمار مثلها يـــــــــوم
وطيلسان كالآل يلوســـــــه ∴ على قميص كأنه غيـــــــــم

فالتشبيه فى البيت الاخير هو ما عرف بالمتعدد المفروق وهو فى نظر المبرد حســـــن ملمح .

أما النوع الرابع من التشبيه المتعدد وهو تشبيه التسوية والذى يتعدد فيـــــــه المشبه دون المشبه به فلم يذكره المبرد لانه نادر الوجود فى الشعر العربى .

التشبيه المركـــب :ـ

حديث المبرد عن التركيب نلمس فيه اللمحة الذكية التى كان لها أثرها فيمن جـــاء بعد المبرد وذلك فى قوله "وأما التشبيه البعيد الذى لا يقوم بنفسه فكقوله :

بل لو رأتنا أخت جيراننـــا ∴ اذ أنا فى الدار كأنى حمـــار

---

(١) الكامل ٢/٣٥ ـ ٣٦
(٢) الكامـــل ٢ / ٩٧

فاذا أراد الصحة فهذا بعيد لأن السامع انما يستدل عليه بغيره وقال الله عز وجل وهذا البيان الواضح " كمثل الحمار يحمل اسفارا والسفر : الكتاب وقال " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار فى أنهم قد تمادوا عنها وأضربوا عن حدودها وأمرها ونهيها حتى صاروا كالحمار الذى يحمل الكتب ولا يعلم ما فيها " (١)

فقد أدرك المبرد أن التشبيه بالحمار على الاطلاق لا يقصد به الصحة لأن العرب لم تتعارف عليه فهم يستدلون على ذلك بغير الحمار .

فاذا اريد من التشبيه بالحمار الدلالة على التعب والمعاناة مع عدم الفائدة فلابد من وصف الحمار بما يفيد هذا الشبه كما فى قوله تعالى " مثل الذين حملوا التوراة " .

و هذا ادراك جيد للفرق بين المفرد المستقل بنفسه والمركب الذى لا يتم الشبه فيه الا بالمشبه به وما ينضم اليه من متعلقات حديثه .

و نراه حين يتعرض لقول ذى الرمة فى وصف الظليم

شخب الجزارة مثل البيت سائره ٭٭ من الموج خدب شوقب خشب

يقول بعد أن عده من التشبيه العجيب " الشخب : الضخم الماشى الضعيف ، والجزارة : القوائم وقوله " مثل البيت سائره من الموج يعنى اذا مد جناحيه (٢)

فهو يحاول هنا أن يطابق بين هيئة المشبه وهيئة المشبه به ويلمح الى أن هناك عناصر وقيودا راعاها الشاعر فى هيئة المشبه لتقابل هيئة المشبه به فان ضعف قوائم الظليم وبدوستها لا تبدو مثل بيت سائره من الموج الا اذا كان الظليم ضعيف القوائم ماد جناحيه .

وبتفصيل أكثر يعلق على قول الشاعر :

كأن ذراعيها ذراعا مضلع ٭٭ بعيد السهاب حاولت أن تعذرا

---

(١) الكامل ٢ / ٨٩

(٢) الكامل ٢ / ٣٧

يقول " شبه يديها بيدى مدله بجمال ومنصب قد سايت واقبلت تعتذر وتشير بيد بهـــا فوصف جمالها الذى به تدل ومنصبها المتصل بمن ذكرته " (١)

التمثيـــــــل :ـ

والتمثيل عند المبرد يأتى مرادفا للتشبيه ويطلق على التشبيهات المفردة حســـية وعقلية والتشبيهات المركبة حسية وعقلية ايضا . فهو يقول :

" ومن تمثيل امرئ القيس المجيب قوله :

كأن عيون الوحش حول خبائنـــا ٠٠ وأرحلنا الجزع الذى لم يثقـــب

ومن ذلك قوله :

اذا ما الثريا فى السماء تعرضـــت ٠٠ تعرض أثناء الوشاح المفصـــل " (٢)

فالبيت الاول مفرد حسى قيد المشبه به بوصف تم التشبيه و هو تشبيه باتفاق البلاغيين جميعا ممن يفرقون بين التشبيه والتمثيل والبيت الثانى تشبيه وهو ما يطلق عليـــــه جمهور المتأخرين اسم التمثيل . والمبرد حين يطلق عليهما معا اسم التمثيل انمـــا يدلنا على أن التشبيه والتمثيل لديه مترادفان بينما نراه يقول " ومن أعجب التشـــبيه قول النابغة :

فانك كاالليل الذى هو مدركـــى ٠٠ وان خلت أن المنتأى عنك واســع (٣)

وهذا البيت من التمثيل عند عبد القاهر ويسميه المبرد تشبيها كما يسمى ما كان وجـــه الشبه فيه مركبا تشبيها أيضا فى قوله " ومن عجيب التشبيه قول ذى الرمة :

وردت اعتسافا والثريا كأنهـــا ٠٠ على قمة الرأس ابن ماء محلـــق (٤)

وهو ما يسميه الخطيب والجمهور تمثيلا

ومما يؤكد ما ذهبنا اليه من أن التشبيه والتمثيل يستعملهما المبرد على سبيـــل الترادف تعلقا بالمعنى اللغوى لهما قوله تعليقا على الآية الكريمة (طلعها كأنـــه رؤوس الشياطين) . والتشبيه جار كثيرا فى كلام العرب حتى لو قال قائل هو أكثـــر

---

(١) الكامل ٢ / ٧٤
(٢) الكامل ٢ صـ ٣٦
(٣) الكامل ٢ صـ ٣٦
(٤) السابق ٢ / ٣٦

كلامهم لم يعمد قال الله عز وجل وله المثل الأعلى الزجاجة كأنها كوكب درى وقال طلعها كأنه رؤوس الشياطين وقد اعترض معترض من الجهلة الملحدين فى هذه الآية فقال انما يمثل الغائب بالحاضر ورؤوس الشياطين لم نرها فكيف يقع التمثيل بها ؟ (١) وواضح أنه يتحدث عن التشبيه ويستعمل لفظ التمثيل كمراد فله دون تمييز بينهما

ونحن نتفق فى ذلك مع الدكتور حفنى شرف اذ يقول " والجديد عند المبرد أنه يطلق التمثيل على التشبيه وهى طريقة رواة الأدب التى توسمها (٢) غاية الأمر أن هذا المنحى ليس جديدا فقد رأيناه عند غيره من معاصريه وعند من سبقوه .

ونقول بأن المبرد أول من أدرك الفرق بين التشبيه والتمثيل وأن هذا هو ما ارتآه عبد القاهر واعتمده لا يقوم على دليل مقنع يقول صاحب هذا الرأى ايرى المبرد وهو أول من أدرك هذا الفرق الدقيق أن التمثيل أدق تصويرا وأعظم تجسيما من التشبيه وهذا هو ما ارتآه عبد القاهر الجرجانى واعتمده فقد أفاد المبرد حين أورد بيت امرئ القيس

كأن عيون الوحش حول خبائنا .·. وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب

أنه من التمثيل العجيب " ويمضى الى القول ((فقد جعل المبرد للتمثيل وظيفة أخرى ادق مما يؤديه التشبيه ولعله تعد بهذه التسمية " التصوير والتجسيم)) (٣)

فأما أن عبد القاهر ادرك الفرق بين التشبيه والتمثيل ورأى أن التمثيل أدق تصويرا فهذا حق وأما أن المبرد يرى ذلك فهذا خلاف ما تنطق به الأدلة والنماذج التى سقناها ثم أى تصوير وتجسيم تميز به هذا البيت عن قول الشاعر

فانك كالليل الذى هو مدركى .·. وان خلت أن المنتأى عنك واسع

أو قوله :

وهذت اعتسافا والثريا كأنها .·. على قمة الرأس ابن ماء محلق

أو قوله

كأن ذراعيها ذراعا مدنه .·. بعيد السباب حاولت أن تمذرا

---

(١) السابق ٢/٦٩

(٢) الصور البيانية بين النظرية والتطبيق ٥٩

(٣) التشبيه فى القرون الاربعة الهجرية الاولى ١٦٢

فما الذى ينقص الأبيات فى دقة تصويرها عن الوجه الذى أورده الباحـــــــــث ؟؟

التشبيه المختصـــــــر :ـ

يقول المبرد " والضرب تختصر فى التشبيه وربما أومأت به ايماء قال احد الرجـــاز

بتنا بحسان ومزاده تشـــــــط ٠٠ مازلت أسعى بينهم وألتبـــــــط
حتى اذا كان الظلام يختفـــط ٠٠ جاءوا بعذق هل رأيت الذئب قـط (١)

ففى الشطر الاخير تشبيه مختصر ولعله يقصد بالاختصار حذف اداة التشبيه وفيه ايمـــاء واشارة لأن الشبه بين اللبن المخلوط وروثية الذئب ليس صريحا وانما فيه اشارة خفيـــة الى أن لون اللبن بعد الخلط أصبح شبيها بلون الذئب ٠

المثـــــــل :ـ

وقد عرف المبرد المثل بما يحمله من الدلالة البيانية التى استقرت فى المـــــــرف البلاغى لدى المتأخرين ففى كتاب مجمع الأمثال للميدانى يطالعنا قوله " قال المبـــرد : المثل مأخوذ من المثال وهو قول سائر يشبه به حال الثانى بالأول والأصل فيـــــه التشبيه (٢)

ولعل النص غنى عن القول بأن هذا هو حده المعروف لدينا الآن ٠ وحقا ما ذهب اليه أحد الباحثين من أن قدامة بن جعفر سبق فى التمثيل " الاستعارة التمثيلية " بأبى عبيدة والمبرد وان كانت تسمى لديهما مثلا ويذكر ما جاء فى الكامل (يقال فـــى المثل لا تجعل حاجتى منك بظهر أى لا تطرحها غير ناظر اليهـــــا (٣)

ونحن نضيف الى ذلك انه سبق ايضا بابن قتيبة والاشناندانى كما سبق أن رأينا على صفحات هذا البحث ٠

ونختم الحديث عن جهود المبرد التى تتصل بحديث الافراد والتعدد والتركيـــب

---

(١) الكامل
(٢) مجمع الأمثال للميدانى ١ / ص ٥
(٣) تاريخ البلاغة العربية الى نهاية القرن الرابع ١١٣

بالقول ان ابرز ما فى هذا الكتاب هو حديثه عن التمدد وتناوله لانواعه والمشاركة فى وضع مصطلحاته كما كانت له جهوده الموفقة فى تركيب التشبيه والتلميح الى الفرق بين المفرد والمركب • كما تعرض للاستعارة المركبة من خلال المثل الذى يطلقه على الاستعارة التمثيلية •

ثعلب

ولأبى العباس احمد بن يحيى ثعلب المتوفى سنة ٢٩١ هـ كتاب " قواعد الشعر " وكتاب آخر يسمى " مجالس ثعلب " ومنهما نستطيع الوقوف على اشارات بيانية وثيقة الصلة بما نحن بصدده .

التشبيه :-

تحت عنوان " التشبيه الخارج عن التعدى والقصور " (١) ذكر في كتابه " قواعد الشعر " عددا من النماذج المركبة والمقيدة والمتعددة دون ان يفصح بالتركيب أو التقييد أو يوضح الأمثلة التى ساقها ما عدا اشارته الواضحة الى التعدد

فقد ذكر من أمثلة التشبيه المركب قول امرئ القيس :

كأن دماء الهاديات بنحره ٠٠ عصارة حناء بشيب مرجل

وهو تشبيه تركب طرفان ووجهه حيث شبه لون الدماء حين يختلط بياض نحر الفرس بلون الحناء حين يختلط بياض شعر الرأس وذكر قول امرئ القيس ايضا :

اذا ما الثريا فى السماء تعرضت ٠٠ تعرض اثناء الوشاح المفصل

ووجه الشبه فيه مركب من الهيئة والمقدار والشكل

كما ذكر قول ثعلبة المازنى :

كأن الرباب دوين السحاب ٠٠ نعام تعلق بالأرجل

وتركيب وجه الشبه وطرفى التشبيه مما لا يحتاج الى توضيح .

التشبيه المقيد :-

ومما ورد تحت عنوان التشبيه الخارج عن التعدى والقصور قول امرئ القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنا ٠٠ وارحلنا الجزع الذى لم يثقب

فالمشبه به هنا مقيد بالوصف وهو مالا يتحقق الشبه كاملا الا به فان الجزع المثقوب يقدح فى تمام الشبه لذلك كان القيد مخرجا له ذا التشبيه من التعدى والقصور .

كما اورد ثعلب تحت هذا العنوان قول عدى بن الرقاع

---

(١) راجع قواعد الشعر صـ ٤٠ وما بعدها .

تزجى أغن كأن ابرة روقـــــــــه ٠٠ قلم أصاب من الدواة مدادهـــــا

فالمشبه به مقيد بالوصف ((أصاب من الدواة مدادها)) وهو شرط تحققت به المطابقة بين المشبه والمشبه به فان القلم لا يكون شبيها بطرف القرن الا أن يكون من القلـــــم متلونا بلون المداد وبذلك سلم التشبيه من التمدى والقصور واستحق عدى بهـــــذا الاتقان أن يحسده جرير وهو الشاعر المجيد ٠

واذا كان ثعلب لم يشر الى القيد فى ما ذكره من تشبيهات مقيدة فى كتابـــــه ((قواعد الشعر)) فانه فى " مجالسه " تعرض لقول الشاعر ٠

يحسبه الجاهل ما لم يعلمـــــا ٠٠ شيخا على كرسيه معمـــــما

فوضع القيد فى طرفى التشبيه واشار الى نوع القيد وان لم يصرح بمصطلح التقييـــــد يقول ثعلب تعليقا على البيت " شبه وطب لبن ملفوف بكساء بشيخ فى هذه الصفة "(١)

التشبيه المتعـــدد :ـ

وما جاء تحت عنوان التشبيه الخارج عن التمدى والقصور قول امرئ القيس

كان قلوب الطير رطبا ويابســـا ٠٠ لدى وكرها العناب والحشف البالى

وعلق عليه ثعلب بقوله " زعم الرواة أن هذا أحسن شئ وجد فى تشبيه شيئين بشيئين فى بيت واحد)) (٢)

وهو كما اشرنا فى اكثر من مرة من المتعدد الطرفين والوجه وهذا ما يدفعنـــــى الى القول بأن ما قصد من " التشبيه الخارج عن التمدى والقصور " كل تشـــبيه مقيد او متعدد سواء كان ذلك التعدد على سبيل المزج والتركيب ام على ســـــبيل الاستقلال ذلك ان التمدى والقصور لا يتأتى فى التشبيه المفرد لأن صحة التشـــبيه فيه مرجعها الى تحقق الشبه بين الطرفين بخلاف الشبه المركب او المقيد او المتعدد فهو الذى يفسده التعدى بالزيادة أو التقصير بالنقص ٠

---

(١) مجالس ثعلب القسم الثانى ٥٥٤

(٢) قواعد الشعر صـ ٥٨

الاستعـــــارة :ـ

اما الاستعارة فقد كان فيها ثعلب أشد وضوحا حيث عرفها تعريفا دقيقا بقولـــــه ((هو أن يستعار للشيء اسم غيره أو معنى سواه))

الاستعارة المفـردة :ـ

أورد ثعلب للاستعارة كثيرا من الأمثلة منها ما هو مفرد يدخل تحت دائـــــرة الاستعارة بالكناية • مثل قول الشاعر :

اذا هزه في عظم قرن تهللـت ٭٭ تواجذ أفواه المنايا الضواحـــك

ومنها ما جاء على سبيل الاستعارة التصريحية وذلك في قول اعرابي يصف رجلا :

وداهية جرها جـــــــام ٭٭ جعلت رداءك فيها خمـــــارا

ويوضح ثعلب الاستعارة في البيت ((يقول قنعت بسيفك رؤوس ابطالها (١)

فالسيف هنا مشبه بالرداء على سبيل الاستعارة التصريحية وما ذكره الدكتور عبد القادر حسين من أن ثعلبا يقصد الاستعارة المكنية دون غيرها مستدلا بأن جميع شواهـــــده من الاستعارة بالكناية (٢) مردود بهذا القال والذي دفع الدكتور الى ذلـــــك هو جعل هذا البيت من التشبيه ورتب على ذلك أن ادخال البيت في شواهـــــــد الاستعارة ليس صحيحا يقول " غير أن ثعلبا أحيانا يدخل في الاستعارة ما ليس منهـــا كقول أعرابي يصف رجـــلا •

وداهية جرها جـــــــام ٭٭ جعلت رداءك فيها خمـــــارا

يقول قنعت بسيفك رؤوس ابطالها فالمراد بالرداء هنا السيف وشبه الرداء بالخمـــار وكلا الطرفين مذكور ان في البيت ففي البيت تشبيه وليس استعارة مما يدل على أن ثعلبا كان مضطربا في فهمه للاستعارة (٣)

---

(١) قواعد الشعر ٥٨
(٢) اثر النحاة ٢٢٥
(٣) السابق ٢٢٥

فليس صحيحا أن ثعلبا كان مضطربا فى فهم الاستعارة وليس صحيحا انه يدخل فيها ما ليس منها • فالاستعارة التى عناها هنا ثعلب فى لفظ الرداء حيث استعار للسيف وهذا لا يمنع من أن يكون هناك تشبيه للسيف بالخمار ولا تزاحم بين الاستعارة والتشبيه على أن الدكتور نفسه يقول " المراد بالرداء هنا السيف " فهل يعنى بهذا أن الرداء مستعمل فى السيف استعمالا لغويا فيكون الرداء من اسماء السيف ؟؟

فاذا لم يكن الرداء والسيف مترادفين لغويا فليس أمامنا الا القول بالاستعارة التصريحية •

الاستعارة المتعددة :-

وقد ذكر ثعلب من أمثلة الاستعارة المتعددة وان لم يصرح بذلك قول امرئ القيس فى وصف الليل •

فقلت له لما تمطى بصلبه •• وأردف اعجازا ونآ بكلكل

ثم علق عليه بقوله " استعار وصف جمل " (١)

والاستعارة هنا متعددة كما ترى •

الاستعارة المركبة :-

ومن أمثلة الاستعارة التى أوردها ثعلب قول رجل يصف قيم امرأة :

أنى أتيح لها حريف تنضبه •• لا يرسل الساق الا ممسكا ساقا

ثم قال " فاستعار له وصف الحريف " (٢)

واذا كان ثعلب قد اختصر شرح الاستعارة هذه فان ابن قتيبة كما ذكرنا وضحه فى " المعانى الكبير " بقوله " وهذا مثل يضرب للملحف أى أنه لا يدع حاجة الا سأل أخرى "

---

(١) قواعد الشعر صـ ٥٧

(٢) قواعد الشعر صـ ٥٩

وواضح أنها استعارة تمثيلية أوجزها ثعلب وفصلها ابن قتيبة

الاستعارة المركبة التعريضية :-

وقد تعرض ثعلب لنوع آخر من الاستعارة المركبة وفن بديع من فنونها وذلك حين تستعمل فى الالغاز والايحاء . فقد ذكر تحت عنوان " لطافة المعنى " الذى يعرفه بأنه الدلالة بالتعريض على التصريح قول امرئ القيس :

أمرح خيامهم أم عشر ٠٠ أم القلب فى اثرهم منحدر

يقول ثعلب : " المرح " الزند " المشر " الزندة فالزند قائم والزندة مسطوحة على الأرض وفيها فرض فيوضع طرف المرخ القائم فى الفرض الذى فى لوح المشر المسطوح ثم يدار فيورى نارا فقال امرؤ القيس : أهم مقيمون كعود المرخ أم قد حطوا للرحلة كانسطاح المشر أم قد ارتحلوا فالقلب فى اثرهم منحدر وفيه اقوال أخر كلها تدل على الايماء الذى يقوم مقام التصريح لمن يحسن فهمه واستنباطه (١)

وقد ذكرت آنفا أن الاشنانداني تعرض لهذا النوع فى كتابه معانى الشعر حين ذكر قول الشاعر :

خلوا عن الناقة الحمراء واقتصدوا ٠٠ العود الذى فى جنابى زهره وقع

وبدا يكون ثعلب قد شارك فى اثراء التعدد والتركيب فى التشبيه والاستعارة بجهد غير قليل .

---

(١) قواعد الشعر صـ ٥٣ ـ ٥٤

القرن الرابع الهجـــــرى

ابن طباطبـــــا :ـ

نلتقى فى أوائل القرن الرابع الهجرى مع ابن طباطبا الأديب الناقد المتوفـــــى سنة ٣٢٢ هـ وهو يتحدث عن التشبيه بطريقة جديدة يصب فيها كل جهده على العلاقـة بين الطرفين مما تتعدد معها ضروب التشبيه وتختلف وهو بحث قيم فى رسم صـــــورة التشبيه من خلال وجه الشبه •

" والتشبيهات على ضروب مختلفة فمنها تشبيه الشىء بالشىء صورة وهيئة ومنهـــــا تشبيهه به حركة وبطؤا وسرعة ومنها تشبيهه به لونا ومنها تشبيهه به صوتـــــا وربما امتزجت هذه المعانى بعضها ببعض فاذا اتفق فى الشىء المشبه بالشـــــىء معنيان أو ثلاثة معان من هذه الأوصاف قوى التشبيه وتأكد الصدق فيه وحســـــن الشعر به "(١)

ونستنتج من هذا النص :ـ

أولا : أن عنايته موجهة الى وجه الشبه الذى تتعدد ضروبه وأشكاله طبقا لمراد المشبه منه •

ثانيا : أنه ألمح الى أن وجه الشبه يكون مفردا حين تكون العلاقة بين طرفى التشـــبيه محصورة فى معنى واحد كالهيئة أو الحركة أو الصوت أو اللون وقد يكـــــون مركبا حين تمتزج هذه المعانى بعضها ببعض فيكتسب التشبيه بذلك القـــوة ويتأكد فيه الصدق ويبلغ غاية الحسن وبذلك فتح الباب لمن جاء بعـــــده للبحث فى اسرار جمال التركيب وبيان مواطن الحسن فيه •

واذا كانت هذه اللمحة العريضة من ابن طباطبا ذات أثر كبيـــــــر فى ميلاد بحث شائق حول اسرار التركيب فانه لم يتمهدها من خلال نماذجه التى كان يمر بها دون أن يكشف عن افراد الوجه أو تركيبه او تعـــدده ودون

---

(١) عيار الشعر صـ ١٧

أن يظهر مواطن القوة والحسن فيها كما أشار فى النص .

فقد أورد كثيرا من النماذج التشبيهية منها ما هو مفرد ومنها ما هو متعـــــــــدد الوجه والطرفين مثل قول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابســـا ٠٠ لدى وكرها العناب والحشف البالى

كما أورد نماذج للتشبيهات المركبة مثل قول الشاعر :

اذا ما الليل كان الصبح فيه ٠٠ أشق كغرة الفرس الهجـــــين

ولكنه لم يكشف النقاب عن التركيب أو سر جماله فى هذه النماذج بخلاف ما ســـــنراه عند محاصرته قدامة بن جعفر من الوقوف أمام النماذج المفردة والمتعددة والمركبـــــة وتوضيح أطراف التشبيه وبيان ما فى التركيب من أسرار الجمال .

فهو كثيرا ما يمر على هذه الشواهد دون تعليق واذا علق جاءت تعليقاته سريعـــــة لا تروى ظمأ ولا تنقع غلة .

فمثلا عند حديثه عن التشبيهات المعقدة يذكر منها قول بشـــــر

وجر الرامسات بها ذيـــــولا ٠٠ كأن شمالها يعدو الدبـــــور

ويادين أظـــارئـــــلات ٠٠ كما وشم الدواثر بالنـــــؤور

" فشبه الشمال والدبور بالرياح " (١)

على أننا نلمس أحيانا قيمة روحية أخرى أكثر خصبا وعمقا على النص الأدبـــــــى واحساسا أقوى بمنابع الجمال المركب فى التصوير عند ابن طباطبا مثل قوله " فمـــــن التشبيه الصادق قول امرئ القيس

نظرت اليها والنجوم كأنهـــا ٠٠ مصابيح رهبان تشب لقفـــال

٠٠٠ وقال تشب لقفال لان أحياء العرب فى البادية اذا قفلت الى مواضعهـــــــا التى تأوى اليها من مصيف الى مشتى ومن مشتى الى مربع أوقدت نيرانا على قدر كثـــرة منازلها وقلتها ليهتدوا بها فشبه النجوم ومواقعها من السماء بتفرق تلك النيـــــران واجتماعها فى مكان بعد مكان على حسب منازل القفال من أحياء العرب ويهتـــــدى بالنجوم كما يهتدى القفال بالنيران الموقده (٢)

---

(١) عيار الشعـــــر صـــ ٩٠
(٢) عيار الشعـــــر صـــ

وملاحظتنا على ما قاله ابن طباطبا تنحصر فيما يأتى :

أولا : أنه أدرك سر التركيب فى طرق التشبيه ادراكا واضحا أبان عنه من خـــــــلال شرحه للتشبيه فى البيت .

ثانيا : أنه يسمى التشبيه المركب تشبيها صادقا يؤيد ذلك قوله الذى ذكرنـــــــاه سابقا " فاذا اتفق فى الشئ المشبه بالشئ صفتان أو ثلاثة وصـــــــفان من هذه الاوصاف قوى التشبيه وتأكد الصدق فيه "

فنعته للتشبيه هنا بالصادق يعنى به أنه اتفق فى كل من المشبه والمشـــبه به أكثر من معنى .

يضاف الى ذلك أن ابن طباطبا كان أول من أشار الى التشبيه الراقـــــى فى هيئات الحركات ففتح بابا واسعا لمن جاء بعده ، فما وقدامـــــــــه وانطلق به عبد القاهر الى آفاق بعيدة محلقه .

قدامـــة بن جعفـــــر

فاذا تركنا ابن طباطبا الأديب الناقد ومضينا مع الزمن قليلا الى حيث بـــــدأت المصطلحات البلاغية تأخذ طريقها الى شيء من التحديد والضبط وتسير فى منهـــج علمى يقوم على التعريف والتقسيم يطالعنا رائد هذا المنهج الفيلسوف والأديب والناقـد قدامه ابن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧ هـ وعنده تجد أول تعريف اصطلاحى للتشبيه كمـــا نجد لديه محاولة للكشف عن العلاقة بين طرفى التشبيه وعوامل الجودة أو الرداءة فى الابداع التصويرى .

وتحظى مباحث الافراد والتركيب فى التشبيه عند بدراسة أدبية تلمسها من خـــلال شرحه للنماذج بعيدا عن الحدود والتقسيمات بالرغم من أن هذا هو المنهج الشائـــع فى الكتاب .

الهيئات المركبة فى التشبيه :ـ

لقد كانت اللمسات الأدبية واللمحات النقدية التى تناول بها قدامة نماذج التشبيـــه أثرها فى لفت الأنظار الى الصور المركبة التى استثمرها أهل البلاغة فيما بعد ووصل بهـــا الى مدارج النضج والكمال فالأبحاث الخصبة التى أدارها عبد القاهر حول غرابـــة التشبيه بسبب ما فيها من التفصيل والتركيب فيها ليست الا ثمار غرس قدامـــــة

فهذا قدامه يقول : " ومما جاء من التشبيهات الحسان قول يزيد بن عوف الطيمى يذكر صوت جرع رجل قرى اللبن

فصب دخالا جرعه متواتـــر ... كوقع السحاب بالطراف الممـــدد

فهذا التشبيه انما يشبه صوت الجرع بصوت المطر على الخباء الذى من أدم . ومـــن جودته أنه لما كانت الأصوات تختلف وكان اختلافها انما هو بحسب الأجسام التـــى تحدث الأصوات اصطكاكها وليس يدفع أن اللبن وصب المرئ اللذين حدث عـــن اصطكاكهما صوت الجرع قريب الشبه من الأديم الموتن والماء اللذين حدث عـــن اصطكاكهما صوت المطر (١)

(١) نقد الشعـــر صـ ٦٥

فقد أدرك قدامة أن التشبيه هنا ليس بين مطلق صوت وصوت بل هناك خصوصيـــة فى نوع الصوت وحركة أنغامه وذلك بحسب الأجسام التى تحدث هذا الصوت • فصـــوت الجرع فراعى فيه حركة الاصطكاك بين المرئ والماء وصوت المطر مراعى فيه حركـــــة اصطكاك جسم الطراف الندى •

ثم يتناول قدامة هيئة التركيب فى حركة الصوت وسكونه حين يقول " وقال أوس حجر يشبه ارتفاع اصواتهم فى الحرب تارة وهمودها وانقطاعها تارة بصوت التى تجاهـــد أمر الولادة :

لهـا صرخة ثم اسكاتـــــة •• كما طرقت بنفاس بكـــــر

ولم يرد المشبه فى هذا الموضع نفس الصوت وانما أراد حالة فى أزمان مقاطـــــع الصرخات واذا نظر فى ذلك وجد الذى وقف بين الصوتين واحدا وهو مجاهـــــدة المشقة والاستعانة على الألم بالتمديد فى الصرخة (١)

فقوله " لم يرد المشبه فى هذا الموضع نفس الصوت وانما أراد حاله فى أزمان مقاطـــع الصرخات " دليل على أنه لم يرد الصوت مفردا وانما الهيئة المركبة من وجـــــود أصوات متقطعة تتخللها لحظات سكون وهذا هو التشبيه المركب •

ومما هو بين الدلالة فى التركيب قوله " وقال الشماخ :

كأن على أوراكها من لعابـــه •• وخيفة خطمى بماء مرجـــرج

فشبه لعاب الفحل اذا ظهر على أوراكها الأتن عند كدمه اياها بالخطمى وهو شبيه بـــه فى قوام الثخن وفى الرقوة وفى اللون أيضا) (٢)

فلم يكتف قدامة ببيان التركيب فى طرفى التشبيه بل كشف عن تركيب الوجه أيضـــا " وهو شبيه به فى قوام الثخن وفى الرقوة وفى اللون أيضا •

وها هو ذا يدرك نوعا من الخصوصية والتفصيل فى الحركة وينبه اليه فيقـــــول " ولابن احمد الباهلى يذكر قلب الفرس عند الحركة السريعة :

---

(١) نقد الشعر صـ ٦٦
(٢) نقد الشعـــر صـ ٦٦

حتى ضحة طاويا ذا شـــــرة ٠٠ و نوماده زجل كمرف الهدهد ـــد

فتواتر نبض قلب الفرس اذا تحرك قريب الشبه من تواتر حركة عرف الهدهد) (١)

ولعلك تلحظ الدقة الكاملة حين يشير الى قيدهام في المشبه فتواتر نبض قلـــــب الفرس اذا تحرك " لأن النبض حينئذ يسرع وتزداد ضرباته فيتحقق فيه الشبه بحركـــة الهدهد ٠

ويزداد قدامة وضوحا حين يعلق على قول المرار :

لها قلاص نعام يرتقين بهـا ٠٠ كأنهن سبى لا يبـو الهدم

يقول قدامة " فما أحسن ما شبه فواضل ريش النعام بالسدال الأطمار الرثة علـــى اللامس ولا سيما السبى فان في مشيهم أعجمية تشبه مشى النعام وفي ألوان ثيابهـــم قتمة من الدرن تشبه قتمة ريش النعام ففي الشيئين اشتراك في معان كثيرة) (٢)

التشبيه المتعـــــدد :ـ

التعدد في الطرفين :ـ

أدرك قدامة التشبيه المتعدد وأشار الى وجه الحسن فيه وهو الاختصـــــار والايجاز وان كان قد سبق بمن أشار اليه والى سر جماله كما قدمنا يقول قدامـــــة " وقد يقع في التشبيه تصرف الى وجوه تستحسن فمنها أن يجمع تشبيهات كثيـــــرة في بيت واحد وألفاظ يسيرة كما قال امرؤ القيس :

له أيطلا ظبى وساقا نعامـة ٠٠ وارخاء سرحان وتقريب تتفل

فأتى بأربعة أشياء مشبهة بأربعة أشياء وذلك أن مخـرج قوله " له أيطلا ظبى " انما هو على أنه له أيطلان كأيطلى الظبى وكذا ساقان كساقى نعامة وارخاء كارخاء السرحان وتقريب كتقريب التتفل) (٣)

التشبيه المتعـــدد الوجه :ـ

وكما اشار الى التشبيه المتعدد في الطرفين أشار الى التعدد في الوجه أيضـــــا

(١) نقد الشعر ص ٦٧
(٢) نقد الشعر ص ٦٧
(٣) قواعد الشعر ص ٦٧

((وكما قال يزيد بن الطثرية يشبه رأسه فى حال كون الجمة عليه وبعد خلعهـــــا

فأصبح رأسى كالصخيرة أشرفت ٠٠ عليها عقاب ثم طار عقابهـــا

وذلك أنه قريب منها فى الضخامة والملاسة واللون المائل الى خضـــــرة) (١)

فقد شبه رأسه فى حالين مختلفين بالصخرة أيضا فى حالين مختلفين بحيث اذا اردنا التفريق فان رأسه فى حال كون الجمة عليه مشبه بالصخرة فى حال وجود العقاب عليهـا ، وشبه رأسه بعد خلع الجمة بالصخرة بعد أن طار عقابها وهذا واضح من قول قدامـــة " يشبه رأسه فى حال كون الجمة عليه وبعد خلعها "

الاستعارة التمثيلية :ـ

يعتبر قدامة صاحب الفضل الأول فى تحديد الاستعارة التمثيلية ووضع تعريـــف لها يميزها عن غيرها وفى اطلاق اسم التمثيل عليها

يقول قدامة " ومن نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى التمثيل وهو أن يريد الشاعـــــر اشارة الى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر وذلك المعنى الآخر والكلام ينبئـان عما أراد أن يشير اليه مثال ذلك قول الرماح بن ميادة :

ألم تك فى يمنى يديك جعلتنى ٠٠ فلا تجعلنى بعدها فى شمائلكا

ولو أننى أذنبت ما كنت هالـكا ٠٠ على خصلة من صالحات مهالكا

فعدل عن أن يقول فى البيت الأول أنه كان عنده مقدما فلا يؤخره أو مقربا فـــــلا يبعده أو مجتبى فلا يجتنبه الى أن قال : انه كان فى يمنى يديه فلا يجعله فـــــى اليسرى ذهابا نحو الأمر الذى قصد الاشارة اليه بلفظ ومعنى يجريان مجرى المثـــــل والاتباع فى المقابلة وعلى ذلك قول عمير بن الأيهم :

راح القطين من الأوطان أو بكروا ٠٠ وصدقوا من نهار الأمس ما ذكروا

قالوا لنا وعرفنا بعد بينهـــــم ٠٠ قولا فما وردوا عنه ولا صـــدروا

---

(١) نقد الشعر ص ٦٧

فكان يستغنى عن قوله فما وردوا عنه ولا صدروا بأن يقول فما تعدوه أو فما تجـــــاوزوه ولكن لم يكن له موقع من الايضاح وغرابة المثل) (١)

ويتضح من ذلك أن المقصود بالتمثيل هو الاستعارة التمثيلية وأن قدامـة يستعمـل التمثيل والمثل فيها واذا عرفنا أن المثل فى اصطلاح المتأخرين هو استعارة تمثيليـة فشا استعمالها وأن التمثيل يطلق على الاستعارة التمثيلية أيضا • اذا عرفنـــا ذلك أدركنا أن قدامة هو الذى حدد مصطلح التمثيل والمثل وتابعه على ذلك من جـاء بعده •

ويتضح أيضا أن قدامة يرى فى التمثيل نقلا للعبارة من معناها الحقيقى الى معنى آخر مجازى ينبىء عن المعنى الأول ويشير اليه ولا يخفى أن الطرفين مركبان كما يبـــدو من تفسير قدامة للمثالين •

ولا يكتفى قدامة بالتعريف وشرح التصوير فى المثال بل يلمح أيضا الى سر جمـــال هذا النوع من التصوير وما يتركه فى نفس المتلقى من التأثير والقبول وذلك لأن المثـــل كما يقول فيه ايضاح وغرابة والحق أن القدماء عرفوا هذا النوع من البيان وهو الاستعـارة التمثيلية وأطلقوا عليها لفظ المثل كما رأينا عند ابن عبيدة وابن قتيبة وغيرهما ولكـــن قدامة وضع للتمثيل حدا مميزا عرف به وتناقله من بعده حتى أصبح مصطلحا مميزا عـــن التشبيه وذلك فضل لا يجحده لقدامة أحد •

وقد تعرض الدكتور شوقى ضيف لبعض صور التعريض والكناية عند ابن المعتز ثم قـــال وفيها يدخل ابن المعتز ما سماه قدامة بالتمثيل وسماه العسكرى بالمماثلة وهو يشـــمل الاستعارة التمثيلية وبعض صور الكناية وقد عرفه قدامه بأن الشاعر يريد اشارة الـــى معنى فيضع كلاما يفهم منه معنى آخر كقول ابن سيادة :

ألم تك فى يمنى يديك جعلتنى •• فلا تجعلنى بعدها فى شمالكا

وواضح أنه كنى باليمين عن تقدمه عنده وبالشمال عن تأخره وهبوط منزلته • وهذا المثال أنما هو ضرب من التعريض والكناية) (٢)

---

(١) نقد الشعر ص ٩٥

(٢) البلاغة تطور وتاريخ ص ٨٩ ــ ٩٠

ولا ضير على ابن المعتز أن يجعل هذا المثال كناية كما لا ضير أيضا على قدامة أن يجعله تمثيلا ففى البيت كناية وتمثيل معا ولا تزاحم بين النكات البلاغية كما يقولون .

وسوف نجد من علماء البلاغة من يعد هذا المثال من الكناية على سبيل التمثيل وكأنه تلقف ما قاله ابن المعتز وما قاله قدامة وجمع بينهما .

ولعل د . أحمد مطلوب كان قريبا من الحقيقة حين قال : " لم يذكر أحد من البلاغيين المتقدمين التمثيل ، فالمبرد لا يفرق بينه وبين التشبيه بل يستعمل كلا منهما وما تصرف منه مكان الآخر ولم يتعرض له ابن المعتز وكان قدامه بن جعفر أول من عد التمثيل مخالفا للتشبيه) (١)

والقول بأن قدامه سبق فى ذكره للتمثيل لا ينهض أمام الواقع الحقيقى بقول د . حفنى شرف " وتكلم قدامة عن التمثيل وجعله من ائتلاف اللفظ مع المعنى وقد عرف هذا النوع قبل قدامة عن الكتاب الذى ينسب الى الجاحظ ويسمى التمثيل ولكنه لم يقع فى أيدينا فهذا لم يجد من قدامة) (٢)

فكيف نحكم للجاحظ بالسبق لأن له كتابا مفقودا يحمل هذا الاسم دون أن ندرى ماذا يريد الجاحظ بعنوان كتابه هذا خاصة أن عصر الجاحظ لم تكن قد اخذت المصطلحات فيه طريقها الى التميز والتحديد . وأمامنا دليل واضح فى كتاب " مجاز القرآن " وعنوانه يوحى من بعيد الى أنه سيتناول ما تضمنه القرآن من وجوه المجاز المقابل للحقيقة مع أن أبا عبيدة يستعمل المجاز بمعناه اللغوى .

---

(١) البلاغة عند السكاكى صـ ٣١٢

(٢) الصور البديعية بين النظرية والتطبيق صـ ١٨٤

ابـــن وهـــب الكاتـــــب

أما ابو الحسن اسحاق بن وهب الكاتب فقد تناول فى كتابه " البرهان فى وجـــوه البيان " التشبيه المفرد والمتعدد والاستعارة والمثل .

التشبيه المتعدد والمفرد :ـ

" واعلم أن الشاعر اذا أتى بالمعنى الذى يريد أو المعنيين فى بيت واحد كان فـى ذلك أشعر منه اذا أتى بذلك فى بيتين وكذلك اذا أتى شاعران بذلك فالذى يجمـــع المعنيين فى بيت أشعر من الذى يجمعهما فى بيتين ولذلك فضل قول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابســا .. لدى وكرها العناب والحشف البالى

على قوله :

كأن عيون الوحش حول خبائنـا .. وأرحلنا الجزع الذى لم يثقـــب(١)

فمقياس الجودة والتفوق لدى ابن وهب هو كثرة التشبيهات فى البيت الواحد وتـــلك نظرة نقدية ترددت على السنة النقاد منذ ابى عمرو بن العلاء والجديد هو المقارنـــة بين بيتين احدهما مفرد والآخر متعدد . والحكم لصالح المتعدد .

الاستعارة المركبة :ـ

تعرض ابن وهب لقوله تعالى " و جعلنا على قلوبهم اكنة أن يفقهوه وفى آذانهـــم وقرا " . فعلق عليها بقوله " وذلك أنهم كانوا عند تلاوة القرآن قد حجبوا قلوبهـــم عن تفهمه وصدوا بأسماعهم عن تدبره فجاز أن يقال على المجاز والاستعارة أن الـــذى تلا ذلك عليهم جعلهم كذلك "

فالاستعارة هنا تمثيلية مركبة أبان ابن وهب عن طرفيها لكنه لم يصرح بالتركيـــب فيها .

---

(١) البرهان فى وجوه البيان ١٨٤ ــ ١٨٥

المثـــــــل :ـ

اشار ابن وهب الى المثل واطلقه على القصة والقول المحكى على لسان الحيـــــوان للقصة والاعتبار وقال ان ذلك من صنيع الحكماء والادباء الذين يقرنون الاحوال بالنظائر والاشباه ثم تعرض لبلاغة المثل وسر جماله وهو اقترانه بالحجة • يقول " وانما فعلـــت العلماء ذلك لأن الخبر فى نفسه اذا كان ممكنا فهو محتاج الى ما يدل على صحتـــــه والمثل مقرون بالحجة "(١)

وربما هذه أول اشارة الى مثل هذا الغرض البلاغى للمثل بعد أن كان يتردد فـــى كتب السابقين وتتناوله اقلامهم بالشرح والتوضيح دون تصريح بهدفه البلاغى او قولهـــم أن المثل يأتى للغرابة والايضاح اما ابن وهب فقد اشار الى أنه يأتى فى أعقـــاب المعانى للتدليل على صحة امكانها فالمثل مقرون بالحجة وهذه الاشارة من ابن وهـــب وجدت لدى علماء البيان بعده متسعا لعقد الفصول الكاملة فى شرح اسرار التمثيـــل وبذلك يكون المثل عند ابن وهب نوعين احدهما يأتى للعظة والاعتبار والثانى يأتـــى فى أعقاب المعانى لبيان الامكان ••

ويعلق الدكتور حفنى شرف على عبارة ابن وهب السابقة قائلا " فهو ان اطلقهـــا (الامثال) على الامثال المضروبة فهو جديد من اكتشافه وان اراد بها الاستعـــارة التمثيلية فهو مسبوق اليها من غيره) (٢)

وفى اعتقادنا ان حديث ابن وهب عن المثل سواء أراد به المثل المضروب او الاستعارة التمثيلية ليس فيه من جديد فان عنى به الاستعارة التمثيلية فهو شائع كثير فى كتـــاب النقائض والمعانى الكبير ومعانى الاشنانداني وغيرها وان أراد به القول السائر المشبه مضربه بمورده فهو ايضا مسبوق من المبرد حيث عرفه كما أشرنا من قبل بقوله " المثـــل مأخوذ من المثال وهو قول سائر يشبه به حال الثانى بالأول والأصل فيه التشبيه) (٣)

---

(١) البرهان فى وجوه البيان صـ ١٤٦
(٢) الصور البديعية صـ ٢٢٠
(٣) مجمع الامثال للميدانى جـ ١ صـ ٥

وفى كتابه الكامل " يقال فى المثل لا تجعل حاجتى منك بظهر " اى لا تطرحهـــا غير ناظر اليها •

الرمانـــــــــى

ونلتقى الآن بعلم من أعلام القرن الرابع الهجرى ساهم بجهود واضحة فى البلاغـة العربية من خلال اعجاز القرآن الكريم هو ابو الحسن الرمانى المتوفى سنه ٣٨٤ هـــ فنجده قد اختط لنفسه منهجا فريدا فى معالجة التشبيه لم يسلكه أحد من قبل حيـــث كان مشغولا ببيان أغراض التشبيه واثره فى النفس وموقع الاسلوب من النظم والتأليـــف دون ان يتجه بالصورة نحو بناءها الفنى وما تمتاز به من ادوات أو تركيب اللهم الا اشارات خاطفه ربما تضيء بين الأضواء الباهرة التى كانت تغمر صورة التشبيه وتسلط على غرضـــه واثره فى النفوس وموقعه من التأليف والنظم .

التركيب فى التشبيه :ـ

يقول الرمانى " والاظهر الذى يقع فيه البيان بالتشبيه على وجوه منها اخـــراج مالا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه الحاسة و من ذلك قوله تعالى " والذين كفـــروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا فقد اجتمعـــا فى بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظيم الفاقة ولو قال يحسبه الراءى ماء ثم يظهـــر أنه على خلاف ما قدر لكان بليغا وأبلغ منه لفظ القرآن لأن الظمآن أشد حرصا عليـــه وتعلق قلبه به ثم بعد هذه الحقيقة حصل على الحساب الذى يصيره الى عذاب الأبـــد فى النار نعوذ بالله من هذا الحال .

وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من حسن التشبيه فكيف اذا تضمن مع ذلك حســـن النظم وعذوبة اللفظ وكثرة الفائدة وصحة الدلالة) (١)

وقد سقت النص كاملا لندرك أن حديث التركيب فى الصورة جاء باهتا و سط هالـــة من الأضواء سلطها الرمانى على غرض التشبيه وعلى موقع الكلمات من النظم القرآنـــى والفائدة التى تهدف اليها الآية وكل ما يمكن أن نلمحه مما يتصل بتركيب التشبيه فـــى

---

(١) ثلاث رسائل صـ ٨١ ـ ٨٢

الآية ويجهد شديد قوله " فقد اجتمعا فى بطلان المتوهم مع شدة الحاجة وعظـــــم الفاقة " مما يوحى بتركيب وجه الشبه فى هذا التمثيل المقلى المركب .

ولو أننا قارنا بين حديث الجاحظ وحديث الرمانى فى قوله تعالى " واتل عليهـم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين .. فمثلـــه كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث . لوجدنا ان الجاحظ اشار الـــى تركيب التمثيل فى الآية وجعل التمثيل فيها صورتين مركبتين .

اما الرمانى فانه وان كان قد احسن فى جعل الآية صورة واحدة بعد أن مزقهـــا الجاحظ بجعلها صورتين الا أنه أقل وضوحا فى حديث التركيب يقول الرمانـــــى " فقد اجتمعا فى ترك الطاعة على وجه من وجوه التدبير وفى التخسيس فالكلب لا يطيعك فى ترك اللهث حملت عليه أو تركته وكذلك الكافر لا يطيح بالآيات على رفق ولا عنف) (١)

تعدد التشـــبيه :ـ

وكما كان صوت الرمانى فى تركيب التشبيه هاما فقد كان فى حديثه عن التعـــدد كذلك ودون سابقيه فى العناية بتوضيحه تلمس ذلك فى قوله تعالى فاذا أنشقت السماء فكانت وردة كالدهان " حيث يقول " فهذا التشبيه قد اخرج ما لم تجر به عادة الـى ما قد جرت به وقد اجتمعا فى الحمرة وفى لين الجواهر السيالة) (٢)

وبالرغم من أنه كشف التعدد فى وجه الشبه الا أنه بالمقارنه بما قاله الفـــراء من قبل مشيرا الى التداخل بين صورتى تشبيه السماء بالوردة وتشبيه الوردة بالدهـــان كما سبق توضيحه نرى ان عناية الرمانى واهتمامه الى وجه الشبه لا الى طرفى التشـــبيه .

التقيـــــد :ـ

نسب ابن رشيق فى كتابه " العمدة " الى الرمانى ـ دون أن يذكر الكتاب الـذى استقى منه ـ نسب اليه الاشارة الى تشبيه الضدين ونلمح من خلال ما ذكره ابن رشـــيق اشارة الى التقييد وربما كان هذا أول تصريح بلفظ القيد فى التشبيه وبالرغم من أنهـــا

---

(١) ثلاث رسائل ص ٨٢
(٢) السابـــق ص ٨٣

لمحة سريعة الا أنها تعد ذات مغزى كبير حينما تكون بداية لأبحاث واسعة دارت فيما بعد حول التقييد في طرفي التشبيه واثر القيد في تركيب الصورة يقول ابن رشيق " وقد يقع التشبيه بين الضدين والمختلفين كقولك العسل في حلاوته كالصبر في مرارته أو كالخل في حموضته قال ابو الحسن الرماني " وهذا الضرب من التشبيه لا ينال الا بتقييد وتفسير ومن هذا النوع الذي ذكره الرماني قول ابن المهدي للمأمون يعتذر :

لئن جحدتك معروفا منحت به ... اني لفي اللوم أحظى منك في الكرم (١)

واضح انه يقصد بالقيد هنا اقتران كل من المشبه والمشبه به بصفة تحدد وجه الشبه بين الطرفين اذ لو لم يوجد هذا القيد لبطلت صورة التشبيه فلا علاقة بين العسل والصبر أو العسل والخل الا بالقيد المذكور • وهذه لمحة سريعة من الرماني ولكنها هامة في حديث التقييد •

المثل :ـ

والمثل لا نلتقي به في كتابه " النكت " وانما نعثر عليه في تفسيره المسمى (الجامع لعلم القرآن " وهو تفسير لا يزال مخطوطا ويوجد منه جزآن بمعهد المخطوطات الجزء العاشر وهو فيلم عن نسخة خطية بمكتبة قشطند والجزء الثاني عشر وهو فيلم عن نسخة مخطوطة بمكتبة المسجد الاقصى وفي هذين الجزءين من التفسير وهو كل ما وقع بأيدينا ـ تتردد كلمة المثل كثيرا مصحوبة بالتعريف والتفسير ومنها نستنتج أنه يستعمل عنده في تشبيه التمثيل كما يستعمل في الاستعارة التمثيلية •

ففي الجزء العاشر يتعرض لقوله تعالى " مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح ـ الآية فيقول " ويقال ما المحذوف من الكلام في التقدير حتى تتقابل المثل في التشبيه الجواب : المحذوف اهلاك على تقدير مثل اهلاك ما ينفقون كمثل اهلاك ريح فيها صر : اصابت حرث قوم فحذف الاهلاك لدلالة آخر الكلام عليه واستغنى عن

---

(١) العمدة ١ / ٢٩٥

لفظه بما دل عليه من غيره ولم يستغن عن تقديره لتوفية الكلام حقه على أصله (١)

وبحثه في هذه الآية قريب الشبه بما ذكره سيبويه والفراء في قوله تعالى ((ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء)) فقد حاول سيبويه والفراء البحث عن المحذوف في الآية ليتقابل طرفا التمثيل كما حاول الرماني ذلك في الآية السابقة وهي من التشبيه التمثيلي الذي اطلق عليه الرماني اسم المثل وهو ما يتردد كثيرا في كتب المفسرين ولم يشذ الرماني عن هذا العرف وهو يعرف هذا النوع من المثل "التشبيه التمثيلي" بقوله " يقال ما المثل ؟) الجواب) التشبيه الذي يصير كالعلم لكثرة استعماله فيما يشبه به فلما تزل الحرث المهلك ذلك التنزيل جعل مثلا للانفاق الذي يعود بالوبال والاهلاك) (٢)

ويطلق الرماني لفظ المثل على الاستعارة التمثيلية " ويقال ما معنى انقلبتم على اعقابكم الجواب ارتددتم كفارا بعد ايمانكم لأن الرجوع عن الحق الى الباطل بمنزلة رجوع الفهقرى في القبح والتنكيل بالنفس فجرى مجرى المثل في هذا المعنى) (٣)

ولعله يقصد بقوله ((فجرى مجرى المثل)) الفرق بين التشبيه التمثيلي وبين المثل الذي هو استعارة تمثيلية فالأول هو الأصل المستحق لفظ المثل للافصاح بطرفي التشبيه فيه والثاني جرى مجراه لأنه تضمن المثل بالدلالة وذلك تحقيقا لقوله " أصل المثل تسمية الشيء بغيره على الافصاح بذكره فاذا اقتصر على دلالة تضمين الكلام فهو كالا قتصار على دلالة الحال) (٤)

ومن ثم فان المثل عنده اذا استعمل في اصله كان تشبيها تمثيليا وحينئذ تكون الاداة مذكورة في الكلام واذا استعمل فيما يجري مجراه كان استعارة تمثيلية لا تظهر فيه الاداة وهذا ما صرح به في حديثه عن قوله تعالى " ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة الآية .. " يقال : ما المثل ؟ الجواب : قول سائر تشبه به حال الثاني بالأول والتشبيه في الامثال لما يحتاج اليه من البيان وهو على وجهين أحدهما ما تظهر فيه أداة التشبيه والآخر مالا تظهر فيه) (٥)

(١) الجامع لعلم القرآن الجزء العاشر
(٢) الجامع لعلم القرآن الجزء العاشر
(٣) الجامع لعلم القرآن الجزء العاشر
(٤) الجامع لعلم القرآن الجزء العاشر
(٥) الجامع لعلم القرآن الجزء العاشر

الاستعارة المفردة والمركبة :ـ

ويفرق الرماني بين الاستعارة المفردة والاستعارة المركبة في دقة متناهية حتى ولو كان اللفظ المستعار لهما واحدا فهو سيتناول استعارة لفظ الضرب في آيتين من القرآن الكريم هما قوله تعالى " ضربت عليهم الذلة والمسكنة " وقوله تعالى " فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا " والضرب في كليهما مستعار لكن الآية الأولى الضرب فيها مستعار وحده والآية الثانية استعير فيها الضرب وما تعلق به فالأولى استعارة تمثيلية مفردة والثانية استعارة تمثيلية مركبة أحس الرماني بذلك احساسا قويا في تفسيره للآيتين فهو يقول في الأولى حقيقته حصلت عليهم الذلة والاستعارة أبلغ "(١)

فقد صرح بأن الاستعارة هنا في لفظ الضرب وحده أما ما تعلق به وهو الجار والمجرور والذلة فيهما باقيان على حقيقتهما وتلك استعارة مفردة ويقول في الثانية " حقيقته منعناهم الاحساس بآذانهم من غير صم والاستعارة أبلغ لأنه كالضرب على الكتاب فلا يقرأ كذلك المنع من الاحساس فلا يحس "(٢) فالمشبه هنا هو منعهم الاحساس بالضرب على آذانهم والمشبه به الضرب على الكتاب فلا يقرأ واقتصر من المشبه به على الضرب لأنه العمدة في الكلام وهذه هي الاستعارة التمثيلية المركبة ويتعرض لقوله تعالى " ألم تر أنهم في كل واد يهيمون " فيتناولها بما يفيد تعدد الاستعارة ولكنه يجعل من هذا التعدد وسيلة التركيب فيها لتصبح استعارة تمثيلية يقول " واد هنا مستعار وكذلك الهيمان وهو من أحسن البيان وحقيقته يخلطون فيما يقولون "(٣)

فالتفسير الأول يوحي بأن في الآية استعارتين متعددتين هما استعارة الوادي واستعارة الهيمان ولا تمنع استعارة المفردات من استعارة التركيب جملة لان حقيقته يخلطون فيما يقولون .

---

(١) الجامع لعلم القرآن الجزء العاشر
(٢) الجامع لعلم القرآن الجزء العاشر
(٣) ثلاث رسائل صـ ٩٢ ـ ٩٣

وتحس بتركيب الاستعارة وما فيها من تشبيه حين يتعرض بقوله تعالى " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك " حقيقته لا تمنع بخلا كمثل المنع والاستعارة ابلغ لأنه جعل منع النائل بمنزلة غل اليد الى العنق وذلك مما يحسن حال التشبيه " (١)

وواضح هنا انها استعارة تمثيلية مركبة وأن مبناها هو التشبيه

---

(١) ثلاث رسائل صـ ٩٣

ابو هلال العسكـــــرى

و أبو هلال العسكرى المتوفى ســـــنة ٣٩٥ هـ تتجمع لديه آراء السابقين فيتنـــــاول التشبيه والاستعارة بما ينم عن قراءة مستوعبة وعقلية ناضجة تحسن التقسيم والتبويـــــب يقول الأستاذ على الجندى " ولعل أبا هلال أول بليغ تصدى لتعريف التشبيه علـــــى الطريقة الاصطلاحية وكتب عنه كتابة مفصلة منظمة تقوم على بحث ودرس وتقص ويعود هـــــا التكوين والتقسيم والنقد الفنى "(١)

التعدد والتركيب فى التشبيه :ـ

وابو هلال فيما يتعلق بتركيب التشبيه أو تعدده كان يردد مقياس السابقـــــين ويحكم على البيت بالجودة طبقا لما يتوافر فيه من عدد التشبيهات . واذا كان القدماء قد استجادوا بيت امرئ القيس .. كأن قلوب الطير ... فان أبا هلال استجـــاده ايضا وفضله على قول بشار

كأن مثار النقع فوق رؤوســـنا .. وأسيافنا ليل تهـاوى كواكبـــه

وذلك (لأن قلوب الطير رطبا ويابسا أشبه بالعناب والحشف من السيوف بالكواكب)(٢)

ويلاحظ على هذا الحكم أنه يجعل مقياس جودة بيت امرئ القيس راجعا الـــى تعدد التشبيه وذلك اذا قورن ببيت ضم تشبيها واحدا اما اذا قورن بينه وبين بيت شبه فيه شيئان بشيئين وهو بيت بشار حيث يتساويان فى مقياس التعدد فبيـــت امرئ القيس أجود من حيث اصابة الوصف وعلى ذلك فان ابا هلال لم يجعل مقيـــاس جودة الشعر هو التعدد فحسب بل كانت له نظرة نقدية تقوم على الدقة والاصابـــه فى التشبيه غير أن مقياس الكثرة استهواه فراح يتتبع الأبيات التى ضمت أكثر مـــن تشبيه .

فهذا بيت ضم ثلاث تشبيهات

النشـــر مسك والوجوه دنـــا .. نير و أطراف الأكف عنـــم

---

(١) فن التشبيه صـ ٤٢
(٢) الصناعين صـ ٢٥٦

وذاك بيت ضم أربعا وهو قول امرئ القيس

له أيطلا ظبى وساقا نعامـــــة ٠٠ وارخاء سرحان وتقريب تتفـــل

يعلق عليه ابو هلال بقوله " وهذا من بديع التشبيه لأنه شبه أربعة أشياء بأربعـــــة أشياء فى بيت واحد " (١)

ويصل الى قمة الجودة فى نظره قول الأرجاني :

اسبلت لؤلؤا من نرجس فسقـــت ٠٠ وردا وعضت على العناب بالـــبرد

" فشبه خمسة أشياء بخمسة أشياء فى بيت واحد الدمع باللؤلؤ والعين بالنرجـــس والخد بالورد والأنامل بالعناب لما فيهن من الخضاب والثغر بالبرد ولا أعرف لهـــذا البيت ثانيا فى أشعارهم " (٢)

والحق أن أبا هلال حين يتحدث عن تعدد التشبيه وكثرته مقياسا للجـــودة ويجعله لم يكن أول من أصدر هذا الحكم بل رأى القدماء يستحسنون بيت امرئ القيـــس لتعدد التشبيه فيه فأعجب بهذا الحكم وراح ينميه ويطبقه على نماذج ضمت أكثـــر مما ضمه بيت امرئ القيس ويبدو أن أبا هلال لا يفرق بين التشبيه المتعدد والتشـــبيه المركب فقد رأيناه يقيم الموازنة بين بيت بشار وبيت امرئ القيس باعتبارهما جمعـــا تشبيهين فى بيت واحد مع أن الأول مركب والثانى متعدد وشرحه للصورة فى بيـــت بشار يدل على ذلك حيث يقول " فشبه ظلمة الليل بمثار النقع والسيوف بالكواكب " (٣)

ويذكر ابو هلال من الأمثلة التى يبين فيها تعدد الوجه مثل قوله تعالـــــى " فكانت وردة كالدهان " يقول والجامع للمشبهين الحمرة ولين الجوهر "

ويقول فى قوله تعالى " كأنهم أعجاز نخل منقعر " فاجتمع الأمران فى قلـــع الريح لهما واهلاكهما والتخوف من تعجيل العقوبة " (٤)

---

(١) الصناعتين صـ ٢٥٥
(٢) الصناعتين صـ ٢٥٧
(٣) الصناعتين صـ ٢٥٦
(٤) الصناعتين صـ ٢٤٧

الخلط بين التشبيه والاستعارة :ـ

وهو اذ يدخل امثلة الاستعارة فى التشبيه كما فى بيت الوأواء فانما ذلك بالنظر الى معنى الاستعارة وهو التشبيه فبيت الوأواء الذى عده من التشبيه المتمـــــدد هو من الاستعارة المتمددة •

وامثلة الخلط بين الاستعارة والتشبيه فى الصناعتين كثيرة فهذا هو يقـــــول. " وقال البحترى "

شقائق يحملن الندى فكأنـــه •• دموع التصابى فى خدود الخرائـــد

فشبه شيئين بشيئين •

ومثله قول أبى نـــواس :

يا قمرا ابصرت فى مأتـــم •• يندب شجوا بين اتـــــراب

يبكى فيلقى الدر من نرجـس •• ويلطم الورد بعنـــــاب

فالبيت الأول تشبيه مركب فرقه وجعله تشبيها متعددا والبيت الثانى من الاستعـــارة المتمددة أدخله فى أمثلة التشبيه ولا ضير عليه اذ كان ينظر الى ما فيه من تشـــبيه وهو ما لم ينفرد به العسكرى فكثير من القدماء والمحدثين يدخلون أمثلة الاستعـــارة فى التشبيه •

وقد تعرض أبو هلال لحملة قاسية من بعض النقاد بسبب مقياس التعدد والكثـــرة فى التشبيه حتى قال عنه الدكتور بدوى طبانه " وأبو هلال مولع الولوع كله بهـــذه الصناعة المجهدة وهذا التزاحم الغريب الذى لا يستسيغه الا ذوو الأذواق المعقـــدة والتكلف المقيت " (١)

وفى رأينا أن أبا هلال لم يكن الا متتبعا لمن قبله فى هذه النظرة الى جمـــال التعدد وان كان قد أربى على السابقين فى تتبع النماذج واثرائها وهذا ما ذهـــب اليه أحد الباحثين حيث يقول " وقد أعجب ابو هلال بالتشبيه الذى جاء مركبـــا كبيتى امرئ القيس وبشار المشهورين وأضاف اليهما بيتى المرقش والوأواء فكان فـــى

---

(١) ابو هلال العسكرى ومقاييسه البلاغية صـ ٢١٩

كل ما أورد مقلدا ناقلا وليس ناقدا الا فى القليل "(١)

ونحن لا نخالفه فى هذا الحكم الا فيما جرى به قلمه من أن أبا هلال أعجب بالتشبيه المركب فى بيتى امرئ القيس وبشار لان أبا هلال لم يستعمل لفظ التركيب ولم يفرق بين المركب والمتعدد ثم اذا اسحب القول بالتركيب على بيت بشار فان بيت امرئ القيس لم يقل أحد بتركيبه .

وهذا أيضا ما وقع فيه الدكتور ابراهيم سلامه حين يقول " وحاصل احتمال مقاييس ابى هلال فى التشبيه كثرته وتركيبه وتقديرا لقبح فيه الخفاء وعدم الملاءمة بين الطرفين "(٢)

فكونه يعتمد الكثرة مقياسا هذا حق أما التركيب فأن أبا هلال لم يصرح به ولا يوجد لديه ما يشير الى أنه يفرق بينه وبين التشبيه المتعدد .

التمثيل والمماثلة :-

عقد ابو هلال العسكرى بابا خاصا للمماثلة بدأ فيه بتعريفها حيث قال " المماثلة : أن يريد المتكلم العبارة عن معنى فيأتى بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر الا أنه ينبغى اذا أورده عن المعنى الذى أراده يريدون به الا عيب فيه وليس موضوع نقاء الثوب للبراءة من العيوب وانما استعمل فيه تمثيلا "(٣)

فمن هذا التعريف تتضح الحقائق الآتية :

أولا : أن المماثلة والتمثيل مترادفان يطلقهما على ما عرف بالاستعارة التمثيلية

ثانيا : أنه صرح فى تحديد المماثلة بالنقل من المعنى الحقيقى الى المعنى المجازى وأبان عن العلاقة بين المعنيين وهى التمثيل .

ثالثا : أن المماثلة عنده هى نفس التمثيل الذى ذكره قدامة فى ائتلاف اللفظ مع المعنى فهما يتفقان فى التعريف وفى كثير من الأمثلة .

---

(١) التشبيه فى القرون الأربعة الهجرية الاولى صـ ٢٥٢
(٢) بلاغة ارسطو صـ ٢٦٨
(٣) الصناعتين صـ ٣٦٤

رابعا : أن تمثيله بقولهم " فلان نقى الثوب " تمثيل صحيح للاستعارة التمثيلية حيث مثل الرجل البرئ من العيوب بالثوب النقى وكلا الطرفين مركبان وعد هذا المثال من الكناية كما يزعم البعض (١) بعيد عن مفهوم الكناية التى هى تعبير بالملزوم عن اللازم اذ لا يلزم من نقاء ثوب الرجل براءته من العيوب .

وقد طال نفس العسكرى فى ضرب الأمثلة والاكثار من نماذج المماثلة وتوضيح التمثيل فيها ومعظم ما أورده من هذه الأمثلة يدخل فى الاستعارة التمثيلية يقول فى قوله تعالى " كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا " فمثل العمل ثم احباطه بالنقض بعد الفتل " (٢)

وواضح من كلامه تركيب الطرفين واقتراجهما بدليل ربطه بين اجزاء المشبه والمشبه به بأدوات تحقق التركيب وهى " ثم " فى المشبه و(بعد) فى المشبه به .

ومثل ذلك فى الوضوح ما جاء تعليقا على قوله تعالى " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط " فمثل البخيل الممتنع من البذل بالمغلول لمعنى يجمعهما وهو أن البخيل لا يعد يده بالعطية فشبهه بالمغلول " (٣)

وهذا المثال يقطع بعلاقة التشبيه بين الطرفين التى يقوم عليها التمثيل او ما نسميه " الاستعارة التمثيلية " وهو يلتقى مع الرمانى فى تفسيره للصورة فى الآية .

ويختلف ابو هلال مع قدامة فى احد الامثلة التى اوردها للتمثيل فيقول " وقال قدامه من امثلة هذا الباب قول الشاعر

اوردتهم وصدور العيس مستقة ٠٠ والصبح بالكوكب الدرى منحور

وقال : قد أشار الى الفجر بل قد صرح بذكر الصبح وقال هو منحور بالكواكب الدرى أى صار الكواكب فى نحره ووضع هذا البيت فى باب الاستعارة أولى منه فى باب المماثلة " (٤)

---

(١) ابو هلال العسكرى ومقاييسه البلاغية د ٠ بدوى طبانه صـ ٢٢١
(٢) الصناعتين صـ ٣٦٥
(٣) الصناعتين صـ ٣٦٥
(٤) الصناعتين صـ ٣٦٨

وبذلك يتأكد لدينا أن أبا هلال يقصد من المماثلة ما يقصد ه قدامة بالتمثيل، كما يوحى بأن أبا هلال يفرق بين المماثلة والاستعارة فما مدار الفرق بينهما ؟ ولماذا عد البيت من الاستعارة ؟ ٠ والذى يؤخذ من كلامه أن المماثلة لا يصرح فيها بالمشبه وانما يؤتى بلفظ المشبه به ليكون دليلا على المعنى الحقيقى المحذوف والتصريح بلفظ الصبح فى البيت يخرجه من المماثلة واما انه من الاستعارة فقد كشف ذلك بقوله ((اى صار الكوكب الدرى فى نحره)) فلعله يقصد ما نسميه بالاستعارة المكنية حيث انه جعل للصبح نحرا ٠ وبذلك تتميز الاستعارة المفردة عن المماثلة المركبة ولا يعنى كلامه هنا ان المماثلة لا استعارة فيها فقد صرح فى تعريفها بالنقل ثم انه ذكر فى باب الاستعارة بعض الامثلة التى ذكرها فى المماثلة مثل قوله تعالى " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك)) فقد جعلها هنا من المماثلة وذكرها فى باب الاستعارة ٠ وعلق عليها بقوله " حقيقته لا تكونن ممسكا والاستعارة ابلغ لأن الفعل مشاهد والامساك غير مشاهد وصوره قبح صورة المغلول ليستدل به على فجر الامساك " (١)

والذى أراه ان ذكر الآيه فى باب المماثلة والاستعارة لما فيه من تناقض لان المماثلة تقوم على الاستعارة غير انها استعارة مركبة ٠

وقد يرد لفظ التمثيل مرادفا للتشبيه كما فى قوله (وأما الطريقه المسلوكة فى التشبيه والنهج القاصد فى التمثيل عند القدماء والمحدثين فكتشبيه الجواد بالبحر والمطر والشجاع بالأسد) (٢) ومنه نستنتج ان لفظ التمثيل قد يأتى مرادفا للتشبيه كما يأتى مرادفا للمماثلة ٠

---

(١) الصناعتين ص ٢٨١
(٢) الصناعتين ص ٢٤٩

ابـــن فـــارس

ولابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥ هـ كتاب يسمى " الصاحبى " أفرد فيه فصلا كاملا للحديث عن الاطلاق والتقييد فى التشبيه وهو فيما نعلم اول حديث صريح عن التقييد والاطلاق وانواع القيود وجد صدى قويا لدى الخطيب ومن جاءوا بعده والغريب فى الامر أن حديث الاطلاق والتقييد ظل كما أوضحه ابن فارس يتردد لدى المتأخرين دون زيادة تذكر اللهم الا فى تنوع الأمثلة والنماذج بل ان الأمثلة التى ذكرها ابن فارس لم تختف من كتبهم

الاطلاق والتقييد فى التشبيه :ـ

يعرف ابن فارس الاطلاق فيقول " الاطلاق ان يذكر الشئ باسمه لا يقرن به صفة ولا شرط ولا زمان ولا عدد ولا شئ يشبه ذلك "

كما يعرف التقييد بقوله " والتقييد ان يذكر بقرين من بعض ما ذكرناه فيكون ذلك القرين زائدا فى المعنى (١)

وبذلك يطالعنا اول تعريف للتقييد فى التشبيه كما يكشف لنا عن نوع القيد من وصف أو شرط أو زمان أو عدد أو غير ذلك .

ثم يمضى ابن فارس فى التمثيل للتشبيه المطلق والمقيد ويشرح المثال مبينا ما فيه من تقييد ويلاحظ أن الأمثلة التى جاء بها ابن فارس من التشبيه المقيد بالوصف كما أن القيد فيها للمشبه بوحده يقول ابن فارس " من ذلك أن يقول القائل زيد ليث فهذا انما شبهه بليث فى شجاعته فاذا قال هو كالليث الحرب فقد زاد الحرب وهو الغضبان الذى حرب فريسته " اى سلبها " فاذا كان كذا كان أدهى له ومن المطلق قوله " ترائبها مصقولة كالسجنجل " فشبه صدرها بالمرآة لم يزد

---

(١) اثر النجاة صـ ٣٥٣

(٢)

على هذا .

وذكر ذو الرمة أخرى فزاد فى المعنى حتى قيد فقال ووجه كمرآة الغريبة أسجح (١) فذكر المرآة كما ذكر امرؤ القيس " السجنجل وزاد الثانى ذكر الغريبة فزاد فـــــى المعنى وذلك أن الغريبة ليصلها من يصلمها محاسنها من مساويها فهى تحتـــــاج أن تكون مرآتها أصفى وأنقى لتريها ما تحتاج الى رؤيته من سنن وجهها ؟

الاستعـــــارة :ـ

أما الاستعارة عند ابن فارس فانه عرفها تعريفا دقيقا بقوله " الاستعارة هـــــو أن يضعوا الكلمة للشئ مستعارة من موضع آخر (٢)

الا أنه عند التمثيل لها يخلط بين التشبيه و الاستعارة والكناية فحديث الافـــراد والتركيب فى الاستعارة لا يجد عنده مجالا فأنت تراه يمثل للا ستعارة بقولهم " أنشقـت عصاهم " اذا تفرقوا وهذا المثال يصلح أن يكون استعارة تمثيلية يشبه فيهـــا تفرق القوم بانشقاق العصا كما يصح أن يكون كناية عن التفرق ثم يمثل للاستعـــارة ايضا بقوله تعالى " كأنهم حمر مستنفرة " ويعلق عليه بقوله " يقولون الرجـــل المذموم انما هو حمار " وكلاهما تشبيه واذا صح فى قولهم " هو حمار " تسميـــة الاستعارة كما يذهب بعض البلاغيين فلا يصح عند أحد منهم مصطلح الاستعـــارة فى الآية لوجود الأداة ثم تراه يقول " ومن الاستعارة قولهم " زالت رحالة ســـابـــح " كناية عن المرأة تستعصى على زوجها " وهو كما ترى خلط بين المصطلحات لا يتوقـــع معه ان يكون للافراد والتركيب فى الاستعارة نصيب من الحديث .

---

(١) الصاحبى ١٦٤ ـ ١٦٥
(٢) الصاحبى ١٧٣

الباقلانـــــــــــى

ونلتقى فى القرن الرابع الهجرى ايضا مع الامام القاضى أبى بكر الباقلانـــــــى فى كتابه أعجاز القرآن حيث أفرد فيه فصلا طويلا تحدث فيه عن البديع من الـــــكلام وتناول من خلاله التشبيه والاستعارة والمماثلة كما أن له لمحات مضيئة وردت من خـــلال تناوله لمعلقة امرئ القيس ولامية البحترى .

الافراد والتقييد فى التشبيه :ـ

تحت عنوان التشبيه ذكر الباقلانى من التشبيه الحسن مثالين من القرآن الكريـــم وهما مفردان ولكنه لم يشر الى مصدر الحسن فيهما وهو بالطبع مرجعه شئ آخـــــر غير التعدد والتركيب يقول الباقلانى " ومن التشبيه الحسن فى القرآن قوله تعالـــــى وله الجوار المنشآت فى البحر كالأعلام " وقوله تعالى " كأنهن بيض مكنون " (١)

اما عن التشبيه المقيد فقد ذكر الباقلانى عددا من الأمثلة التى تقع تحت دائـــرة هذا النوع من التشبيه وجعلها من بديع الكلام ولكن دون اشارة الى التقييد فيها يقـــول " وكذلك عدوا من البديع قول امرئ القيس فى أذنى الفرس :

وسامتان يصرف المتق فيهمـــا ٠٠ كسا حبتى مذعورة وسط رمرب " (٢)

وهو تشبيه قيد فيه المشبه به بالظرف . لكن الباقلانى مر عليه دون تعليق والعتقـــــد أن سر اعجاب الباقلانى بهذا التشبيه وان لم يصرح بذلك ـ راجع الى القيد الـــذى أشرنا اليه .

على أن الباقلانى الذى لم يذكر التقييد أو الاطلاق وهو يتحدث حديثا خاصـــــا عن التشبيه يروعنا منه ذلك الوضوح الكامل فى فهم التقييد والاطلاق والتصريح بهذين المصطلحين حين يقف وقفة المتأمل أمام لامية البحترى ليبين محاسنها وعيوبهـــــــا ليكون بذلك ثانى اثنين سبقا الى التصريح بالاطلاق والتقييد دون ان يسبقهما احـــد

---

(١) اعجاز القرآن وصـ١٠٧ ـ ١٠٧
(٢) السابق ١٠٦

فيما اعلم هو وابن فارس وان تميز الباقلانى بأنه فرق بين القيد الذى يأتى ليؤدى دورا فى التشبيه وبين القيد الذى يأتى زائدا عن المعنى فقد ذكر قول البحترى :

من غادة صنعت وتمنح ليلهـــــا ... فلو انها بذلت انا لم تبـــذل

كالبدر غير مخجل والغصن غير ميل والدعص غير مهيل فقد علق على البيت الثانى بقولـه " فأنت تعلم أن التشبيه بالبدر والغصن والدعص منقول متداول ولا فضيلة فـــى التشبيه بنحو ذلك ، وانما يبقى تشبيهه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء وهذا ايضا قريـــب لأن المعنى مكرر ، ويبقى له بعد ذلك شئ آخر وهو تعمله المترصح فى البيت كلـــه الا أن هذه الاستعارات فيها ضرب من التكلف لأن التشبيه بالغصن كاف فاذا زاد فقال كالغصن غير ممنوح كان ذلك من باب التكلف خللا وكان ذلك زيادة يستغنى عنهـــا وكذلك قوله كالدعص غير مهيل ، لأنه اذا انهال خرج عن أن يكون مطلق التشـــبيه موفيا البيه فلا يكون لتقييده معنى "(١)

ويبدو لنا من هذه العبارة :

أولا : أنه يميز بين التشبيه المطلق والتشبيه المقيد ويعطى لكل اصطلاحه المعـــروف لدينا الآن وهو فى ذلك يتفق مع ابن فارس .

ثانيا : أنه ادرك أن القيد لابد أن يأتى لتحقيق وجه الشبه فاذا جاء بمعنى زائـــد عنه كان عبئا يحط من قدر التشبيه وهو بذلك يتفوق على ابن فارس الذى لم يذكـــر هذا الشرط فى القيد .

ثالثا : أنه أدرك التعدد فى كل من المشبه والمشبه به بالرغم من أن التعدد فـــى المشبه غير ملفوظ بل هو مقدر فى الكلام وذلك حيث يقول " تشبيهه ثلاثة أشـــياء بثلاثة أشياء " .

التعدد والتركيب فى التشبيه :ـ

جرى الباقلانى فى مقياس حسن التشبيه وجودته على ما جرى عليه ابو هلال العسكرى من الكثرة والتعدد فذكر امثلته وتعليقه عليها يقول الباقلانى " ومن البديع فى التشـــبيه قول امرئ القيس :

(١) اعجاز القرآن ٢٤٧ ـ ٢٤٨

له أبطلا ظبي وساقا نعامـــــة ٠٠ وإرخاء سرحان وتقريب تتفـــــل
وذلك في تشبيه أربعة أشياء بأربعة اشياء أحسن فيها " (١)

وذكر ايضا موازنة أبي هلال بين بيت امرئ القيس وبيت بشار و حكم لصالح امـــــرئ القيس كما فعل ابو هلال غير أن الجديد هو أن الباقلاني تنبه الى الفرق بين التعـــدد والتركيب، ألمح الى أن بيت امرئ القيس من الذي تعدد فيه التشبيه فصلا وأما بيـــت بشار ـ فمن التشبيه المركب الذي شبهت فيه جملة بجملة أخرى ٠ وهذا نص حديثـــه :

" ومثل يعدونه من الهديع التشبيه الحسن كقول امرئ القيس :

كأن عيون الوحش حول خبائنـــا ٠٠ وأرحلنا الجزع الذي لم يثقـــب

وقوله :

كأن قلوب الطير رطبا ويابســـا ٠٠ لدى وكرها العناب والحشف البالـــي

واستبدعوا تشبيهه شيئين بشيئين على حسن تقسيم ويزعمون أن أحسن ما وجد في هذا للمحدثين قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رؤوســـنا ٠٠ وأسيافنا ليل تهاوى كواكبـــه

وقد سبق امرؤ القيس الى صحة التقسيم في التشبيه ولم يتزكن بشار الا من تشـــبيه احدى الجملتين بالاخرى دون صحة التقسيم والتفصيل " (٢)

وهذه اللمحة التي فرق فيها الباقلاني بين تشبيه جاء على سبيل التعدد وتميز بصحـــة التقسيم والتفصيل وبين تشبيه تركب فيه الطرفان وصار كل طرف جملة واحدة شبهـــت بجملة اخرى هي التي أوحت الى من بعده بأن يفرد فصولا للحديث عن الفـــــرق بين التعدد والتركيب واسرار جمال كل منهما سنراه على صفحات هذا البحـــــث يقول استاذنا الدكتور كامل الخولي بعد أن ذكر النص السابق "تأدرك الباقلانـــي تشبيه الهيئة والجملة وتشبيه المفردات وهذه نظرة تفصيلية جديدة في التشبيه " (٣)

---

(١) اعجاز القرآن صـ ١٠٦
(٢) اعجاز القرآن صـ ١٠٥ ـ ١٠٦
(٣) اثر القرآن في تطور البلاغة العربية ١٣١

وفى حديث الباقلانى عن معلقة امرئ القيس يتناول بيته المشهور :

اذا ما الثريا فى السماء تعرضت ... تعرض اثناء الوشاح المفصل

فيقول " وفيه أن الثريا كقطعة من الوشاح المفصل فلا معنى لقوله " تعرض اثناء الوشاح وانما أراد أن يقول تعرض قطعة من اثناء الوشاح فلم يستقم له اللفظ حتى شبه ما هو كالشئ الواحد بالجمع "

والجدير بالتنويه فى هذه العبارة ان المشبه هنا مفرد لفظا وهو الثريا ولكن التركيب مراعى فيه لأن المقصود من المشبه هيئة مركبة من اللون والشكل والمقدار ولذلك كان الباقلانى بارع الدقة حين قال حتى شبه ما هو كالشئ الواحد " لان التركيب يصير اجزاء المشبه او المشبه به شيئا واحدا . ولعل هذه الاشارة منه جعلت المتأخرين يجعلون مثل هذا التركيب الذى يسمونه تركيبا حقيقيا من المنزل منزلة الواحد

ومن دقته فى فهم التشبيه المركب نقده لبيت البحترى :

يهوى كما تهوى العقاب وقد رأت ... صيدا وينقض انقضاض الأجدل

فهو يقول " على أن الهوى يذكر عند الانقضاض خاصة وليس للفرس هذه الصفة فى الحقيقة الا أن يشبه حالته فى العدو بحالة انقضاض الباز ى والعقاب وليست تلك الحالة بأسرع احوال طيرانها " (١)

فهذا ادراك جيد للهيئة المركبة فى طرفى التشبيه ومن ثم جاء التعبير عنها دقيقا " شبه حالته فى العدو بحالة انقضاض الباز ى " وهو التعبير الذى جرى البلاغيون المتأخرون على استعماله حين يكون طرفا التشبيه مركبين .

الافراد والتركيب والتعدد فى الاستعارة :ـ

ذكر الباقلانى تحت عنوان الاستعارة التى هى نوع من بديع الكلام نماذج من الاستعارة المفردة مكنية وتصريحية مكتفيا فيها غالبا بقوله " ومن البديع " دون تفسير لها او توضيح لعلاقة المشابهة فيها ومن ذلك قوله " ذكروا أن من البديع فى القرآن

---

(١) اعجاز القرآن صـ ٢٥٣

قوله عز ذكره " واخفض لهما جناح الذل من الرحمة " وهى استعارة بالكناية " ومن الاستعارة التصريحية التى أبان فيها عن المشبه قوله تعالى " صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة " حيث وضحها بقوله " قيل دين الله أراد " (١)

أما الاستعارة المتعددة : فقد صرح فيها بالتعدد وذلك فى قوله " ومن البديع فى الاستعارة قول امرئ القيس.

وليل كموج البحر ارخى سدوله ٠٠ على بأنواع الهموم ليبتلى
فقلت له لما تمطى بصلبه ٠٠ و أردف أعجازا ونأى بكلكل

وهذه كلها استعارات اتى بها فى ذكر طول الليل " (٢)

وهذا اوضح كلام فى تعدد الاستعارة حتى عصر الباقلانى يتضح ذلك بمقارنته بقول ثعلب فى هذا المثال " استعار له وصف الجمل " (٣) فهو لم يصرح بالتعدد كما صرح به الباقلانى .

الاستعارة التمثيلية :-

ونحس الاستعارة التشبيهية فى تعليقه على قول النابغة

وصدر أراح الليل عازب همه ٠٠ تضاعف فيه الحزن من كل جانب

حيث يقول الباقلانى " فأستعارة من اراحة الراعى ابله الى مواضعها التى تأوى اليها بالذيل " (٤)

كما نجدها واضحة فى باب المماثلة الذى بدأه بقوله " ومما يعدونه من البديع المماثلة وهو ضرب من الاستعارة وذلك أن يقصد الاشارة الى معنى فيضع الفاظا تدل عليه وذلك المعنى بألفاظه مثال للمعنى الذى قصد الاشارة اليه " (٥)

---

(١) السابق ص ١١٠
(٢) السابق ص ١١١
(٣) قواعد الشعر ص ٥٧
(٤) اعجاز القرآن ص ١١١
(٥) اعجاز القرآن ص ١٠٩

وتعريفه للمماثلة مأخوذ من تعريف قدامة للتمثيل كما أن أمثلته بعضها مما مثل به قدامة وقد صرح الباقلانى بالنقل عنه والبعض الآخر مثل به ابو هلال العسكرى أما تسميته مماثلة واتفاقه فى ذلك مع أبى هلال العسكرى فذلك راجع الى انهما كما يبدو ـ تابعا أبا احمد العسكرى الذى صرح عهد القاهر بأنه يسمى التمثيل مماثلة • وقد جعل الباقلانى من المماثلة قول يزيد بن الوليد لمروان بن محمد " انى اراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فاعتمد على ايهما شئت " (١)

وهذا من الاستعارة المركبة التى استعيرت فيها هيئة المشبه به المشبه وهو ما أطلق عليه المتأخرون الاستعارة التمثيلية ويذكر من امثلتها متواردا مع أبى هلال قوله تعالى " وثيابك فطهر " ثم يذكر قول الأصمعى " أراد البدن " وهو مما اصطلح المتأخرون على تسميته بالمجاز المرسل (٢)

ويتضح من تصريح الباقلانى بالنقل عن قدامه فى التمثيل، ومما نعتقده من متابعته لأبى احمد العسكرى أنه اعتمد فى هذا الباب عليهما ولم يأت بجديد يذكر يقول الدكتور عبده احمد هليل " وعلى الرغم من أن هذا النوع من البديع مهم فى البيان العربى ومع ذلك فلم يلق العناية اللازمة والاهتمام البالغ من القاضى الباقلانى " (٣)

والحق ان الباقلانى أولاه عناية كاملة ولكن جهده اعتمد على المتابعة والنقل لا على الابتكار والتجديد •

---

(١) اعجاز القرآن ١٠٩
(٢) اثر القرآن فى تطور البلاغة د • كامل الخولى ١٣٢
(٣) الباقلانى وجهوده فى البلاغة والنقد ٨٨

القـرن الخامس الهجـــرى

ابن رشـــــيق :ـ

وتتجمع لدى ابن رشيق فى القرن الخامس الهجرى اراء السابقين فى التشبيه والتمثيل والاستعارة فيذكر ما قيل فيها وينسب الى كل ذى رأى رأيه شارحا له او مخالفا فـــى القليل النادر ولا نحظى لديه فيما يخص الافراد والتركيب بما كنا نتوقعه من عالـــــم وناقد قرأ معظم ما كتب قبله ونقل ذلك فى فصول كتابه " العمدة "

الافراد والتعدد والتركيب فى التشبيه :ـ

ردد ابن رشيق آراء النقاد والعلماء السابقين الذين استحسنوا التشبيه المتعـــــدد فى البيت الواحد ونقل الأمثلة التى ذكروها وخاصة ابا هلال العسكرى .

وكما أن ابا هلال لم يفرق بين التشبيه المتعدد والمركب فان ابن رشيق لم يشـــــر كذلك الى هذا الفرق . وكما مثل أبو هلال للتشبيه المتعدد ببعض أمثلة الاستعـــارة المتعددة ردد ابن رشيق أيضا هذه الأمثلة .

يقول ابن رشيق " وأصل التشبيه مع دخول الكاف وأمثالها او كأن وما شاكلهـــا شئ بشئ فى بيت واحد الى ان صنع امرؤ القيس فى صفة عقاب

كأن قلوب الطير رطبا ويابســا .. لدى وكرها العناب والحشف البالى

فشبه شيئين بشيئين فى بيت واحد واتبعه الشعراء فى ذلك فقال لبيد بن ربيعه :

وجلا السيول عن الطلول كأنها .. زبر تجد متونها اقلامهـــــا

فشبه الطلول بالزبر والسيول بالاقلام بل زاد فشبه جلاء هذه عن هذه بتجديـــــد تلك لتلك " (١)

فهو هنا يقارن بين بيتين من حيث تعدد التشبيه فيهما ومع أن بيت لبيـــــد من التشبيه المركب المراعى فيه هيئة مركبة فى طرفى التشبيه الا أن ابن رشـــــيق فرقه فجعل السيول فى مقابلة الاقلام والطلول فى مقابلة الزبر والجلاء فى مقابلة التجديد

---

(١) العمـــدة ١ / ٢٩٠

فأصبح بيت لبيد بذلك من تشبيه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء بينما بيت امرئ القيس من تشبيه شيئين بشيئين ففى بيت لبيد زيادة ازداد بها التشبيه حسنا .

ثم يقارن بين بيت امرئ القيس وبيت بشار وبيت للطرماح مع أن الأخيرين مركبان فيقول " وحكى عن بشار أنه قال ما قرى القرابة منذ سمعت قول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا .·. حتى صنعت

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا .·. وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

فان كان مراده الترتيب فصدق ولم يقع بعد بيت امرئ القيس فى ترتيبه كبيته وان كان المراد تشبيهين فى بيت فقد قال الطرماح فى صفة ثور وحشى

يبدو وتضمره البلاد كأنه .·. سيف يصل ويغمد

وهذا نهاية فى الجودة " (١)

واذا كنا نرى توفيق ابن رشيق فى مراعاة الترتيب الجيد أو ما نسميه بالف والنشر المرتب فى بيت امرئ القيس فاننا نحمد له المقارنه بين بيت امرئ القيس وبيت الطرماح حيث انه على الرغم من التركيب فى بيت الطرماح الا أن الموازنة هنا من جانب أن كلا منهما فيه تشبيه شئ واحد فى حالين مختلفين : القلوب فى البيت الاول والثور فى الثانى بخلاف المقارنة بين بيتى امرئ القيس وبشار

ويمضى فى البحث عن التشبيه المتعدد فيقول " وربما شبهوا بثلاثة أشياء كما قال البحترى :

كأنما يبسم عن لؤلؤ .·. منظم او برد أو أقاح

فقول الشاعر أو " زيادة تشبيه وان لم يصح من جميع المشبه بها الا شئ واحد من جهة الحكم " (٢)

ونلاحظ ان المثال هنا من الاستعارة حيث ان المشبه وهو الاسنان محذوف وعذر ابن رشيق أنه ينظر الى ما فى الاستعارة من التشبيه . ثم ان المشبه واحد وهو الأسنان

---

(١) العمدة ١ / ٢٩١
(٢) العمدة ١ / ٢٩١

البيضاء والمشبه به متعدد جاء على سبيل العطف بأو . وقد أدرك ابن رشيق الفرق بين تعدد التشبيه بأو وتعدده بالواو فالأولى يراد منها مشبه واحد من بين المشبهات بها المتعددة بينما يراد بالثانية جميع المشبهات بها . وذلك صرح هنا بأنه لا يصح من جميع المشبه بها الا شيء واحد من جهة الحكم .

ويذكر ابن رشيق قول امرئ القيس :

له أيطلا ظبي وساقا نعامة .. وارخاء سرحان وتقريب تتفل

كمثال لتشبيه أربعة بأربعة .

كما يذكر بيت الوأواء الذي ساقه ابو هلال كمثال لتشبيه خمسة بخمسة ولكن ابن رشيق يتنبه الى ما لم يتنبه اليه ابو هلال وهو أن البيت من الاستعارة المتعددة فيقول " ومماوقع فيه تشبيه خمسة بخمسة قول ابي الفرج الوأواء وأتى به بغير آلة تشبيه :

فأسهلت لؤلؤا من نرجس وسقت .. وردا وعضت على العناب بالبرد (١)

فقوله " بغير آلة تشبيه " اشارة الى أن البيت من الاستعارة ثم يذكر ابن رشيق ما جاء من تشبيهات القرآن الكريم دون أن يفرق بين ما هو متعدد او مركب وبين ما هو حسي أو عقلي .

فيقول " وفي القرآن تشبيه كثير كقوله تعالى " والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم " وقوله تعالى " والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا " (٢) وهي امثلة ذكرها الرماني وتناولها من جانب الحسية والعقلية ولكن ابن رشيق مر عليها دون أن يفصح عما فيها من جمال او ما فيها من فروق بين الأفراد والتركيب .

التشبيه المقيد :ـ

نقل ابن رشيق عن الرماني ذلك النوع من التشبيه الذي لا يتأتى الا بالتقييد في طرفيه وهو ان لم يشر الى الكتاب الذي نقل عنه الا أن ابن رشيق مثل له بما ينسم

---

(١) العمدة ١ / ٢٩٤

(٢) العمدة ١ / ٢٩٩

عن فهم واع لهذا النوع من التشبيه مقتفيا فى ذلك أثر العالم النابه ابى الحسن الرمانى يقول ابن رشيق " وقد يقع التشبيه بين الضدين والمختلفين كقولك المسك فى حلاوته كالصبر فى مرارته او كالخل فى حموضته • قال ابو الحسن الرمانى وهذا الضرب من التشبيه لا يقال الا بتقييد وتفسير ومن هذا النوع الذى ذكره الرمانى قول ابن المهدى للمأمون يعتذر •

لئن جحدتك مصروفا مننت بـــه •• انى لفى اللؤم أحظى منك فى الكرم

وكذلك قول ابى نواس :

اصبح الحسن منك يا احسن الأمـــة يحكى سماحة ابن حبيش

يريد أن هذا غاية كما أن هذا غاية " (١)

وكل هذه الأمثلة من التشبيهات المفردة المقيدة الطرفين والقيد فى جميع الأمثلة جار ومجرور ما عدا المشبه به فى البيت الاخير فهو من المقيد بالاضافة •

الاستعـــارة :ـ

تعرض ابن رشيق للاستعارة المفردة فيما نسميه بالاستعارة المكنية حين نقل قول ابى عمرو بن العلاء تعليقا على قول ذى الرمة :

اقامت به حتى ذوى العود والثرى •• وساق الثريا فى ملاءته الفجر

فقال ابن رشيق " وكان ابو عمرو بن العلاء لا يرى أن لأحد مثل هذه العبارة ويقول الا ترى كيف صير له ملاءة ولا ملاءة له وانما استعار له هذه اللفظة " (٢)

والجدير بالذكر ان ابن رشيق ألمح الى هذا الفرق بين نوعين من الاستعارة المفردة التى نسميها استعارة مكنية فان هناك نوعا منها يعتمد على التشبيه كما فى بيت ذى الرمة السابق ونوعا آخر لا يعتمد على التشبيه يقول ابن رشيق " وبعض المتعقبين يرى ما كان من نوع بيت ذى الرمة ناقص الاستعارة اذ كان محمولا على التشبيه ويفضل عليه ما كان من نوع بيت لبيد (٣) يقصد قوله :

---

(١) العمدة ١ / ٢٩٥
(٢) العمدة ١ / ٢٦٩
(٣) العمدة ١ / ٢٦٩

وغداة ريح قد وزعت وقـــــرة ٠٠ اذا اصبحت بيد الشمال زمامهـــــا

واذا علمنا أن هذا هو ما يسميه علماء البلاغة الفرنسيون تشخيصا أدركنا مدى عمـــق هذه النظرة من النقاد العرب القدامى ٠

تعددهـــــــا :ـ

أشرت فى الحديث عن تعدد التشبيه الى أن ابن رشيق حين ذكر بيت ابى الفرج الوأواء :

فأسبلت لـــــؤلـــؤا ٠٠ البيت

المح الى أن هذا البيت من الاستعارة فى قوله " وأتى به بغير آلة تشبيه " وابـــــن رشيق يفرق بين الاستعارة والتشبيه بالأداة على حد قوله " والتمثيل والاستعـــــارة من التشبيه الا انهما بغير أداته وعلى غير اسلوبه " ٠ وبذلك يكون البيت مـــــن الاستعارة المتعددة ٠

تركيبهـــــــا :ـ

ذكر ابن رشيق الاستعارة المركبة تحت اسم التمثيل وهو لا يخرج عما ذكره قدامـــة وابو هلال فى باب المماثلة غير أن ابن رشيق صرح بأن التمثيل ضرب من الاستعـــارة بينما جعله قدامه من نعوت " ائتلاف اللفظ والمعنى " وبذلك يكون قد ألمح الـــى من بعده أن يسلكوه فى باب الاستعارة ويطلقوا عليه الاستعارة التمثيلية يقول ابـــن رشيق " ومن ضروب الاستعارة التمثيل وهو المماثلة عند بعضهم وذلك ان يمثـــل شيئا بشئ فيه اشارة نحو قول امرئ القيس :

ما ذرفت عيناك الا لتقدحـــى ٠٠ بسهميك فى أعشار قلب مقتـــل

فمثل عينيها بسهمى الميسر بمعنى المعلى وله ستة انصباء والرقيب له ثلاثـــة انصباء فصار جميع اعشار قلبه للسهمين اللذين مثل بهما عينيها ومثل قلبـــه

بأعشار الجزور فتمت له جهات الاستعارة والتمثيل ". (١)

وقد ظن فضيلة المرحوم الاستاذ محيي الدين عبد الحميد ان قوله : فيه اشارة تحريف ربما كان صوابه فيه استعارة " ويؤيده قوله في آخر التعليق على بيت امرئ القيس : فتمت لها جهات الاستعارة والتمثيل ". (٢)

والذي أفهمه ان تحريف ابن رشيق التمثيل ليس فيه تحريف ذلك أن التمثيل عنده نوع من الاستعارة التي اختصر فيها احد طرفيها وهو المشبه والمشار اليه بالمشبه به

ومما يلفت النظر أن ابن رشيق ألمع الى أن التمثيل يحتاج الى نوع من التأول يجعله مدركا بالعقول لا بالحواس وبذلك تمتاز صور التمثيل عن التشبيه الذي يقع في المحسوسات فهو يقول " وقال بعض المولدين :

وتدبر عينا في صفيحة فضة .. كسواد رأس في بياض رجاء

فالسواد على الحقيقة غير أسود لأنه لا يدرك بالعيان لكن صورته في العقول وتمثيله كذلك مجاز ". (٣)

المثل :ـ

أما لفظ المثل فلا يأخذ عند ابن رشيق طابعا محددا يميزه بل هو يتسع لصور التشبيه والاستعارة التمثيلية بل ويشمل القول المأثور الجيد والحكمة البليغة وان لم يكن فيها شيء من التشبيه .

فيما هو ذا يقول " ومما فيه مثل واحد قول عنترة العبسي

نهيت عمرا غير شاكر نعمتي .. والكفر مخبثة لنفس المنعم

ومما فيه ثلاثة امثال قول زهير :

وفي الحكم اذعان وفي العفو مذربة .. وفي الصدق منجاة من الشر فاصدق (٤)

فأنت ترى أن هذه الأمثال التي اوردها من الأقوال البليغة والحكم الرفيعة التي تتضمن الايجاز والاصابة ولكنها ليست من التشبيه ومع ذلك فهي امثال . ويأتي امثال

---

(١) العمدة ١ / ٢٨٠
(٢) العمدة ١ / ٢٧٧
(٣) العمدة ١ / ٢٨٨
(٤) العمدة ١ / ٢٨٣

مرادا به التشبيه الذى يرد فى القرآن موجزا معجزا بقول ابن رشيق: " وقد يأتى الامثال الطوال محكمة اذا تولاها الفصحاء من الناس فأما ما كان منها فى القرآن فقد ضمن الاعجاز قال الله عز وجل " كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت " وقال فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث " وقال " كمثل الحمار يحمل اسفارا " فهذه امثال قصار " (١)

ثم يأتى المثل مرادا به القصة العجيبة " ومن الأمثال الطوال قوله تعالى " ضرب الله مثلا للذين كفروا ، امرأة نوح وامرأة لوط " فالمراد هنا من المثال القصة التى تأتى للعظة والاعتبار .

واذا كان ابن رشيق يروى عن بعضهم قوله " وفى المثل ثلاث خلال ايجاز اللفظ واصابة المعنى وحسن التشبيه " فهل يشترط وجود التشبيه فى المثل ؟
والجواب : نعم بدليل أنه كان يأتى بأمثلة لا يمكن فيها التشبيه ومع ذلك يحاول اجراء التشبيه فيها مع ما فى ذلك من التكلف كما فى قوله " والمثل المضروب فى الهمز نحو قول طرفه :

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا ٭٭ ويأتيك بالاخبار من لم تزود

راجع الى ماذكرته لأن معناه ستبدى لك الأيام كما أبدت لغيرك ويأتيك بالاخبار من لم تزود كما جرت عادة الزمان .

وتسمية المثل دالة على ما قلته لان المثل والمثل الشبيه والنظير " (٢)
فكأنه يشترط التشبيه فى كل مثل ويتكلف ايقاع التشبيه فى البيت مع انه ينفر منه كل النفور ويرد المثل مرادا به الاستعارة التمثيلية التى فشا استعمالها وهو من المجاز المركب الذى يطلق عليه علماء البلاغة المتأخرون اسم المثل يقول ابن رشيق " ومن الامثال أيضا كلمات سارت على وجه الدهر كقولهم تسمع بالمعيدى خير من ان تراه " يضرب مثلا للذى رؤيته دون السماع به وفى كل ما جرى هذا المجرى وكذلك قولهم " على أهلها جنت براقش " يضرب مثلا للرجل يهلك قومه بسببه " (٣)

---

(١) العمدة ١ / ٢٨١
(٢) العمدة ١ / ١٨٠
(٣) العمدة ج ١ / ٢٨٥

ابـــن سنان الخفاجـــــــى

أما ابن سنان الخفاجى المتوفى سنة ٤٦٦ هـ والذى عاصر كلا من ابن رشـــيق وعبد القاهـــر فأن حديثه الافراد والتركيب عنده يجئ على هيئة لمحات سريعـــــة واشارات خاطفة

الافراد والتركيب والتعدد فى التشبيه :ـ

ذكر ابن سنان السبب فى حسن التشبيه وأرجعه الى تمثيل الغائب الخفى الـذى لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد ومثل للتشبيه الحسن بعدد من آيات القـــــرآن الكريم منها ما هو مفرد ومنها ما هو مركب ومنها ما هو متعدد دون أن يفصح بشئ من هذه المصطلحات أو يلمح اليها ، فمن المفرد ذكر قوله تعالى " وله الجوار المنشـــآت فى البحر كالأعلام " ومن المركب قوله تعالى " انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه مـــن السماء فاختلط به نبات الأرض "

ومن المتعدد قوله تعالى " فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان " ثم علـــق عليها بقوله " وهذه التشبيهات كلها على ما بيناه من تشبيه الخفى بالظاهر المحســوس والذى لا يعتاد بالمعتاد لما فى ذلك من البيان ألا قوله تبارك وتعالى " وله الجـوار المنشآت فى البحر كالأعلام " فانه شبه الشئ بما هو اعظم منه على وجه المبالغة "(١) لكنه عقب ذلك اشار الى ما عرف بالتشبيه المتعدد حيث جعل من مختار الشعر قـــــول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير ... ثم قال " وهذا من التشبيه المقصود به ايضاح الشـــــئ لأن مشاهدة العناب والحشف البالى اكثر من مشاهدة قلوب الطير رطبة ويابسه، وروى عـــن بشار بن برد أنه قال : مازلت منذ سمعت بيت امرئ القيس هذا اطلب أن يقع لـــــى تشبيهان فى بيت واحد حتى قلت :

كأن مثار النقع فوق رؤوســـنا ... وأسيافنا ليل تهاوى كواكبـــــه

---

(١) سر الفصاحـــــة ٢٣٥ ـ ٢٣٦

فشبهت النقي بالليل والسيوف بالكواكب " (١)

ويتضح من ذلك أنه لا يفرق بين المتعدد والمركب ، فهو يرى أن في بيتي امرئ القيس وبشار تشبيهين مع أن بيت بشار من التشبيه المركب ويؤكد ذلك تعليقه على قول الشاعر :

وخال على خديك يبدو كأنه ∴ سنا البدر في دعجاء باد دجونها

حيث عده من رديء التشبيه ، وعلل ذلك بقوله " لأن الخدود بيض والمتعارف أن يكون الخال أسود فتشبيه الخدود بالليل والخال بضوء البدر تشبيه ناقض للمادة " (٢)

فقد فرق التشبيه المركب وجعله تشبيهين متعددين .

التشبيه التمثيلي :-

ذكر ابن سنان نوعا من التمثيل يجيء في أعقاب المعاني للاستدلال متواردا في ذلك مع معاصره عبد القاهر الجرجاني من حيث الأمثلة والغرض الذي يؤديه التصوير فيها وقد تمهد ابن سنان نماذجه بالتوضيح والتفصيل مما ينبيء عن تركيب طرفي التمثيل ، يقول " وأما الاستدلال بالتمثيل فأن يزيد في الكلام معنى يدل على صحته بذكر مثال له نحو قول ابي العلاء :

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم ∴ والمذنب يهجر للافراط في الخصر

فدل ذلك على أن الزيادة فيما يطلب ربما كانت سببا للامتناع منه بتمثيل ذلك بالماء الذي لا يشرب لفرط برده وان كان البرد فيه مطلوبا محمودا " (٣)

فقد كشف ابن سنان عن سر التمثيل وغرضه وهو التعقيب على المعنى بما يفيد صحته وامكانه ثم شرح طرفي التمثيل بما يدل على تركيبهما ، والتمثيل هنا لم يصرح فيه بالأداة ، وما جاء مصرحا فيه بالأداة قول النابغة :

ولكنني كنت امرأ لي جانب ∴ من الأرض فيه مستراد ومذهب
ملوك واخوان اذا ما لقيتهم ∴ أحكم في أموالهم وأقرب
كفعلك في قوم أراك اصطفيتهم ∴ فلم ترهم في شكر ذلك أذنبوا

(١) سر الفصاحة صـ ٢٣٦ ـ ٢٣٧
(٢) سر الفصاحة ٢٤١
(٣) سر الفصاحة ٢٥٩

يقول ابن سنان " فاستدل النابغة على أنه لا يستحق اللوم بمدحه آل جفنه وقد أحسنوا اليه بما مثله من القوم الذين أنعم النعمان عليهم فلما مدحوه لم يكونوا عنده ملومين (١)

الافراد والتعدد والتركيب فى الاستعارة :ـ

يقول ابن سنان فى قوله تعالى " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك " حقيقته لا تمنع نائلك كل المنع والاستعارة أبلغ ، لأنه جعل منع النائل بمنزلة غل اليد الى العنق وحال المغلول أظهر وأمثال هذا فى كتاب الله كثير وهو جار على عادة العرب المعروفة فى الاستعارة • ومنه قول طفيل الغنوى :

وجملت كورى فوق ناجية ٠٠ يقتات شحم سنامها الرجل

فان استعارة هذا البيت مرضية عند جماعة من العلماء بالشعر لأن الشحم لما كان من الاشياء التى تقتات وكان الرجل يتخونه ويذيبه كان ذلك بمنزلة من يقتاته وحسنت استعارة القوت • (٢)

ومنه نلحظ دقة ابن سنان فى بيانه لطرفى الاستعارة بما يفيد تركيب الأولى حيث شبه فيها منع النائل بغل اليد الى العنق وافراد الثانية التى استعير فيها القوت وهو لفظ مفرد • ثم ميز بين الاستعارة المفردة والمتعددة ووازن بينهما فحكم للمفردة بالمزية والفضل مخالفا الآمدى يقول " وانما قلت ذلك لأن أبا القاسم قد أفصح بأن امرأ القيس لما جعل الليل وسطا وعجزا استعار له اسم الصلب وجعله متمطيا من أجل امتداده وذكر الكلكل من أجل نهوضه فكل هذا انما يحسن بعضه لأجل بعض فذكر الصلب انما حسن لأجل العجز والوسط ، والتمطى لأجل الصلب ، والكلكل لمجموع ذلك ، وهذه الاستعارات المبنية على غيرها فذلك لم أر أن أجعلها من أبلغ الاستعارات وأجدرها بالحمد والوصف ، وكانت استعارة طفيل وذى الرمة عندى أوفق وأصح لأنها غنية بنفسها غير مفتقرة الى مقدمة جليتها • (٣)

وذكر ابن سنان ما عرف بالاستعارة التمثيلية تحت اسم التمثيل متابعا اقدامه

---

(١) سر الفصاحة صـ ٢٦٠ و ما بعدها
(٢) سر الفصاحة صـ ١١٣
(٣) سر الفصاحة صـ ٢٢٢

وجعله من نعوت الفصاحة والبلاغة وعرفه بقوله " أن يراد معنى فيوضح بألفاظ تـــدل على معنى آخر وذلك المعنى مثال للمعنى المقصود "(١)

ثم مثل له من الشعر بقول الرمـــاح

الم تك فى يمنى يديك جعلتنـــى ٠٠ فلا تجعلنى بعدها فى شمالـــكا

ومثل له من النثر بقول الوليد : انى اراك تقدم رجلا وتؤخر أخـــــــــــــرى

وهى نماذج تدخل فيما عرف بالاستعارة التمثيلية التى يكون طرفاها مركبين ٠

(١) ســـر الفصاحـــة صـ ٢٢٢

الباب الثانى

الافراد والتركيب لدى عبد القاهر والمتأخرين

الفصل الأول :

الافراد والتركيب فى التشبيه

المبحث الأول : جهود عبد القاهر الجرجاني

ومع امام البيان عبد القاهر ابى بكر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ نلتقى بأول حديث مفصل عن افراد التشبيه وتركيبه والاستعارة المفردة والمتعددة والمركبة والفرق بين التشبيه والتمثيل فى أبحاث واضحة ومكتملة بعد أن كانت هذه المباحث اشارات خاطفة ولمحات سريعة لدى السابقين وانه لمما يثير الدهشة والاعجاب معا أن هذه الأبحاث التى بسطها عبد القاهر وحدد معالمها لم تتقدم بعده خطوة واحدة على طريق الانماء والاثراء وان كانت هناك محاولات لافراغ هذه الأبحاث فى قوالب الحدود والتقسيمات وتفتيتها تحت عناوين افراد الوجه وتركيبه وافراد الطرفين وتركيبهما والتشبيه المطلق والمقيد وغير ذلك،

ولكننا نتساءل ما سر اهتمام الامام عبد القاهر بحديث الافراد والتركيب فى التشبيه والاستعارة وتفصيل الحديث فى ذلك بالرغم من أن السابقين والمعاصرين له كانوا يمرون عليها مرا سريعا يلوحون اليها بأصابعهم حينا ولا يلتفتون اليها فى كثير من الأحيان .

أن ابحاثه فى التشبيه والاستعارة والكناية بوجه عام سبقتها جهود لعلماء سابقين تركوا بصماتهم واضحة عليها وتأثر عبد القاهر بهذه الجهود لا يخفى غير أن حديث عبد القاهر عن الافراد والتعدد والتركيب فى التشبيه والتمثيل والاستعارة يتسم بالطرافة والاكتمال معا . فما سر اهتمامه هذا ؟

والجواب : أن عبد القاهر الذي كانت تلح عليه فكرة النظم وقضية اللفظ والمعنى والتى استغرقت كتابه " دلائل الاعجاز " كله اراد أن يطبقها على أبحاث التشبيه والاستعارة والتمثيل ايضا ومن ثم كان الحديث عن افراد الصورة التشبيهية والاستعارية او تركيبها يمثل جوهر الموضوع فى قضيته و من هنا ايضا كان سر اعجابه بالتشبيهات والتمثيلات المركبة التى تخدم أساسا فكرة النظم .

لذلك نجد عبد القاهر اذا تحدث فى كتابه دلائل الاعجاز عن التشبيه والاستعارة والتمثيل ــ وهى ابحاث بيانية ــ وسط كتاب جل ابحاثه فى المعانى فانما يكون حديثه لاثبات أن أبحاث البيان أيضا تنطبق عليها فكرة النظم يقول عبد القاهر :

واذ قد عرفت أن طريق العلم بالمعنى فى الاستعارة والكناية مما المعقول فاعلم أن حكم التمثيل فى ذلك حكمها بل الأمر فى التمثيل أظهر ، وذلك أنه ليس من عاقل يشك اذا نظر فى كتاب يزيد بن الوليد الى مروان بن محمد حين بلغه أنه يتلكأ فى بيعته أما بعد فانى أراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى فاذا اتاك كتابى هذا فاعتمد على ايتهما شئت والسلام يعلم أن المعنى أنه يقول بلغنى أنك فى أمر البيعة بين رأيين مختلفين ترى تارة أن تبايع وأخرى أن تمتنع عن البيعة فاذا أتاك كتابى هذا فاعمل على أى الرأيين شئت وأنه لم يعرف ذلك من لفظ التقديم والتأخير أو من لفظ الرجل ولكن بأن علم أنه لا معنى لتقديم الرجل وتأخيرها فى رجل يدعى الى البيعة ، أن المعنى على أنه أراد أن يقول ان مثلك فى ترددك بين أن تبايع وبين أن تمتنع مثل رجل قائم ليذهب فى أمر فجعلت نفسه تريه تارة أن الصواب فى أن يذهب وأخرى أنه فى ان لا يذهب فجعل يقدم رجلا تاره ويؤخر أخرى وهكذا كل كلام كان ضرب مثل لا يخفى على من له أدنى تمييز أن الأغراض التى تكون الناس فى ذلك لا تعرف من الألفاظ ولكن تكون المعانى الحاصلة من مجموع الكلام أدلة على الأغراض والمقاصد " (١)

وحديثه عن التشبيه والاستعارة والتمثيل فى أسرار البلاغة انما هو تطبيق لفكرة النظم التى شرحها فى كتابه الدلائل وهو ما صرح به فى مواطن كثيرة من أسرار البلاغة مثل قوله " وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع فلا شبهة أن الحسن والقبح لا يعترض الكلام بهما الا من جهة المعانى خاصة من غير أن يكون للألفاظ فى ذلك نصيب أو يكون لها فى التحسين او خلاف التحسين تصعيد وتصويب .

أما الاستعارة فهى ضرب من التشبيه ونمط من التمثيل والتشبيه فيما مر والقياس يجرى فيما تعيه القلوب وتدركه العقول وتستفتى فيه الأفهام والأذهان لا الاسماع والآذان " (٢)

يقول الدكتور احمد بدوى " قد رأينا تطبيقا لفكرة النظم التى أتعب عبد القاهر نفسه فيها على الكلام عندما يجئ على نحو خاص من الصياغة فيه تقديم

---

(١) دلائل الاعجاز صـ ٢٨٦ ـ ٢٨٧

(٢) اسرار البلاغة صـ ١٤

أو تأخير أو ذكر أو حذف أو نحو ذلك وأن البلاغة انما هي في صلة المعاني بعضها ببعض لا في الألفاظ نفسها • وهنا يبين عبد القاهر أن الحكم في هذه الأبواب من مجاز وتشبيه وغيرهما يجرى على هذا النسق أيضا فنظمها وصلة المعاني بعضها ببعض مصدر بلاغتها " (١)

فحديث عبد القاهر عن التشبيه والاستعارة والتمثيل في كتابيه حديث متصل وابحاث ممتدة تتجه الى غرض واحد هو التأكيد والاستدلال على نظريته في النظم أو العلاقات • ومن ثم فانني لا اتفق مع أستاذنا الدكتور عبد المنعم خفاجي في قوله " أن بحوث عبد القاهر في الاسرار ترجع الى الكلمة المفردة من حيث دلالتها على معانيها اللازمية وذلك في التشبيه والتمثيل والاستعارة والكناية وفي كتاب الدلائل يبحث في الأسلوب وخصائصه ووجوهه والفروق البلاغية التي تدور حول هذه الوجوه" (٢) وطبقا لذلك فان اهتمام عبد القاهر بالافراد والتركيب في التشبيه والتمثيل والاستعارة نابع من اهتمامه بابراز العلاقات وأسرار التراكيب تأكيدا لنظريته المشهورة في النظم والتأليف •

الافراد والتركيب والتعدد في التشبيه :ـ

عقد عبد القاهر فصلا تحدث فيه عن قرب التشبيه وغرابته واسباب الغرابة فجعل التشبيه المفرد الذي ليس فيه شيء من التفصيل من التشبيه القريب لأنه ليس في حاجة الى اعمال الفكر أو دقة النظر " بيان ذلك أنك كلما ترى الشمس يجرى في خاطرك استدارتها وسورها • تقع في قلبك المرآة المجلوة ويتراءى لك الشبه منها فيها وكذلك اذا نظرت الى الوشي منشورا وتطلبت لحسنه ونقشه واختلاف الأصباغ فيه شبهها حضرك ذكر الروض معطورا مفترا مبتسما عن انواره وكذلك اذا نظرت الى السيف الصقيل عند سله وبريق متنه لم يتباعد عنك ان تذكر انمقاق البرق وان كان هذا أقل ظهورا من الأول " (٣)

وقد أرجع عبد القاهر أسباب الغرابة الى أمرين هما التفصيل والندرة وقد أفاض في الحديث عن التشبيه المفصل وكشف عن وجوه التركيب فيه من خلال النماذج المتعددة التي أوردها •

والتفصيل كما يتضح من كلام عبد القاهر يعني به انتزاع وجه الشبه من أمور متعددة

---

(١) عبد القاهر الجرجاني صـ ١١٦ (٢) اسرار البلاغة صـ ١٢٦

(٢) مقدمة اسرار البلاغة صـ ١٧ ج /١

وهو ما نسميه بالتشبيه المركب وقد حدد ذلك بقوله " واعلم أن قولنا التفصيل عبارة جامعة وبحصولها على الجملة أن معك وصفين أو أوصافا فأنت تنظر فيها واحدا واحدا وتفصل بالتأمل بعضها عن بعض وقد أرتك فى الجملة حاجة الى أن تنظر فى اكثر من شىء واحد وأن تنظر فى الشىء الواحد الى اكثر من جهة واحدة ثم أن تقع على أوجه أحدها وهو الأولى والأحق بهذه العبارة أن تفصل بأن تأخذ بعضا وتدع بعضا ... كما فعل فى الذهب حين عزل الدخان عن السنا وجرده وكما فعل الآخر حين فصل الحدق عن الجفون وأثبتها مفردة " (١)

ثم يمضى الى القول " (والثانى أن تفصل بأن تنظر من المشبه فى أمور اعتبرها كلها وتطلبها فيما يشبه به وذلك كاعتبارك فى تشبيه الثريا بالعنقود الأنجم نفسها والشكل منها واللون وكونها مجتمعة على مقدار فى القرب والبعد فقد نظرت فى الامور واحدا واحدا وجملتها بتأملك فصلا فصلا ثم جمعتها فى تشبيهك وطلبت للهيئة الحاصلة من عدة أشخاص الأنجم والأصناف التى ذكرتها لك من الشكل واللون والتقارب على وجه مخصوص هيئة أخرى شبيهة بها فى العنقود المنور من الملاحية " (٢)
فالتفصيل هنا أنتج مشبها تركب تركيبا اعتباريا لأنه فى الحقيقة مفرد وهو الثريا ولكنه صار هيئة باعتبار أنك تنظر فى الثريا الى الانجم نفسها والى الشكل واللون ومن هنا تطلبت هيئة فى المشبه به روعى فيها هذه الأوصاف ويصرح عبد القاهر بأن التشبيه كلما كان مركبا من شيئين أو اكثر ازداد قوة وكان أدعى الى الغرابة ثم يقسم هذا التشبيه المركب من شيئين أو اكثر الى قسمين أحدهما ما كان المشبه به فيه خيالا يا لا وجود له فى الواقع وثانيهما أن يكون مما له وجود مشاهد فمن الأول قول الشاعر :

وكأن محمر الشقيـ .. ـق اذا تصوب أو تصعـد
أعلام ياقوت نشـ .. ـر على رماح من زبرجـد

---

(١) السابق ص ١٣٤ ـ ١٣٥
(٢) السابق ص ١٣٥

" اشترط هيئة الأعلام وأن تكون من الياقوت وأن تكون منشورة على رماح من زبرجد فيك حاجة فى ذلك الى مجموع أمور لو أخلت بواحد منها لم يحصل الشبه " (١)

واذا كان عبد القاهر قد استحسن هذا التشبيه فان استحسانه له من زاوية خاصة بالنظر الى ما فيه من الدقة فى انتزاع وجه الشبه وتلاؤم اطراف التشبيه وما فيها من تفصيل دقيق بعيداً عن قضية الصدق أو الكذب . وعلى ذلك فليس ثمة موضع لنقد عبد القاهر والهجوم عليه بسبب هذا الاستحسان يقول الدكتور زغلول سلام " فالصورة هنا مركبة من أشياء حسية ولكنها لا تتم الا فى العقل وليس فيها سوى الجمع بين شكلين متشابهين أو اكثر وان اختلفا فيما يحملان من معان قربته الى روح الصورة الموصوفة أو المحكية وما تحملها الأشكال فى كل من أحاسيس متناقضة ففى مجال الاحساس بجمال الرياض والزهور والتملى من ألوانها الحمراء والخضراء وعودة الحياة أو تدفقها فى الغصون والأوراق اليانعة لا يستحسن ذكر الرماح والدبابيس حتى ولو كانت من الزبرجد والذهب فالتشبيه هنا كاذب حسا وشعورا وان أدعى عبد القاهر نهايته فى الحسن اعتمادا على التلفيق العقلى " (٢)

وقريبا من ذلك ما قاله الدكتور رجب البيومى والدكتور بكرى شيخ امين الذى يرى أن التشبيه لا يقدر بنفاسة عناصره ولكن بقدرته على التصوير والتأثير " (٣)

فلا مبرر لاتهام الشيخ فى استحسانه الذى يعتمد على ما فى التصوير من الدقة والتفصيل وعلى مقدرة الشاعر فى التخيل كما أن الادعاء بأن التشبيه لا يقدر بنفاسة عناصره ليس مسلما به لأن مواد الصورة ومظاهرها الحسية احدى وسائل الشاعر للاثارة وتحريك المشاعر . يقول الدكتور عز الدين اسماعيل " ان الألوان الأشياء وأشكالها هى المظاهر الحسية التى تحدث توترا فى الأعصاب وحركة فى الشاعر ، انها مثيرات حسية يتفاوت تأثيرها فى الناس لكن المعروف أن الشاعر كالطفل يحب هذه الألوان والأشكال ويحب اللعب بها غير أنها ليس لمجرد اللعب وانما هو لعب تدفع اليه الحاجة الى استكشاف الصورة أولا ثم اثارة القارئ

---

(١) الاسرار ص ١٣٦
(٢) تاريخ النقد العربى من القرن الخامس الى العاشر ٢٣١ ــ ٢٣٢
(٣) التصوير الفنى فى القرآن . د . بكرى أمين ص ١٩٣

أو المتلقى ثانيـــا

ـ ـيـ ـ فالشعر اذن ينبت فى أحضان الأشكان والألوان سواء كانت منظورة أو مستحضرة فى الذهن " (١)

والنوع الثانى الذى تحدث عنه عبد القاهر هو التشبيه المركب الذى له وجود فـــى الواقع ومثل له بقول الشاعر :

غدا والصبح تحت الليـــل باد ٠٠ كطرف أشهب ملقى الجـــلال

" قصد الشبه الحاصل لك اذا نظرت الى الصبح والليل جميعا وتأملت حالهما معـــا فأراد أن يأتى بنظير للهيئة المشاهدة من مقارنة احدهما الآخر ولم يرد أن يشـــبه الصبح على الانفراد والليل على الانفراد " (٢)

موازنة بين التشبيهات المركبة :ـ

ومن بديع ما رأيناه عند عبد القاهر فى حديث التركيب تلك الموازنات التى يقيمهـــا بين ابيات تبدو متفقة فى تركيبها وعناصر التركيب فيها ويتناولها بعين الناقد البصـــير والصيرف الماهر الذى يملك القدرة على لمح الفوارق الدقيقة بين هذه المركبـــات وتفاوتها فى أداء الصورة مثل الموازنة التى عقدها بين قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ٠٠ وأسيافنا ليل تهاوى كواكبـــه

و قول المتنبى :

يزور الأعادى فى سماء عجاجـة ٠٠ أسنته فى جانبيها الكواكـــب

وقول كلثوم بن عمرو العتابى

تهنى سناكلها من فوق أرؤسهم ٠٠ سقفا كواكبه البيض المباتيـــر

يوازن عبد القاهر بين هذه الأبيات بقوله " التفصيل فى الآيات الثلاثة كأنه شـــئ واحد لأن كل واحد منهم يشبه لمعان السيوف فى الغبار بالكواكب فى الليـــل ألا أنك تجد لبيت بشار من الفضل ومن كرم الموقع ولطف التأثير فى النفس مالا يقـــل مقداره ولا يمكن انكاره وذلك لأنه راعى ما لم يراعه غيره وهو أن جعل الكواكـــب تهاوى فأتم الشبه وعبر عن هيئة السيوف وقد سلت من الأغماد وهى تعلو وترســـب

(١) الشعر العربى المعاصر ص ١٢٩ (٢) الأسرار ص ١٣٧

وتجيء وتذهب ولم يقتصر على أن يريك لمعانها في أثناء المجاجة كما فعل الآخران وكان لهذه الزيادة التي زادها حظ من الدقة يجعلها في حكم تفصيل بعد تفصيل " (١)

التركيب في هيئات الحركة والسكون :ـ

عقد الجرجاني فصلا مهما تحدث فيه عن التركيب في هيئات الحركة والسكون، وحلل أمثلته تحليلا رائعا فجاء حديثه متسما بالطرافة والابداع والحديث عن هيئات الحركة اشار اليه ابن طباطبا في قوله " والتشبيهات على ضروب مختلفة فمنها تشبيه الشيء بالشيء صورة وهيئة ومنها تشبيهه به حركة وبطوءا وسرعة " (٢)

ثم مثل لتشبيه الشيء بالشيء حركة وهيئة بقول الشاعر :

غراء فرعاء مصقول عوارضها ٠٠ تمشي الهوينى كما يمشي الوجى الوجل
كأن مشيتها من بيت جارتها مر السحابة لا ريث ولا عجل

ثم مثل التشبيه الشيء بالشيء حركة وبطوءا وسرعة بقول امرئ القيس :

كأن الحصى من خلفها وأمامها ٠٠ اذا نجلته رجلها حذف أعسرا

التقط الجرجاني هذه اللمحة البارعة من ابن طباطبا وناها فأنتجت لديه هذا الحديث الثري الشائق يقول أستاذنا الدكتور عبد الرحمن الكردي " ومن أصحاب تلك الجهود التي أثرت في عبد القاهر ابن طباطبا العلوي الذي قدم تقسيما للتشبيه استفاد منه عبد القاهر ايما استفادة فعبد القاهر يقسم التشبيه غير التمثيلي مثلا الى تشبيه لون بلون وتشبيه صوت بصوت وتشبيه هيئة بما يتبعها من حركة وسكون وهو نفس تقسيم ابن طباطبا الا أن ابن طباطبا قدم لتقسيمه أمثلة كاملة و جاء عبد القاهر فوجد اعتناء ابن طباطبا بتقسيم التشبيه وما ساقه من الأمثلة

---

(١) الاسرار ص ١٤١
(٢) عيار الشعر ص ١٧

فاستفاد منه والتقى به ومر عليه سريعا ليوضح تشبيهه الذى كشف نقابه فأسفر عن وجه التشبيه التمثيلى (١)

فتأثر عبد القاهر بتقسيمات ابن طباطبا ظاهر فى التشبيه و هو بالفعل سار سريعا على أمثلة هذه التقسيمات غير أنه أطال الوقوف عند التشبيه الواقع فى هيئات الحركة والسكون وعقد له فصلا خاصا ابدع فيه كل الابداع مستفيدا من ابن طباطبا

و فى حديث عبد القاهر عن هيئات الحركة والسكون اذا روى فيها تفصيل يطالعك رأيه فى أن الجمع بين الهيئة والحركة أو مراعاة الجمع بين الجهات فيما اذا كانت الحركات مجردة من أى وصف آخر يجعله من بديع المركب الحسى .

يقول عبد القاهر : والهيئة المقصودة فى التشبيه على وجهين أحدهما أن تقترن بغيرها من الاوصاف كالشكل واللون ونحوهما والثانى أن تجرد هيئة الحركة حتى لا يراد غيرها فمن الأول قوله " والشمس كالمرآة فى كف الأشل " اراد أن يريك مع الشكل الذى هو الاستدارة ومع الاشراق والتلألؤ على الحملة الحركة التى تراها للشمس اذا أنعمت التأمل ثم ما يحصل فى نورها من أجل تلك الحركة و ذلك أن للشمس حركة متصلة دائمة فى غاية السرعة ولنورها بسبب تلك الحركة تموج واضطراب (٢) " واما هيئة الحركة مجردة من كل وصف يكون فى الجسم فيقع فيها نوع من التركيب بأن يكون للجسم حركات فى جهات مختلفة نحو أن بعضها يتحرك الى يمين والبعض الى شمال وبعض الى فوق وبعض الى قدام ونحو ذلك و كلما كان التفاوت فى الجهات التى تتحرك أيعاض الجسم اليها أشد كان التركيب فى هيئة المتحرك اكثر فحركة الرحا والدولاب وحركة السهم لا تركيب فيها لأن الجهة واحدة ولكن فى حركة الصحف فى قوله " فأنطباقا مرة وانتشاحا " تركيب لأنه فى احدى الحالتين يتحرك الى جهة غير جهته فى الحالة الاخرى "(٣)

وواضح فى حديثه عن تركيب هيئة الجند أنه يقصد تركيبها فى الطرفين كما يقصده فى الوجه ولست فى حاجة الى بيان بعد بيانه وتمثيله بحركة الصحف الواقمة

---

(١) التشبيه بين عبد القاهر وابن الأثير ١٠٧ ــ ١٠٨
(٢) الاسرار ص ١٤٦
(٣) الاسرار ص ١٤٧ ــ ١٤٨

شبها بها فى قوله كأن البرق مصحف قار وتشبيهه بالتركيب فيها مع أن المشبه بـــه وهو حركة المصحف يمد من المفردات الا أن التركيب فيها جاء بالنظر الى هيئـــة الحركة من انطباق المصحف تارة وانفتاحه أخرى .

ويتعرض التركيب فى هيئات السكون فيذكر قول المتنبى يصف هيئة الكلـــب " يقعى جلوس المصطفى " ويقول " فقد اختص هيئة البدوى المصطلى فى تشبيهـــه هيئة سكون أعضاء الكلب ومواقعها فيها ولم ينل التشبيه حظا من الحسن الا بأن فيـــه تفصيلا من حيث كان لكل عضو من الكلب فى اقعائه موقع خاص وكأن مجموع تلـــك الجهات فى حكم اشكال مختلفة تؤلف فتجىء منها صورة خاصة "(١)

فلدينا هيئة مكونة من موقع كل عضو ساكن من الاعضاء فى موقعه شبهت بهيئة أخـــرى كذلك وكان مجموع تلك الجهات فى حكم أشكال مختلفة هى التى تألفت منها صـــورة وجه مركب .

الفرق بين التمدد والتركيب :ـ

يعقد عبد القاهر فصلا كاملا يحدد فيه التشبيه المتمدد ويوضح الفرق بينـــه وبين المركب فيقول " وهاهنا ما يذكر مع الذى عرفتك أنه مركب ويقرن اليه فى الكتـــب وهو على الحقيقة لا يستحق صفة التركيب ولا يشارك الذى مضى ذكره فى الاوصـــاف الذى كان له تشبيه بها مركبا وذلك أن يكون الكلام معقودا على تشبيه شيئين بشيئيـــن ضربة واحدة الا أن أحدهما لا يداخل الآخر فى الشبه ومثاله : قول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ٠٠ لدى وكرها العناب والحشف البالى

وذلك أنه لم يقصد الى أن يجعل بين الشيئين اتصالا وانما أراد اجتماعا فـــى مكان فقط كيف ولا يكون المضامة الرطب من القلوب الى اليابس هيئة يقصد ذكرهـــا أو يعنى بأمرها كما يكون ذلك لتباشير الصبح فى أثناء الظلماء وكون الشقيقـــة على قامتها الخضراء فيؤدى ذلك الشبه الحاصل من مداخله أحد المذكوريـــن الآخر واتصاله به اجتماع الحشف البالى والعناب كيف ولا فائدة لأن ترى العنـــاب مع الحشف اكثر من كونهما فى مكان واحد ولو أن اليابس من القلوب كانت مجموعة ناحيـــة

(١) الاسرار ص ١٥٠ ـ ١٥١

والرطبة كذلك فى ناحية اخرى لكان التشبيه بحاله ولذلك لو فرقت التشبيه ها هنـــا فقلت كأن الرطب من القلوب عنابا وكأن اليابس حشفا لم تر أحد التشبيهيـــن موقوفا فى الفائدة على الآخر وليس كذلك الحكم فى المركبات التى تقدمت " (١)

وبذلك يحدد بوضوح التشبيه المتعدد كما يضح الحدود الفاصلة بينه وبيـــن المركب مما لا يحتاج الى تعليق ثم يوضح سر جمال التشبيه المتعدد فيقول " واذا عرفت هذه التفصيلات فاعلم أن ما كان من التركيب على صورة بيت امرئ القيس فانمـــا يستحق الفضيلة من حيث اختصار اللفظ وحسن الترتيب " (٢)

ويمضى عبد القاهر بالحديث فى هذه القضية الى أبعد مدى حين يتحدث عـــن امكان فض التشبيه المركب مع الاحتفاظ بالغرض منه فيرى أن هناك من التشبيهـــات المركبة ما لا يمكن فض تركيبها وجعلها من التشبيه المتعدد لأن غرض الشاعـــر متعلق بالهيئة المركبة لا بالمفردات .

وتفتيت الصورة يبطل هذا الغرض " وقد يكون فى التشبيه المركب ما اذا فض تركيبه وجدت أحد طرفيه يخرج عن أن يصلح تشبيها لما كان جاء فى مقابلتـــه مع التركيب بيان ذلك أن الجلال فى قوله " كطرف أشهب ملقى الجلال فى مقابلـــة الليل وأنت لو قلت كأن الليل جلال وسكت لم يكن شيئا " (٣)

ويرى عبد القاهر أن هناك نوعا من التشبيهات المركبة التى يمكن فض تركيبهـــا فتصبح من التشبيه المتعدد ولكن جمال التركيب وروعته يضمحلان بفضه وتفتيتـــه " وقد يكون الشىء منه اذا فض تركيبه استوى التشبيه فى طرفيه الا أن الحـــال تتغير ومثال ذلك قوله

وكأن أجرام النجوم لوامعـــا ... درر نثرن على بساط أزرق

فأنت وان كنت اذا قلت كأن النجوم درر وكأن السماء بساط أزرق وجدت التشـــبيه

---

(١) الاسرار صـ ١٥٦
(٢) الاسرار صـ ١٥٧
(٣) الاسرار صـ ١٥٧

مقبولا معتادا مع التفريق فانك تعلم بعد ما بين الحالتين ومقدار الاحسان الـــذى يذهب من الهين وذلك أن المقصود من التشبيه أن يريك الهيئة التى تملأ النواظـر عجبا وتستوقف العيون وتستنطق القلوب بذكر الله تعالى من طلوع النجوم متلفـــة مفترقة فى أديم السماء وهى زرقاء وزرقتها الصافية التى تخدع العين والنجـــوم تلألأ وتبرق فى أثناء تلك الزرقة ومن لك بهذه الصورة اذا فرقت التشبيه وأزلت عنـــه الجمع والتركيب وهذا أظهر من أن يخفى " (١)

شبهـــة وردهـــا :ـ

وأرى أن أشير هنا الى ما ورد فى دلائل الاعجاز مما يوهم عند أول نظـــرة أن الشيخ يخلط بين التركيب والتعدد وذلك فى قوله " واذ قد عرفت هذا النمط مـــن الكلام وهو ما تتحد اجزاؤه حتى يوضع وضعا واحدا فاعلم أنه النمط العالى والبـــاب الأعظم والذى لا ترى سلطان المزية يعظم فى شئ كعظمه فيه وما ندر منه ولطـف مأخذه ودق نظر واضعه وجلى لك عن شأو قد تحسر دونه العتاق وغاية يعيا مـــن قبلها المذاكى القرح الأبيات المشهورة فى تشبيه شيئين بشيئين بيت امرئ القيـــس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابســـا ٠٠ لدى وكرها العناب والحشف البالى

وبيت الفرزدق :

والشيب ينهض فى الشباب كأنـــه ٠٠ ليل يصوح بجانبيه نهـــــار

وبيت بشـــار :

كأن مثار النقع فوق رؤوســـنا ٠٠ وأسيافنا ليل تهاوى كواكبـــه (٢)

وهو ما دفع ناشر الكتاب الاستاذ احمد مصطفى المراغى أن يعنون لهذا الجـــزء بالتشبيه المتعدد ولعله قصد بهذا العنوان التشبيه الذى جمع فيه بين شيئين بغض النظر عن كونه هنا جمعا على سبيل التركيب او على سبيل التعدد اذ لا يخفى علـــى مثله وهو العلامة الكبير الفرق بين المركب والمتعدد وهو بالفعل ما قصد اليـــه

(١) الاسرار ص ٥٧
(٢) دلائل الاعجاز ص ٦٤

عبد القاهر فانه جمع بين الأبيات الثلاثة لما فيها من صنعة دقيقة ونظم بديع فـــــى الجمع بين تشبيه شيئين بشيئين فى بيت واحد ولم يكن هنا بصدد التفريق بين جمـــع على سبيل التعدد والاستقلال كما فى بيت امرئ القيس أو جمع على سبيل المزج والتركيب كما فى بيتى الفرزدق وبشار ولذلك حينما عرض للأفراد والتركيب والتعدد فى اســـرار البلاغة فرق بين التعدد والتركيب وأكد أن بيت امرئ القيس من المتعدد وبيت بشـــار من المركب كما سبق أن ذكرنا آنفا .(١)

---

(١) راجع صـ ١١٩ وما بعدها

المبحث الثانى : جهود لم تتأثر بالامام

ابن الأثير :ـ

يعتبر ابن الاثير على رأس فريق من العلماء لم يظهر تأثرهم بعبد القاهـــــــر فى حديث الافراد والتركيب ولذلك كان مسلكه فى عرضه لهذه القضية يختلف عن منهـــج الامام . فبينما كان عبد القاهر موجها اهتمامه الى وجه الشبه بين الافراد أو التركيـــب فيه وكيفيه انتزاعه من الأطراف المفردة أو المركبة ويعقد الموازنات المديدة لبيـــــن الفوارق بين التشبيهات المركبة وما فى بعضها من زيادة تفصيل تجعله اكثر تركيـــــا وجدنا ابن الاثير يتناول بالبحث طرفى التشبيه ويقسمهما من حيث الافراد والتركيـــب الى أربعة أقسام : تشبيه مفرد بمفرد ومركب بمركب ومفرد بمركب ومركب بمفـــــرد دون أن يعنى بتوضيح وجه الشبه وما فيه من تركيب أو افراد وهو فى استشهاده بالنمـــاذج الأدبية لا يتوارد مع عبد القاهر فيها مما جعلنا نحكم بعدم تأثره بشيخ البلاغة فى هـــذا البحث يقول ابن الأثير " لا يخلو التشبيه من أربعة أقسام . اما تشبيه مفرد بمفـــــرد واما تشبيه مركب بمركب واما تشبيه مركب بمفرد والمراد بقولنا مفرد ومركب أن المفـــــرد يكون تشبيه شىء واحد بشىء واحد والمركب تشبيه شيئين اثنين بشيئين اثنين وكـــذلك المفرد بالمركب والمركب بالمفرد فان احدهما يكون تشبيه شىء واحد بشيئين والآخـــر يكون تشبيه شيئين بشىء واحد واست أعنى بقولى تشبيه شيئين بشيئين أنه لا يكـــون الا كذلك بل أردت تشبيه شيئين بشيئين فحو قهما كقول بعضهم فى الخمر :

فكأنها وكأن حامل كأسهـــــا ∴ اذ قام يجلوها على الندمـــاء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها ∴ بدر الدجى بكواكب الجـــوزاء

فشبه ثلاثة أشياء بثلاثة أشياء فانه شبه الساقى بالبدر وشبه الخمر بالشمس وشـــــبه الحبب الذى فوقها بالكواكب "(١)

واما تعريفه للمركب بأنه تشبيه شيئين اثنين بشيئين اثنين يوحى بأنه يخلـــط بين المركب والمتعدد لأن هذا التعريف لا يخص المركب وحده بل يشترك فيه المتعـــدد

---

(١) المثل السائر ٣ ص ١٥٤

أيضا لأن فيه تشبيه شيئين بشيئين ويؤيد ذلك تعقيبه على البيتين بما يفيد تشبيه كل واحد من الثلاثة بما يقابله لكن هذا الا يهام يتبدد حين يصرح ابن الأثير بعد ذلك بأنه لا يقصد مجرد الجمع بين شيئين او اشياء وانما يعنى بالتركيب صيرورة هذين الشيئين أو الأشياء بالمزج شيئا واحدا وهو التعريف الصحيح للتركيب كما اقره عبد القاهر والمتأخرون ثم فرق بين المركب والمتعدد بما لا يخرج عن مفهومنا لهذين المصطلحين وبما فى التركيب من المزج وما فى التعدد من الاستقلال وقد مثل ابن الاثير لتشبيه المركب بالمفرد بقول ابى تمام فى وصف الربيع :

يا صاحبى تقصيا نظريكما ٠٠ تريا وجوه الأرض كيف تصور
تريانها والشمس قد شابه ٠٠ زهر الربا فكأنما هو مقمر

ثم يعلق ضياء الدين عليهما بقوله " فشبه النهار المشمس مع الزهر الأبيض بضوء القمر و هو تشبيه حسن واقع موقعه مع ما فيه من لطف " وبما اعترض معترض فى هذا الموضوع وقال انك اوردت هذا القسم من التشبيه وذكرت أنه قليل وليس كذلك فان تشبيه شيئين بشيء واحد كثير كقول أبى الطيب المتنبى

تشرق اعراضهم وأوجههم ٠٠ كأنهما فى نفوسهم شيم

فشبه اشراق الاعراض والوجوه باشراق الشيم • والجواب عن ذلك انى اقول هذا البيت المعترض به على ما ذكرته ليس كالذى ذكرته فانى أردت أن يشبه شيئان هما كشيء واحد فى الاشتراك بشيء واحد الا ترى أن نور الشمس مع بياض الزهر وهما شيئان مشتركان قد شبها بضوء القمر واما هذا البيت الذى لأبى الطيب فانه تشبيه شيئين كل واحد منهما مفرد برأسه بشيء واحد لانه شبه اشراق الاعراض واشراق الوجوه باشراق الشيم وهذا غير ما أردته أنا • لكن ينبغى أن تعلم أن تشبيه المركب بالمفرد ينقسم قسمين احدهما تشبيه شيئين مشتركين بشيء واحد كالذى اوردته لأبى تمام و هو قليل الاستعمال والآخر تشبيه شيئين منفردين بشيء واحد كالذى ذكرته أنه لأبى الطيب وهو كثير الاستعمال " (١)

---

(١) المثل السائر ج ٣/١٥١ ــ ١٥٣

ويتبين من هذا الاعتراض والجواب عليه أن ابن الاثير يفرق بين المركب والمتعدد فان الأول يمتزج فيه الشيئان او الأشياء بحيث يصبحان أو تصبح شيئا واحدا بينما الثانى يعتمد على استقلال كل واحد منها عن الآخر وانفراده بنفسه وهو اذ يعد الثانى من المركب فانما هو مجرد الحاق به لأنه لا يجد مصطلحا آخر يخصه حيث أن مصطلح التعدد لم يكن قد عرف وتميز بعد . ولما كان يخص التركيب بالنوع الاول ويجعله أحق بهذا الاسم جاء تصريحه بأنه للبعد مقالا لتشبيه المركب بالمفرد الا بيتى ابى تمام السابقين ولو أنه كان يعتقد فى دخول المتعدد مع المركب لما كان هناك مانع من ادخال البيت المعترض به لأبى الطيب فى المركب وهو كثير الاستعمال على حد تعبيره .

ولأن هذا النوع وهو تشبيه المركب بالمفرد قليل فانه فى كتابه الجامع الكبير حذفه من الاقسام وجعل الأقسام ثلاثة تشبيه المفرد بالمفرد والمركب بالمركب والمفرد بالمركب ومعلوم أن الجامع الكبير اسبق من المثل السائر فلعله لم يكن قد عثر على هذا المثال لدى تأليفه لكتاب الجامع فلما عثر عليه أضافه الى القسمة فى المثل السائر وليس أدل على ندرة هذا النوع من أن المثال الذى ذكره ابن الاثير له هو بعينه لا يزال يتردد فى كتب المتأخرين دون أن يقرن به شاهد آخر .

وابن الأثير شأنه شأن عبد القاهر لا يقول بالتقييد على أنه منفصل عن التركيب بل يذكر القيود فى حديثه عن تركيب الطرفين دون أن يصرح بمصطلح التقييد أو يجعله قسما آخر غير التركيب فمثلا يقول " ومما ورد فيه قول النبى صلى الله عليه وسلم ((مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب ولا ريح لها ومثل المنافق الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب ولا طعم لها ومثل المنافق الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة لا ريح لها وطعمها مر)) وهذا من باب تشبيه المركب بالمركب الا ترى أن النبى صلى الله عليه وسلم شبه المؤمن القارئ وهو متصف بصفتين هما الايمان والقراءة بالأترجة وهى ذات وصفين هما الطعم والريح وكذلك يجرى الحكم فى المؤمن غير القارئ وفى المنافق القارئ وغير القارئ (١)

(١) المثل السائر صـ

فانت ترى ابن الاثير يعد هذه التشبيهات مركبه ويذكر القيود التى هى أوصاف المطرفين ولكنه لا يقول بأن التشبيه مقيد لأنه والتركيب صنوان .

وبذلك يكون ابن الاثير قد اختطه طريقا جديدا سار فيه يبحث الافراد والتركيب على غير ما سار الامام وبذلك لفت انظار المتأخرين الى تقسيم الطرفين الى مفرد ومركب وظلت هذه الاقسام تتردد فى كتبهم كما تركها ابن الاثير . على أنه بالرغم من أن اتجاهه فى التقسيم كان من خلال الطرفين الا أننا نجد لديه احيانا عناية بالاشارة الى وجه الشبه والتركيب فيه مع الطرفين ففى كتابه " الجامع الكبير " يذكر من التشبيه المركب بالمركب قوله تعالى انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء .. الآية .. ويعلق عليها بقوله " مشبهت حال الدنيا لسرعة زوالها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الأرض فى جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض وذلك تشبيه معنى بصورة وهو من أبدع ما يجىء فى هذا القسم " (١)

التنوخـــى :ـ

ومن تأثروا بابن الاثير فى تقسيمه هذا وسار على نهجه التنوخى فى كتابه الأقصى القريب فبعد أن قسم التشبيه الى تشبيه صورة بصورة ومعنى بمعنى ومعنى بصورة او صورة بمعنى قال " وكل واحد من هذه الأقسام ينقسم الى تشبيه مفرد بمفرد كقول المتلمس :

عقار عتقت فى الدن حتى .. كأن حبابها حدق الجراد

والى تشبيه مركب بمركب ومعناها تشبيه المركب بالمركب لاكل جزء بجزء على سبيل الانفراد كقول الشاعر :

يكن بكورا واستحرن بسحرة .. فهن وادى الرس كاليد فى الفم

واذا كان تشبيه كل جزء بنظيره على سبيل الانفراد فهو تشبيه المفرد بالمفرد كقول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا .. لدى وكرها العناب والحشف البالى (٢)

---

(١) الجامع الكبير ص ٩٣
(٢) الاقصى القريب ص ٤٢ ـ ٤٣

ويبدو من هذا النص ادراك التنوخي للفرق بين المركب والمتعدد حيث يرى أن تشبيه المركب بالمركب لا يشبه منه كل جزء بما يقابله من الجزء الآخر وانما يكون التشبيه لجميع التركيب الذي صار بالامتزاج شيئا واحدا تذوب فيه الاجزاء وبذلك يفصل المركب عن المتعدد غير أنه ادخل المتعدد في دائرة الافراد موافقا في ذلك المكاكي الذي حكم على بيت امرئ القيس بأنه من تشبيه المفرد بالمفرد بخلاف ابن الأثير الذي جعل المتعدد صورة من صور المركب وتظهر دقة التنوخي في النماذج التي ساقها للمفرد والمركب فتشبيه حباب الخمر بحد ق الجراد من تشبيه المفرد بالمفرد وهو ما لا ينازع فيه وتشبيه الخيل حال كونها في الوادي بهيئة الهد حال كونها في الفم ايضا لا ينازع في تركيبه .

ثم عرض للقسمين الأخيرين بقوله : " والى تشبيه مفرد بمركب كقول القائل

تزجي أغن كأن ابرة روقه .. قلم أصاب من الدواة مدادها

واما تشبيه المركب بالمفرد فكقول ابي نواس

رق الزجاج وراقت الخمر .. فتشابها متشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح .. وكأنما قدح ولا خمر (١)

واذا كان قد سلم له التمثيل في الاقسام الثلاثة الاول فانه لم يوفق في التمثيل للاخير وقد سبق أن ذكرت أن هذا القسم نادر الوجود بدليل أن ابن الاثير لم يعثر له الا على مثال واحد أخذ المتأخرون يرددونه دون أن يزيدوا عليه وربما كانت هذه محاولة من التنوخي ان يفتح الباب لأمثلة أخرى للتشبيه الذي قصد اليه التنوخي هو تشبيه الخمر الصافية في كأس رقيقة الزجاج بالخمر في غير قدح وعلى فرض التسليم بالتشبيه هنا فانه لا يمكن ان يكون المشبه به مفردا لأنه لا يمكن حذف القيد وهو قوله " ولا قدح " وان كنت أرى أنه لا تشبيه في البيتين وكأن هنا تفيد الظن لأننا لو قلنا بالتشبيه فسيكون من تشبيه الشيء بنفسه لان المشبه الخمر في الزجاج الرقيق والمشبه به الخمر في غير زجاج وهما شيء واحد .

---

(١) الأقص القريب ص ٤٤

العلوى :ـ

ومن المتأثرين بمنهج ابن الأثير فى تقسيم التشبيه الى مفرد ومركب العلوى فى كتابه الطراز الذى قسم التشبيه الى الاقسام الاربعة التى ذكرها ضياء الدين وقد مثل المفرد بالمفرد بقوله تعالى " فكانت وردة كالدهان " وللمركب بالمركب بقوله تعالى " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا " وعرف المفرد بقوله " فأما المفردة فهى كل ما كان التشبيه فيها حاصلا باعتبار صورة بصورة أو معنى بمعنى من غير زيادة " " وأما المركب فقد عرفه بقوله " و حاصل المركبة أنها فى مقصود التشبيه تشبيه امرين بأمرين أو اكثر الى غير ذلك من التركيبات "(١)

ثم مثل المفرد والمركب بقوله تعالى مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح فى زجاجة الزجاجة كأنها كوكب درى " حيث " شبه النور المفرد بالمشكاة المركبة من هذه الأجزاء والأوصاف اما تشبيه المركب بالمفرد فلم أجد فى القرآن مثالا له وكذلك الا اقلته وغرابته وهو موجود فى الشعر على جهة الندرة "

وقد نجد بعض الاضطراب عند العلوى فى التمثيل لهذه الاقسام اذ نراه يمثل للمفرد بمثال ثم يعود فيمثل به للمركب كما مثل لتشبيه المفرد بالمفرد بقول الرسول عليه السلام " مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن كمثل الأترجة طعمها طيب وريحها طيب " وقد نقلنا آنفا عن صاحب المثل السائر انه مثل بهذا الحديث للمركب بالمركب فوضعه العلوى فى المفرد بالمفرد ثم عاد ومثل به لتشبيه المركب بالمركب و هذا نص كلامه " قوله صلى الله عليه وسلم فى مثال المؤمن حامل القرآن كمثل الأترجة ومثال المنافق الذى لا يحمل القرآن كمثل الحنظلة وسائر تلك الاحاديث التى اسلفناها تمثيلا للمفرد بالمفرد وهى هنا صالحة لتمثيل المركب بالمركب فى شيئين بشيئين فان كان بالاضافة الى الموصوف فمع صفته فهو من باب المركب بالمركب والأمر فيه قريب "(٢)

ثم يدخل التعدد فى حيز المركب كما صنع ابن الاثير حيث صرح بأن بيت امرئ القيس كأن قلوب الطير .. من المركب بالمركب .

(١) الطراز ٣ / ٣٣٢ ـ ٣٣٤
(٢) الطراز ٣ / ٣٣٤

ابن قيم الجوزيـــــــة :ـ

ومن هؤلاء الذين تأثروا بتقسيمات ابن الأثير أيضا الامام شمس الدين ابوعبدالله المعروف بابن قيم الجوزية حيث قسم التشبيه كما فعل ابن الاثير في كتابـــــــــه " الجامع الكبير " الى ثلاثة أقسام تشبيه المفرد بالمفرد والمركب بالمركب والمفرد بالمركب ولم يعد من الاقسام تشبيه المركب بالمفرد لأنه كما قررنا مع ابن الاثير قليل نـــــادر فلا يعتد به وابن قيم الجوزية يدخل التشبيه المتعدد في حيز المفرد كما هو الحـــال عند السكاكي والتنوخي والعلوي فقد مثل للمفرد بالمفرد بقول البحتري :

تبسم وقطوب في ندى ووغـــى ٭٭ كالغيث والبرق تحت العارض البرد

ولا شك أن البيت من التشبيه المتعدد وقد جعله نمط التشبيه المفرد وليس هذا ببعيد من الصواب لأن التشبيه المتعدد قائم على انتقلال كل تشبيه بمفرده ولا تضر التسميـــة في شيء غير أن الذي ينازع فيه ابن قيم الجوزية هو عده من المفرد بالمفرد قوله تعالـــى " واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاويـــن ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب " مـــــع أن التركيب في طرفي التشبيه لا يخفى وقد مثل للمركب بالمركب بقوله تعالى " انما مثـــل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعـــام حتى اذا اخذت الأرض زخرفها و ازينت وظن أهلها انهم قادرون عليها اتاها امرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس " ثم علق عليها بقوله " فشبـــه حال الدنيا في سرعة زوالها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض وذلـــك تشبيه معنى بصورة وهو أبدع ما يجيء في هذا القسم ٭(١)

ومن تشبيه المفرد بالمركب عنده قول بعضهم :

كأن السهى انسان عين غريقة ٭٭ من الدمع يبدو كلما ذرفت دمعـــا

هذه بعض الجهود التي سارت في طريق آخر غير الذي سلكه عبدالقاهر الجرجانـــي لانها تناولت الافراد والتركيب من جانب الطرفين بينما كان الغرض الاصيل الذي يبحث عنه عبد القاهر هو التركيب في الوجه ولذلك لم يعد لأبحاث عبد القاهر اثر في هـــــذه

---

(١) راجع كتاب الفوائد المشوق الى علوم القرآن صـــ ٦٠ ــ ٦٢

الجهود لا من حيث المنحى وحده ولكن من حيث طريقة العرض أيضا فقـــــد كان هؤلاء يكتفون بالاشارة الى الطرف المفرد أو المركب بينما كان عبد القاهـــــر يحلل النصوص ويبرز أثر التركيب فى جمال الصور وتحقيق الغرض من التشبيه •

المبحث الثالث : جهود تأثرت بالاســـــلام

أولا : الزمخشرى ومنهجه التطبيقـــى :ـ

لقد كانت آراء عبد القاهر فى كتابيه دلائل الاعجاز واسرار البلاغة قبسا هاديا لجار الله الزمخشرى وهو يستجلى اسرار الذكر الحكيم ويكشف عن بلاغة كتاب اللـــه ووجوه الاعجاز فيه مما جعل تفسير الكشاف ذا اثر قوى واضح فى تاريخ البلاغة العربية يقول الاستاذ احمد مصطفى المراغى " وقد سار على هذا النهج " نهج عبد القاهر " يتلطف جار الله الزمخشرى فى كشافه عن بيان الاسرار البلاغية التى فى الكتاب الكريم مع جفوة عن ذكر المصطلحات العلمية بالطريقة المعروفة لنا والكشاف هو عمـــــدة السكاكى فى بحوثه الكثيرة المبعثرة فى كتاب " المفتاح " وقد عددناه من المؤلفين فى البلاغة وان لم يؤلف فيها كتابا من قبل أن تفسيره مشحون بلآلئ من هـــذه الفنون والقوم عالة عليه لا سيما علم البيان فقد أجاد فى أوائله أيما اجادة وصـــار المؤلفون ينقلون عباراته دون أن يزيدوا او ينقصوا منها حرفا "(١)

ونحن حين نمضى مع الزمخشرى فى حديث الافراد والتركيب فى التشبيه يطالعنـا هذا التميز الدقيق بين المفرد والمركب والمتعدد لنلتقى مع الامام عبد القاهـــر فى نفس الاتجاه . وقد حاول الزمخشرى فى اكثر من موضع فى كتاب الله أن يوضـــح الفرق بين المركب والمتعدد من خلال النماذج القرآنية والنصوص الشعرية مع ملاحظـة أنه لا يفرق بين التشبيه والتمثيل

فها هو ذا يقول تعليقا على قوله تعالى " مثلهم كمثل الذى استوقد نارا فلمـــا ضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم فى ظلمات لا يبصرون " يقول شبهت حالهـم بحال المستوقد الذى اطفئت ناره "(٢)

وتبدو الدقة فى تعبيره من حيث ان المشبه حالة و المشبه به حالة كذلك وهـــذا دلالة على أن التشبيه مركب الطرفين ولا يمنع من تركيب المشبه العبارة عنه بلفـــظ

---

(١) تاريخ علوم البلاغة صـ ٢٣
(٢) الكشاف ج ١ صـ ٣٠ ـ المطبعة المهية بمصر ١٣٤٣

مفرد فان التركيب فيه بالنظر الى اعتبارات روعيت فى المنافقين من حيث اقبالهم على الايمان وانتفاعهم به ثم اعراضهم عنه وانقطاع الانتفاع وكل تلك قيود مأخوذة فى الاعتبار وان لم تكن موجودة بألفاظها وهذا دليل على أن التركيب فى طرفى التشبيه لا يقاس بمادته الملفوظة ولكن بملاحظات معتبرة فى الذهن سواء صرح بها أو لم يصرح لان مدار النكتة البلاغية راجع الى الغرض من الكلام بغض النظر عن كون هذا الغرض جاء فى صورة ايحاء وتلميح أو صرح به فى عرض الحديث بل ربما يكون التلميح والايحاء الخفى أبلغ من التصريح فى بعض المقامات بشرط ألا يستحيل ذلك الى ضرب من الغموض والالغاز .

ويبدو واضحا تأثر الزمخشرى بالجرجانى حين ينهج طريق عبد القاهر فى فض التركيب وحل عقد الهيئة المركبة فى محاولة لاثبات أن ذلك يذهب بجمال الصورة ويبطل الغرض منها وقد توسع فى ذلك أيما توسع وأكثر من هذه المحاولات فى نصوص متعددة وليس ذلك ببدع من الأمر حيث انه يتمشى مع منهج الزمخشرى الذى يعنى كثيرا بالتدقيق فى جزئيات الكلم واطالة الوقوف امام كل جزئية بهدف الوصول الى الخيوط الدقيقة التى تربط اجزاء الصورة وتحدد ملامحها . وقد علل استاذنا الدكتور محمد ابو موسى ذلك بأنه جاء " نتاج التفكير النحوى والدراسة اللغوية اذ أن هذين اللونين من الدراسة يكونان فى الدرس ميلا شديدا الى التدقيق والوقوف عند الجزئيات "(١)

وثمرة ذلك واضحة فى النماذج المركبة التى كثيرا ما فض تركيبها وفرق مجتمعها يقول فى التمثيل السابق وفى قوله تعالى أو كصيب من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق "

(فان قلت قد شبه المنافق فى التمثيل الأول المستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فما ذا شبه فى التمثيل الثانى بالصيب والظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق ؟ قلت لقائل أن يقول . شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيا حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات

---

(١) البلاغة القرآنية صـ ٣٩٩

وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الانزعاج والبلايا والفتن من جهة الاسلام بالصواعق "(١)

وبذلك يفض تركيب التمثيل ويجعله عدة تمثيلات مفردة يسميها تشبيها مفرقا وهو ما عرف بالمتعدد ويمضى الزمخشرى فى استقصاء جوانب الصورة ليجيب عن تساؤل نتج عن فض التركيب حيث ظهر أن المشبهات فى هذا التمثيل ليست مذكورة فى الكلام فأين هى ؟ " هلا صرح بها كما فى قوله " وما يستوى الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسىء " وفى قول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ٠٠ لدى وكرها العناب والحشف البالى

ثم يجيب " كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة "(٢)

وبذلك يصبح التشبيه المركب استعارة متعددة ويوازن الزمخشرى بين التركيب والتفريق فى التمثيلين وأيهما أبلغ " والصحيح الذى عليه علماء البيان لا يتخطونه أن التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف الواحد واحد شىء يقدر شبهه به وهو القول الفصل والمذهب الجزل "(٣)

ولعل فى ذلك تأكيدا لما ذهب اليه استاذنا الدكتور محمد ابو موسى من أن الغرض من فض التركيب هو التدقيق فى فهم دلالات المفردات والوقوف عند الجزئيات وليس ميلا الى القول بالتعدد وهو خير رد على من يزعم أن الزمخشرى يضيعه ذلك بذهب بجمال الصورة وثرائها كما يقول تامر سلوم " والزمخشرى يجيز فى الصورة الوفيرة المعانى التشبيه المركب والمفرق يقول فى قوله تعالى " ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق يجوز فى هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكأنه قال من اشرك بالله فقد أهلك نفسه اهلاكا ليس بعده نهاية بأن صور حالة بصورة حال من خر من السماء فأختطفته الطير فتفرق مزعا فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المطارح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان فى علوه بالسماء والذى ترك

---

(١) الكشاف ج ١ ص ٣٠ ـ المطبعة البهية
(٢) الكشاف ج ١ ص ٣٢ ـ المطبعة البهية
(٣) الكشاف ج ١ / ٣٣ المطبعة البهية

الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التى تتوزع أنكاره بالطير المختطفة والشيطان الذى يطوح به فى وادى الضلالة كالريح التى تهوى بما عصفت فى بعض المهاوى المتلفة " ولعل صورة التشبيه هذه من حيث قربها من المثل او التمثيل والغاء الفروق بين هذه الابعاد أو من حيث تلمح مروجهات الاختلاف بين التشبيه المفرق والمركب تسمح لنا بالقول أن حمله اللغوى طغى على سائر الاحاسيس الأخرى فقطع كل التيارات التى تحمل معها أصباغ الفروق بين التشبيه والتمثيل والمثل (١)

والزمخشرى لا يكتفى بالنماذج التطبيقية التى تغنى عن القاعدة البلاغية فى الفروق بين المركب والمتعدد بل يتعرض أحيانا لذكر القاعدة البلاغية ويفسر تاريخها ويحدد فى وضوح وجلاء ملامحها وذلك حين يفرق بين المركب والمتعدد فيقول " ان العرب تأخذ أشياء فرادى معزولا بعضها من بعض ثم يأخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس بوجاه فى القرآن تشبيه كيفية حاصلة من مجموع أشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا بأخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة .. الآية " (٢)

ثم يعود الزمخشرى الى مزيد من التوضيح للتشبيه المتعدد عند الحديث عن قوله تعالى " مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع " فيقول " شبه فريق الكافرين بالأعمى والأصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان أن تشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وأن تشبههم الذى جمع بين العمى والصمم والذى جمع بين البصير والسميع على أن تكون الواو فى والأصم وفى والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله كالصابح فالغانم فالآيب " (٣)

فهو يجيز فى الآية وجهين الاول أن تكون من التشبيه المتعدد الملفوف

---

(١) علاقة البلاغة بالنحو عند الزمخشرى ١٧٤ ـ ١٧٥
(٢) الكشاف ١ / ٣٣ المطبعة المهمة
(٣) الكشاف ٢ / ٣٨٧ ط دار الكاتب بيروت

وهو نفس المصطلح الذى تعلق به المتأخرون به . والثانى أن تكون من التشبيه المركب اذا قصد الجمع على سبيل التضام والامتزاج والفيصل فى ذلك راجع الى العلاقة النحوية بين الكلم فاذا أريد الجمع كانت الواو من عطف الصفة على الصفة ولا مانع أن يجمع الشخص بين صفتى العمى والصمم أو البصر والسمع وهذا يذكرنا بما قاله الامام فى قول بشار :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ٠٠ وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

حيث أرجع الحكم بالتركيب الى واو المعية بخلاف الواو العاطفة التى لو أريدت هنا لكان التشبيه مفرقا على سبيل التعدد ٠

على أن ولع الزمخشرى بتعليل التركيب لتبين العلاقات وتأمل الجزئيات لا يدفعه الى التعسف او التكلف فى النماذج الأدبية فحيث لا يمكن التفريق فى الصورة يقطع الزمخشرى بالتركيب ولا يحاول سواه فعند قوله تعالى " انما مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالأمس " يقول " هذا من التشبيه المركب ٠٠ شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الأرض فى جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيفه "(١)

---

(١) الكشاف ج ١ ص ٣٤٠ ط دار الكاتب بيروت

ثانيا : المنهج التقعيـــــدى :ـ

الفخر الـــــرازى

يعتبر الامام فخر الدين الرازى المتوفى ســـــ٦٠٦ـــنة هـ أحد رواد المنهج التقعيدى فى البلاغة العربية بكتابه " نهاية الايجاز فى دراية الاعجاز " الذى كان محاولـــــة جادة لافراغ بلاغة الامام عبد القاهر فى قوالب ووضعها فى اطار من التقسيم والتحديد يضمن لها التنسيق والترتيب مع العناية بالقواعد والايجاز فى الشواهد لانه وجـــــد أن عبد القاهر " اهمل رعاية ترتيب الأصول والأبواب وأطنب فى الكلام كل الاطنـــاب فكانت تلك المحاولة بداية طريق جديد سلكته البلاغة بعد عبد القاهر قوامه الاهتمام بالقاعدة البلاغية ووضع الضوابط لها دون الاهتمام بالنماذج الأدبية وتوضيح أســـرار الجمال فيها كما كان ذلك صنيع امام البلاغة واذا كان لذلك المنهج الفضل فى أنه جعل البلاغة العربية علما مستقلا له قواعده وأصوله فان الايجاز الذى توخاه الرازى والمتأخرون كان على حساب الذوق البلاغى وأسرار الجمال فى لغة القرآن فلم يعد التأليف فـــــى البلاغة ينبغى البحث عن الشواهد و النصوص الأدبية يتناولها بالعرض والتحليـــــل ليستجلى أسرار بلاغتها بل كان مبتغاه البحث عن القاعدة والاكتفاء بمثال واحـــــد فى كثير من الاحيان يبين عن القاعدة ويؤكد صحتها وبذلك يكون الرازى أول مـــــن مهد الطريق لهذا المنهج فى التنظير والتقعيد والذى سار فيه السكاكى والخطيـــب ومن جاء بعدهما .

تقسيم التشبيه الى مفرد ومركب :ـ

يطالعنا هذا المنهج الذى أشرنا اليه فى الفصل الذى عقده الرازى تحت عنـوان " تقسيم ما به المشابهة الى المفرد والمركب " يستهله بقوله " والمشابهة اما أن تكون فى أمر واحد أو فى أمور كثيرة فان كانت فى أمر واحد فقد يجعل فاما أن يكون المشبه به الى شىء أو يكون مقيدا بذلك والاول مثل ما مضى من تشبيه الكلام بالعسل فى أن كل واحـــــد منهما يوجب للنفس لذة وحالة محمودة والذى يكون مقيدا بالانتساب الى شىء فاما الـــى المفعول كقولهم أعطاك القوس باريها وذلك لان المقصود وقوع الاخذ فى موقعه ووجـــوده

من أهله وهذا لا يحصل من الاخذ المطلق ولكن من حيث الحكم الحاصل له بوقوعه من البارى للقوس عليه "(١)

ويتبين من ذلك أن الرازى حريص على القسمة العقلية ووضع النماذج كشواهد على تقسيماته فالمشابهة اما أن تقع فى أمر واحد أو فى أمور كثيرة والواحد اما أن يكون مقيدا او غير مقيد وبذلك ينقسم التشبيه أولا الى قسمين تشبيه يقع فى أمر واحد وتشبيه يقع فى أمور كثيرة وربما يتبادر الى الذهن أن الأول هو المفرد والثانى هو المركب ولكن الرازى لا يقصد ذلك بل يعنى بالأمر الواحد ما هو مقابل للمتعدد أو ما يسميه الرازى تشبيهات مجتمعة ومن ثم فانه قسم الأول " وهو ما كان التشبيه واقعا فى أمر واحد الى قسمين المفرد والمركب وبذلك يكون التشبيه المفرد عنده ما كان وجه الشبه فيه منتزعا من مفرد غير مقيد مثل تشبيه الكلام بالعسل .

والمركب ما كان الشبه فيه مأخوذا من العلاقات القائمة بين جملة التشبيه او بتعبير الرازى منتزعا من الوصف المقيد بالانتساب الى شئ مثل قولهم " اعط القوس باريها " فوجه الشبه هاهنا وقوع الأخذ فى موقعه ووجوده من أهله وهذا لا يحصل من الأخذ المطلق ولكن بقيد أن يقع من البارى للقوس عليه . وبذلك يمكن أن نستبدل بهذه القسمة الى مفرد ومركب قسمة اخرى " المطلق والمقيد " مما يدل على أن الرازى يفهم التقييد على أنه تركيب وجه الشبه فالمقيد والمركب مترادفان وهذا فهم صحيح لمراد عبد القاهر كما سنشير اليه فى حديثنا عن التقييد .

ونلاحظ من هذا النص أن الرازى مثل للشبه المقيد أو المركب بالاستعارة التمثيلية (اعط القوس باريها " وليس ذلك لأن الرازى يخلط بين الاستعارة والتشبيه ولكن مجاراة لعبد القاهر الذى استشهد بهذا المثال بناء على ما فيه الاستعارة من التشبيه الذى هو أصلها ومعناها .

ثم يعقد الرازى فصلا يتحدث فيه عن التشبيه المركب الذى يمكن فض التركيب فيه والذى يفسد بالافراد تحت عنوان " ما به المشابهة اذا كان وصفا مقيدا فانه ينقسم الى مالا يمكن افراد احد جزئيه بالذكر والى ما يمكن ذلك فيه (امثال

---

(١) نهاية الايجاز صـ ٦٦

الأول قوله

كأنما المريخ والمشـــــترى ٠٠ قدامه فى مشامخ الرفعـــــة
منصرف بالليل عن دعـــــوة ٠٠ قد أسرجت قدامه شمعـــــة

فلو قلت كأن المريخ منصرف بالليل من دعوة وتركت حديث المشترى والشمعة كان خلفا من القول وذلك أن الشبه لم يكن للمريخ من حيث هو ولكن من حيث الحالة الحاصلة له من كون المشترى أمامه وأنت وأن كنت تقول كأن المشترى شمعة على التشبيه العامى فى قولهم كأن النجوم مصابيح وشموع فان القائل لم يضح التشبيه على هذا وانما قصد الهيئة التى يكتسبها المريخ من كون المشترى أمامه فاذن الواو فى قوله والمشترى واو الحال فهى كالصفة فى كونها تابعة لا يمكن افرادها بالذكر بل تذكر فى ضمن الأولى على طريق التبعية ٠

ومثال ما يمكن افراده بالذكر ويكون اذا أزيل التركيب استوى التشبيه فى طرفيه الا أن المعنى يتغير قوله :

وكأن أجرام النجوم لوامعـــا ٠٠ درر نثرن على بساط أزرق (١)

واذا كنا نلاحظ أن هذا هو ما قاله عبد القاهر الا أننا نتوقف ما م اصرار الرازى على أن يسمى هذا التشبيه المركب وصفا مقيدا مع أن عبد القاهر كان يستعمل مصطلح التركيب ولهم وراء ذلك فيما أعتقد الا أن يؤكد الرازى أن عبد القاهر يعنى بالمركب كل وصف قيد بالانتساب الى شئ ٠

ويزداد هذا الأمر تأكيدا حين يفرق الرازى بين التشبيهات المتعددة والتشبيه المركب فيعقد فصلا تحت عنوان " ما يظن به تشبيهات مجتمعة ولا يكون كذلك بل يكون تشبيها واحدا مقيدا بقيود وهو كقوله :

كما أبرقت قوما عطاشا غمامـــة ٠٠ فلما رأوها أقشعت وتجلـــت (٢)

وهو البيت الذى أطال عبد القاهر الوقوف عنده ليزيل التوهم بأنه من التشبيه المتعدد مبينا ما فيه من التركيب والغرض الذى يضح بتفريق التشبيه فيه ٠

---

(١) نهاية الايجاز ص ٦٧ ــ ٦٨
(٢) السابـــــق صـــــ ٦٩

التشبيه المتعدد :-

والتشبيه المتعدد في فكر الرازي هو ما تكون من عدة تشبيهات اجتمعت على سبيل الاستقلال وعدم تعلق بعضها ببعض أو وقوف أحدها على الآخر و قد حاول الـــرازي أن ينقل اللبس والغموض حول الفرق بين التشبيه المتعدد والمركب فعقد فصـــلا تحت عنوان " ما يظن أنه تشبيه متقيد (مركب) مع أنه تشبيهات مجموعة لا تعلـــق للبعض بالبعض) ومثل للتشبيهات المجموعة أو ما نسميها التشبيه المتعـــدد لقول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابســا ٠٠ لدى وكرها العناب والخشف البالي

ثم قال " فليس لمضامة الرطب من القلوب الى اليابس فيها هيئة يقصد ذكرهـــا أو يعنى بأمرها ولا لاجتماع الخشف البالي مع العناب ولو فرقت التشبيه فقلـــت كأن الرطب من القلوب عناب وكأن اليابس خشف لم نر أحد التشبيهين موقوفا فـــي الفائدة على الآخر "(١)

ومن هذا نرى أن الرازي يفرق بين المركب والمتعدد بما يأتـــي

أولا : أن التشبيه المركب يقصد فيه الى هيئة تنتزع من مجموع الكلام بينما التشبيه المتعدد يقصد فيه الى وجوه شبه مفردة على سبيل التعدد ٠

ثانيا : أن التشبيه المركب لا يمكن افراده على سبيل الاستقلال لأن هذا يبطـــل الغرض المتوقف على العلاقات القائمة بين مجموع الكلام بينما لا يتوقـــف جزء التشبيه المتعدد على جزئه الآخر ٠

---

(١) نهاية الايجاز ص ٠ ٧

السكاكى

اذا كان الرازى أول من حاول ضبط أبواب البلاغة وحصرها وترتيب اصولها كما صرح بذلك فى مقدمة كتابه " نهاية الايجاز " فانه قد مهد الطريق لاتجاه جديد يهتم فى المقام الأول بالضبط والتحديد و وضع القواعد التى تحكم هذا الفن مع اهتمام أقل بالنماذج الأدبية •

وهذا الاتجاه قد أعاق البحث البلاغى عن النمو والتطور وعدا على الذوق كما عبر عن ذلك الاستاذ امين الخولى فى قوله " وقد جارت تلك النزعة الفلسفية على الناحية الأدبية جورا تحسه حين تراهم فى المواطن الأدبية الحقيقية يدمجون القول ويجملون ان لم يفسدوا المعنى الأدبى ويشتطوا فى البعد عنه "(١)

ومع ذلك فان هذا الاتجاه أفاد البلاغة كثيرا من حيث تحديد مباحثها والتمييز الدقيق بين مصطلحاتها وحصر موضوعاتها مما كان له أثره فى استقلال هذا العلم وضبط فنونه • وهذا فضل لا ننكره •

ومنهج السكاكى من الجانب النظرى متأثرا باتجاه الرازى أما من الجانب التطبيقى فكلاهما ينهل من المورد الفياض لامام البلاغة ــ غير منازع ــ فى كتابيه : دلائل الاعجاز واسرار البلاغة •

الافراد والتركيب والتعدد فى التشبيه :ــ

أولا فى وجه الشبه :ــ

يطالعنا السكاكى على طريقة الحصر والتحديد بتقسيم جديد يضبط مساره فى تناول التشبيه من خلال أربعة مباحث وهى طرفا التشبيه ووجهة وغرضه وأحواله

وأول ما يلفتنا من حديثه فى وجه التشبيه قوله " وجه التشبيه اما أن يكون أمرا واحدا أو غير واحد وغير الواحد اما أن يكون فى حكمه لكونه اما حقيقة ملتئمة واما اوصافا

---

(١) البلاغة الحديثة واثر الفلسفة فيها صـ ٧

مقصودا من مجموعها الى هيئة واحدة أو لا يكون فى حكم الواحد " (١)

وبذلك يكون أول من صرح بأن الوجه المركب نوعان احدهما ما كان حقيقة ملتئمة وهو ما يسمى بالمركب الحقيقى وثانيهما ما كان هيئة منتزعة من مجموعة أوصاف وهو ما يسمى بالمركب الاعتبارى وكلاهما من المنزل منزلة الواحد • لانه صار بالمزج والتركيب كالشىء الواحد •

ثم مضى يقسم المفرد الى حسى وعقلى ويمثل لهما وينتقل الى المركب بنوعيه الحقيقى والاعتبارى ويقسمه الى حسى وعقلى أيضا ومثل للمركب الحقيقى الحسى بقوله "كمسقط النار اذا شبه بعين الديك فى الهيئة الحاصلة من الحمرة والشكل الكرى والمقدار المخصوص وكالثريا اذا شبهت بعنقود الكرم المنور فى الهيئة الحاصلة من تقارن النور الابيض المستديرة الصفار المقادير فى المرأى على كيفية مخصوصة الى مقدار مخصوص " (٢)

وهى أمثلة سبق لعبد القاهر أن ذكرها فى التمثيل للوجه المركب ثم مثل المركب الاعتبارى الحسى بقول بشار

كأن مثار النقع •• البيت ـ ثم مثل الوجه العقلى المركب بقوله "كما اذا شبهت أعمال الكفرة بالسراب فى النظر المطمع مع المخبر العوبس " (٣)

اما وجه الشبه المتعدد فهو على ثلاثة أقسام "أن تكون الامور حسية أو عقلية او المحض حسيا والمحض عقليا كما اذا شبهت فاكهة بأخرى فى لون وطعم ورائحة والثانى اذا شبهت بعض الطيور بالغراب فى حدة النظر وكمال الحذر واخفاء الصفير والثالث كما اذا شبهت انسانا بالشمس فى حسن الطلعة ونباهة الشأن " (٤)

ونلاحظ ان اهتمامه هنا موجه الى حصر الأقسام وتحديدها ما شغله عن ايراد النماذج الأدبية من مأثور الشعر والنثر واكتفى بما يصحح القاعدة ويوضحها •

---

(١) مفتاح العلوم صـ ١٥٩

(٢) المفتاح ١٥٩ ـ ١٦٠

(٣) المفتاح ١٦٠

(٤) المفتاح ١٦١

ثانيا الافراد والتركيب والتعدد فى الطرفين :ـ

بالرغم من أن السكاكى أفرد للطرفين حديثا خاصا كما أفرد للوجه الا أنه اكتفى بتقسيم الطرفين الى حسى وعقلى دون أن يتحدث عن الافراد والتركيب فيهما ولعل المتأخرين أحسوا بهذا النقص فتداركوه فى تقسيمات الطرفين •

وأظن أن السكاكى نظر الى عبد القاهر فى حديثه عن الافراد والتركيب فوجده يتحدث عنه من خلال الوجه وان كانت تعليقاته على النماذج لا تخلو من تلميح الى التركيب فى الطرفين فتابعه فى ذلك وسار على نهجه دون أن يفرد للافراد والتركيب فى الطرفين قسما خاصا ولكنه أشار الى ذلك اشارة سريعة أثناء الحديث عن الوجه المركب • وكانت اشارته هذه مثار جدل وخلاف فى فهم مراد السكاكى من الافراد والتركيب فى الطرفين •

فقد جاء فى أثناء حديثه عن وجه الشبه المنزل منزلة الواحد بعض الأمثلة التى يمكن أن يكون طرفاها مفردين أو مركبين ولما كان الغرض الأساسى فى حديثه هو بيان التركيب فى وجه الشبه فانه أخذ يبين التركيب فى هذا الوجه وخص بعض الأمثلة ببيان التركيب فى طرفيها الى جانب تركيب الوجه وذلك فى ثلاثة نماذج اصطلح المتأخرون على أنها مركبة الوجه والطرفين وذلك بعد أن ساق أمثلة عديدة بين فيها تركيب الوجه دون أن يتحدث عن الطرفين ثم قال " وكوجه الشبه فى قوله

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ٠٠ وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

" فليس المراد من التشبيه تشبيه النقع بالليل ثم تشبيه السيوف بالكواكب وانما أراد تشبيه الهيئة الحاصلة من النقع الأسود والسيوف البيض مرتفعات فيه بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة فى جوانبه ومنه وفى قوله :

وكأن أجرام النجوم لوامعا ٠٠ درر نثرن على بساط أزرق

فليس المراد تشبيه النجوم بالدرر ثم تشبيه السماء بالبساط الازرق وانما المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من النجوم البيض المتلألئة فى جوانب من أديم السماء الملقية قناعها عن الزرقة الصافية بالهيئة الحاصلة المستطرفة من درر منثورة على بساط أزرق دون شىء آخر مناسب للدرر فى الحسن والقيمة وفى قوله :

كأنما الصريخ والمشترى ٠٠ قدامه فى شامخ الرفعة
منصرف بالليل عن دعوة ٠٠ قد أسرجت قدامه شمعة

فالمراد تشبيه الهيئة الحاصلة من الصريخ والمشترى قدامه بالهيئة الحاصلة من المنصرف عن الدعوة مسرج الشمعة من دونه ويمشى أمثال ما ذكر من الأبيات تشبيه المركب بالمركب والمذكور قبلها تشبيه المفرد بالمفرد " (١)

و فى فهم هذا النص اختلف السعد مع السيد الشريف حول التشبيه فى قول الشاعر :

و الشمس من مشرقها قد بدت ٠٠ مشرقة ليس لها حاجب
كأنها بوتقة أحميت ٠٠ يجول فيها ذهب ذائب

وهو الذى كان قد ذكره قبل الأبيات السابقة فقد فهم السعد أن السكاكى عده من المركب الطرفين لأنه من الأبيات المذكورة أما السيد الشريف فقد جوز أن يكون السكاكى قد عد هذا البيت من المفرد لأن الأبيات المقصودة بتركيب طرفيها هى الابيات التى يبين فيها تركيب الطرفين وليس هذا البيت منها ٠

يقول السعد " وجعل صاحب المفتاح تشبيه الشاة الجبلى من التشبيه المفرد بالمفرد كتشبيه السقط بين الدماء وتشبيه الثريا بالعنقود المنور وتشبيه الشمس بالصفراء فى كف الأشل وجعل التشبيه فى نحو قوله :

والشمس من مشرقها قد بدت ٠٠ مشرقة ليس لها حاجب
كأنها بوتقة قد أحميت ٠٠ يجول فيها ذهب ذائب

وقوله كأن مثار النقع ٠ وقوله : وكأن اجرام النجوم لوامعا

وقوله : وكأنه الصريخ من تشبيه المركب بالمركب ذاهبا الى أن كلا من المشبه والمشبه به هيئة حاصلة من عدة أمور ولم يتعرض لتشبيه المفرد بالمركب وعكسه " (٢)

لكن السيد يختلف مع السعد ويرى أن السكاكى يعد قول الشاعر :

والشمس من مشرقها قد بدت ٠٠٠ من تشبيه المفرد بالمفرد فيقول " قد يناقش فى جعل السكاكى هذا البيت من تشبيه المركب بالمركب وذلك أنه ذكر فى وجه الشبه

---

(١) المفتاح صـ ١٦٠
(٢) المطول صـ ٣٣٧

الذى لا يكون واحدا بل فى حكم الواحد تشبيه سقط النار بين الديلم والشريا بالعنقود و الشاة الجبلى بالحمار الأبتر الشقيق الشفة النابت على رأسه شجرتا غضا والشمس بالمرآة فى كف الأشل وتشبيهها بالموتقة التى فيها ذهب ذائب فى هذا البيت وبين فى كل واحد من هذه التشبيهات المخصوص التركيب فوجه الشبه الا فى تشبيه الشاة بالحمار ثم غير اسلوب الكلام وقال وكوجه الشبه فى قوله وكأن مثار النقع فوق رؤوسنا وفى قوله " وكأن اجرام النجوم وفى قوله فكأنما الجميع وبين فى كل واحد من هذه التشبيهات التركيب فى طرفى التشبيه ثم قال " وبعض أمثال ما ذكر من الأبيات تشبيه المركب بالمركب والمذكور قبلها تشبيه المفرد بالمفرد فيحتمل أن يريد بما ذكر من الأبيات هذه الثلاثة بقرينة تغيير الأسلوب وبيان تركيب الأطراف فيها دون ما قبلها والظاهر أن تشبيهها بالموتقة التى فيها ذهب ذائب من التشبيه المفرد بالمفرد المقيد أو المقيد بمفرد مقيد كتشبيهها بالمرآة فى كف الأشل او من تشبيه المفرد بالمركب وأما جعله من تشبيه المركب بالمركب فمستبعد جدا " (١)

والحق الذى أميل اليه هو ما ذهب اليه السيد الشريف بدليل أن السيد نفسه فى شرح المفتاح اتفق مع السيد فى الفهم وذلك واضح من النص التالى " قوله وكوجه الشبه ظاهر العطف على كسقط النار الا أن الكاف غير داخلة على الشبه ووجه الشبه مأخوذ من مضمون الكلام وهنا قد دخلت على وجه الشبه ولم يبينه بل اقتصر على بيان المشبه والمشبه به وأن كلا منهما هيئة حاصلة من عدة أمور وذلك لأن ما سبق تشبيه مفرد بمفرد وهما امران معينان مذكوران بصريح الكلام وانما المحتاج الى البيان وجه الشبه وهنا تشبيه مركب بمركب فاحتيج الى بيانهما وكون القصد فيهما الى الهيئة الحاصلة من عدة امور وعلم أن وجه الشبه ما يشترك فيه الهيئتان من مطلق هيئة حصول مضى فى مظلم على الكيفية المخصوصة " (٢)

وهذا النص صريح فى أن السعد يجعل التشبيه فى قول الشاعر و الشمس من مشرقها قد بدت ... الخ • من تشبيه المفرد بالمفرد متفقا فى ذلك مع السيد •

---

(١) حاشية السيد على المطول ٣٣٧

(٢) شرح السعد على المفتاح مخطوط ورقه ٩٩

غير أن هناك ملاحظة دقيقة توضح مراد السكاكى لم يفصها السعد والسيد فـــى اعتبارهما وهى وحدها التى تحدد مفهوم . الافراد والتركيب فى الطرفين أنه قســـم الوجه الى ما كان حقيقة ملتئمة ثم مثل لها بتشبيه سقط النار بين الدياب والشريـــا بمنقوش الكم المنور والشلالة الجهلى بمعمار أبتر والشمس الدراة والموتقة .

وهذا النوع من الوجه المركب لا يتأتى الا فى طرفين مفردين لأنه ينتزع من حقيقة واحدة ملتئمة من عدة أوصاف ثم يبدأ بمثل للوجه الحقيقى الاعتبارى فغير طريقة التعبير بقوله وكوجه الشبه ثم مثل بالابيات الثلاثة التى جعلها مما تركيبا طرفاه تركيبيـــا اعتباريا .

فالسكاكى بذلك لم يهدف الى تقسيم الطرفين تقسيما خاصا من حيث الافـــراد و التركيب وانما اراد الاشارة الى ان الوجه المركب الحقيقى يكون طرفاه مفردين والوجـــه الاعتبارى لا يتأتى الا بتركيب طرفيه .

التعدد فى الطرفين :ـ

لم يذكر السكاكى مصطلح التعدد لا فى الطرفين ولا فى الوجه فقد جعل الوجـــه المتعدد مما لا ينزل منزلة الواحد لأنه لا تتكون منه هيئة واحدة وفى التشبيه المتعدد الطرفين يذكر بيت امرئ القيس : كأن قلوب الطير رطبا ويابسا .. على أنه من تشـــبيه المفرد بالمفرد . وذلك ليس بالخفاء من السكاكى التشبيه المتعدد وانما اراد أن ينبه الى أن الوجه مما اجتمع فيه تشبيهان استقل كل منهما عن الآخر ولم يكن اجتماعهما علـــى سبيل التركيب والدمج بحيث يتوقف أحدهما على الآخر فهو يلتقى مع المتأخرين فـــى فصله عن المركب وان لم يصرح بمصطلح التعدد .

فى مدرسة الخطيب

أقصد بمدرسة الخطيب ذلك الاتجاه الذى سلكه الخطيب وأصحاب الشروح والحواشى الذين داروا فى فلكه وترسموا خطاه ويتميز اتجاه الخطيب فى كتابه الايضاح بالجمع بين المنهج التقعيدى الذى يحاول التنظير والتقنين لمسائل البلاغة وبين المنهج الأدبى الذى يقف أمام الشاهد والمثال لتأمله والقاء الضوء على مواضع الجمال فيه وان كانت هذه الوقفات سريعة قصيرة بالقياس الى تأملات عبد القاهر أما كتابه " التلخيص " فقد طغت عليه طريقة التقنين والحصر على الذوق والحس مما كان مدعاة لشروح وحواش كثيرة تفسر غامضه وتبسط ضيقه ولكن هذه الشروح لم تحقق ما كان يتوقع منها بل على العكس من ذلك اهتمت بالأبحاث المنطقية ومسائل الفلسفة أكثر من اهتمامها بالنماذج الأدبية التى تشرح القاعدة وتوضحها وقد كثرت تقسيمات الافراد والتركيب فى اتجاه الخطيب بحيث أصبحت تتناول وجه الشبه وطرفى التشبيه وما تحتهما من أقسام .

الافراد والتركيب فى الوجه :-

سبق أن رأينا السكاكى يتناول الافراد والتركيب من خلال وجه الشبه أما الحديث عن افراد الطرفين وتركيبهما فقد جاء عرضا أثناء حديثه عن الوجه مما يدلى الباحث انطباعا بأن محور ابحاث التشبيه هو وجه التشبيه باعتباره العلاقة القائمة بين الطرفين والتى تحدد الغرض من التشبيه . وقد قام تقسيم السكاكى لوجه الشبه على ثلاثة أقسام فهو اما واحد او منزل منزلة الواحد او ملحق فى حكم الواحد وبذلك انحصر فيها أقسام المشبه به الخطيب المفرد والمركب والمتعدد وكما أن السكاكى قسم المركب الى حقيقى واعتبارى فقد جرى على ذلك الخطيب وشراح التلخيص وحاولوا توضيح الفرق بين ما تركب من حقيقة ملتئمة وما كان مركبا من مجموعة أوصاف يقول الدسوقى " قوله ملتئمة . أى مركبة من أمور مختلفة والمراد بالجميع ما فوق الواحد وذلك كالحقيقة الانسانية فهى حقيقة مركبة تركيبا حقيقيا من أمرين مختلفين وانما كان التركيب حقيقيا لان الجزأين صارا به شيئا واحدا فى الخارج فتأثير هذا التركيب فى تقريب المركب من الواحد أحق وأقوى " ثم يمضى فى

شرح المركب الاعتبارى فيقول " وحاصله أن المركب تركيبا اعتباريا لا حقيقة له فى حد ذاته بل هو هيئة تلاحظها من اجتماع أمور بحيث لا يصح التشبيه الا باعتبار تعلقها بمجموع الأجزاء "(١)

ويرد السعد فى مطوله القول بالتركيب الحقيقى على أنه قسم من المركب ويدخله فى وجه الشبه المفرد فيقول " يجب أن يعلم أن ليس المراد بتركيب المشبه أو المشبه به أن يكون حقيقة مركبة من أجزاء مختلفة ضرورة أن الطرفين فى قولنا زيد كالاسد مفردان لا مركبان وكذا فى وجه الشبه ضرورة أن وجه الشبه فى قولنا زيد كعمرو فى الانسانية واحد لا منزل منزلة الواحد بل المراد بالتركيب أن يقصد الى عدة أشياء مختلفة او الى عدة أوصاف لشيء واحد وكذلك نوى صاحب المفتاح يصرح فى تشبيه المركب بالمركب بأن كلا من المشبه والمشبه به هيئة منتزعة على ما سيجيء ان شاء الله تعالى وحينئذ لا يخفى عليك أن وجه التشبيه الواحد بهذا المعنى أعنى بمعنى أن لا يكون طرفاه مركبين بالمعنى المذكور لا ان تركيب الطرفين بهذا المعنى أعنى بمعنى أن تقصد الى متعددين وتنتزع منهما هيئتين ثم تقصد الى اشتراك الهيئتين فى هيئة تجمعهما وتشملهما انما يكون ذلك اذا كان وجه التشبيه مركبا حقيقيا وبهذا يظهر أن ماذكر فى المفتاح من أن وجه الشبه يكون اما امرا واحدا أو غير واحد وغير الواحد أما أن يكون فى حكم الواحد لكونه اما حقيقة ملتئمة واما أوصافا مقصودا من مجموعها الى هيئة واحدة أولا يكون فى حكم الواحد محل نظر "(٢)

وبذلك يدفع السعد عن وجه الشبه المركب النوع المسمى بالحقيقة الملتئمة ويدخله فى دائرة المفرد مخالفا بذلك السكاكى والخطيب والحق أن كلام السعد هو الذى فى حاجة الى نظر لأن السكاكى لم يمثل للمركب الحقيقى من الوجه بقولنا " زيد كعمرو فى الانسانية " حتى يكون دليلا ضده بل مثل له بتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور وهو ما عده السعد من الوجه المركب وهو لا يحتاج الى تركب الطرفين بل يكفى أن ينظر الى عدة اعتبارات فى الحقيقة المفردة .

---

(١) حاشية الدسوقى . شرح التخليص ج ٣ / ٣٤٨
(٢) المطول صـ ٧٠ ــ ٧١

الافراد والتركيب في الطرفين :ـ

أطال الخطيب وشراح تلخيصه الحديث عن افراد الطرفين أو تركيبهما على غير ماصنع السكاكى الذى أشار اشارة سريعة الى أن الطرفين فى الوجه المركب قد يكونان مفردين أو مركبين أما الخطيب وأصحاب الشروح فقد جعلوا للطرفين أربعة أقسام فيهما مركبان أو مفردان أو الأول مفرد والثانى مركب أو العكس وايمرهذا جديدا فقد أشار الى ذلك ابن الأثير وغيره والجديد هنا أن الخطيب قسم المفرد الى أربعة أقسام ايضا بالنظر الى أن الطرفين قد يكونان مقيدين أو غير مقيدين أو احدهما مقيد والآخر غير مقيد وسنفرد للتقييد حديثا خاصا على صفحات هذا البحث .

عرف السعد التركيب فى الطرفين بقوله " المراد بالتركيب أن تقصد الى عدة أشياء مختلفة أو الى عدة أوصاف لشئ واحد فتنتزع منها هيئة و تجعلها مشبها أو مشبها به أو وجه تشبيه " (١)

وهنا سؤال يحتاج الى جواب و هو لماذا لم يقل أحد بتركيب الطرفين تركيبا حقيقيا بينما سلم معظم المتأخرين بوجود هذا النوع فى الوجه ؟

والجواب الذى لم يحاوله أحد منهم يجئ تأكيدا لما ذهبنا اليه من أن الوجه المركب من حقيقة طرفاه يكون فيها طرفاه حقيقتان مفردتان تتعدد أوصافهما فى وجه الشبه بما يكون حقيقة طرفاه أما الطرف فانه يظل على افراده ولا يتأتى التركيب الحقيقى فيه وانما يتركب باعتبار آخر وهو أن يتكون من عدة أشياء أو حقائق تكون هيئة التركيب الاعتبارى واصل فى كلام عبد الحكيم اشارة الى هذا الجواب حيث يقول " وعندى أن انتزاع شئ من أمور متعددة يكون على وجوه شتى أحدها أن يكون منتزعا من مجموع تلك الأمور كالوحدة الاعتبارية للعسكر وثانيها أن يكون منتزعا من امر واحد بالقياس الى آخر كالاضافات كالأبوة المنتزعة من الأب بالقياس الى الابن وثالثها أن يكون منتزعا بعضه من أمر وبعضه من أمر آخر وعلى الوجهين الأولين لا يقتضى تركب المنتزع بل تعدد مأخذه " (٢)

---

(١) المطول صـ ٣٢٢

(٢) حاشية عبد الحكيم على المطول صـ ١٠٣ وما بعدها

وهذا تحقيق جيد فان المركبات الاضافيه ما هى الا تركيب حقيقى كالأبوة اذا نظر اليها باعتبار انها تتطلب أبا وابنا فهى حقيقة مركبة والتركيب هنا اضافى ومثل ذلك يقال فى الانسانية التى هى وجه شبه بين زيد وعمرو فى قولنا زيد كعمرو فى الانسانية فهى حقيقة مركبة بالاضافة الى ما تحتها من افراد هذا الجنس.

وقد قسم الخطيب الوجه المركب باعتبار طرفيه الى مفردين ومركبين ومختلفين بقول الخطيب " واما مركبان كالهيئة الحاصلة من هوى أجرام مشرقة مستطيلة متناسبة المقدار متفرقة فى جوانب شىء مظلم فى قول بشار .

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا .. واسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وكالهيئة الحاصلة من تفرق اجرام متلألئة مستديرة صغارا اتقادير فى المرأى على سطح جسم أزرق صافى الزرقة فى قول أبى طالب الرمى

وكأن أجرام النجوم لوامعا .. درر نثرن على بساط أزرق

واما مختلفان كما فى تشبيه الشاة الجبلى بحمار أبتر مشقوق الشفة والحوافر نابت على رأسه شجرتا غضا " (١)

ثم ان المركب من الوجه والطرفين ينقسم الى ما يمكن افراده ومالا يتأتى الافراد فيه (وما يصح تشبيه كل مقابل بأخيه حتى يكون من التشبيه المتعدد ولكن منع منه وجود الحسن فى التركيب الذى لا يوجد فى المتعدد وذلك كقوله

وكأن اجرام النجوم لوامعا .. درر نثرن على بساط أزرق " (٢)

و " مالا يصح تشبيه كل جزء من اجزاء طرفيه بما يقابله من الطرف الآخر كقولنا

غدا والصبح تحت الليل بساد .. كطرف أشهب طلق الجلال

فان الجلال فيه مقابلة الليل ولو شبهه به لم يكن شبها " (٣)

التعدد :-

كان عبد القاهر اول من وضح الفروق الدقيقة بين المتعدد والمركب ونص على الذين يخلطون بينهما ثم سار السكاكى على خطوات عبد القاهر غير أنه جعل المتعدد

(١) الايضاح شروح ٣ ص ٣٦٠
(٢) مواهب الفتاح شروح ٣ / ٤٢٠
(٣) الايضاح شروح ٣ / ٤٢١

من باب المفرد باعتبار ان المتعدد يضم مجموعة تشبيهات مفردة يستقل كل منها عن الآخر أما الخطيب فقد وقف وقفة اطول أمام المتعدد وقسمه الى اربعة أقسام وجعل لكل قسما وصفا خاصا به.

يقول الخطيب " ان تعدد طرفا فهو اما مظروف او ظروف فالمظروف ما أتى فيه بالمشبهين ثم بالمشبه بهما كقول امرئ القيس.

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا ٭ لدى وكرها العناب والحشف البالي

وغير المظروف بخلاف ذلك كقول العرقش الاكبر

النشر مسك والوجوه دنانير ٭ نهر وأطراف الأكف عنم

وان تعدد طرفه الأول أعني المشبه دون الثاني سمي تشبيه التسوية كقول الآخر.

صدغ الحبيب وحالي ٭ كلاهما كالليالي

وان تعدد طرفه الثاني اعني المشبه به دون الأول سمي تشبيه الجمع كقول البحتري:

كأنما يبسم عن لؤلؤ ٭ منضد أو برد أو أقاح (١)

ثم ميز الخطيب بين المركب والمتعدد وطبق ذلك على بيت امرئ القيس السابق فقال " فهو على خلاف هذا (أي خلاف المركب) لأن احد الشيئين فيه في الطرفين معطوف على الاخر أما في طرف المشبه به فبينن وأما في طرف المشبه فبلان الجمع في المتفق كالعطف في المختلف فاجتماع شيئين أو أشياء في لفظ تثنية أو جمع لا يوجب أن احدهما أو احدها تابع للآخر كما يكون ذلك اذا جرى الثاني صفة للأول أو حالا منه وما أشبه ذلك وقد صرح بالعطف فيما أجراه بيانا له من قوله رطبا ويابسا " (٢)

وقد نازع العركي الخطيب في عده البيت من المتعدد بقوله واعلم أن ما ذكره المصنف في بيت امرئ القيس فيه نظر لأنا نقول لا نسلم أن المشبه متعدد وهو القلب الرطب والقلب اليابس ويكون بعض القلوب شبه بالعناب في حالة رطوبته وبالحشف في حالة يبسه كما اقتضاه كلام كثير فالمشبه القلوب بقيد الرطوبة أو اليبوسة فهو تشبيه مفرد تعدد قيده باعتبار حالتين وهو نظير قولنا هو في الجود والشجاعة كالأسد

---

(١) الايضاح شروح ٣ / ٤٢١
(٢) الايضاح شروح ٣ / ٤٢١

والبحر وقوله رطبا ويابسا يمكن عوده الى كل واحد من القلوب فلا حاجة الى توزيع احوالها على القلوب ومما يرجح ذلك افراد الحالين رطبا ويابسا أى كأن كل قلب رطبا ويابسا لا يقال هو متعدد باعتبار أنه جمع لأن ذلك يقضى بأن يكون قولنا أياه كالبحار تشبيه متعدد بمتعدد وأن يكون (وكأن اجرام النجوم .. البيت تشبيه متعدد بمتعدد وليس كذلك " (١)

والحق أن السبكى ذهب بعيدا عن الواقع المشاهد للصورة التى رسمها الشاعر لقلوب الطير المتناثرة حول وكر العقاب بمضيها قدم به العهد فيمرو جفر الهباءة الآخر حديث عهد فهو لا يزال رطبا وكأن هذا وذاك عناب وحشف قد اجتمعا فى مكان واحد ومن ثم استحق أن ينعت التشبيه بحسن الجمع والترتيب كما أثر قدامة النقاد بذلك والقول بأنه شبه كل قلب فى حالتين مختلفتين بالعناب والحشف ينقل الصورة المشاهدة المحسوسة الى عملية ذهنية يتخيل فيها القارئ القلب فى حال رطوبته فيعقد شبها بينه وبين العناب ثم يتخيله يابسا فيعقد شبها آخر بينه وبين الحشف وهذا يذهب بجمال وقع المشاهد المحسوس ولهذا التصوير لأن القلب لا يكون رطبا ويابسا فى آن واحد وتعاقب الرطوبة واليبوسة على القلب الواحد وما بين الحالتين من فترة زمنية يتطلب تخيلا ذهنيا يفقد الصورة واقعيتها و يفنيها عن ذلك كله أن تكون القلوب المجتمعة بعضها يابس وبعضها رطب كما أراد الشاعر كما أن أحدا لم يقل بأن التعدد فى التشبيه راجع الى جمع القلوب كما تخيل السبكى وانما التعدد راجع الى نوعى القلوب الرطبة و اليابسة .

والحقيق من فى الفرق بين المركب والمتعدد هو ما صرح به السعد فى قوله " وقد ظهر مما ذكرنا أن التشبيهات المجتمعة تفارق التشبيه المركب فى مثل ما ذكرنا بأمرين احدهما أنه لا يجب فيها ترتيب والثانى أنه اذا حذف بعضها لا يتغير الباقى فى افادة ما كان يفيده قبل الحذف " (٢)

---

(١) عروس الأفراح شروح ٣ / ٤٢٨
(٢) المطول ص ٢٧٧

التركيب فى هيئات الحركة والسكون

شارك الخطيب وأصحاب الشروح فى لفت الانظار الى نوع خاص من التركيب سوق اليه القاهر أن يسجل الحديث فيه وهو التركيب فى هيئات الحركة والسكون وجعلوه من بديع المركب الحسى وذلك أن يكون التركيب تابعا من اختلاف الحركة أو اختلاف الجهة " فهيئة حركة الرحا والدولاب والسهم لا تكون من بديع المركب الحسى اذ لا تركيب فيها جميعا وان كان لحركة الرحا والدولاب هيئة الاستدارة ولحركة السهم هيئة الاستقامة وانما قلنا ويحقق ذلك غالبا وجود اختلاف الجهات لأن التركيب قد يحققه كثرة الحركة فى أجزاء محل التشبيه وان كانت الجهة واحدة كأن تشبه أرجل بعض الحيوانات الكثيرة الأرجل بصفى النخيل المتتابع أفراده فى هيئة تتابع الحركات وان كانت الى جهة واحدة "(١)"

فتركيب هيئة الحركة منشؤه أمران اما اختلاف جهة الحركة أو كثرة الحركة وان كانت فى جهة واحدة وقد يجتمع الأمران فى بعض الهيئات فيزداد بذلك التركيب دقة وتفصيلا وذلك كما فى قول الشاعر :

حفت بسرو كالقيان تلحفت ٭٭ خضر الحرير على قوام معتدل
تثنيها والريح جاء بميلها ٭٭ تبقى التعانق ثم يمنعها الخجل

يقول الخطيب " فان فيه تفصيلا دقيقا وذلك أنه راعى الحركتين حركة التهيؤ للدنو والمعانقة وحركة الرجوع الى أصل الافتراق وأدنى ما يكون فى الثانية من سرعة زائدة تأدية لطيفة لأن حركة الشجرة فى حال رجوعها الى اعتدالها أسرع لا محالة من حركتها فى حال خروجها عن مكانها من الاعتدال وكذلك حركة من يدركه الخجل فيرتدع أسرع من حركة من يهم بالدنو لأن ازعاج الخوف اقوى أبدا من ازعاج الرجاء "(٢)

فالتفصيل الدقيق جاء من اجتماع أمرين اختلاف جهات الحركة وكثرتها لأن فى كل منهما حركتين مختلفتين احداهما أسرع من الاخرى ذلك أن حركة التهيؤ للدنو والمعانقة أقل فى السرعة من حركة الرجوع بدافع الخجل حين الشعور بالرقيب

---

(١) مواهب الفتاح شروح ٣ / ٣٦٩
(٢) الايضاح شروح ٣ / ٣٧١

و كذلك حركة الشجرة فى رجوعها الى أصلها تكون أبدا أسرع منها فى حال خروجها ومن بديع المركب الحسى :

و كأن البرق صحف قـــــــار ٠٠ فانطباقا مرة وانفتا حـــــــا

ذلك لما فيه من تركيب الحركة ووقوعها الى جهتين مختلفتين وان كان قد توزع فى اعتبار التركيب هنا كما ورد فى الاعتراض الذى ذكره الصيكى " وانك أن تقول الوجه هنا واحـــد وهو اختلاف الحركة لا مجموع الحركات المتعددات " (١)

وقد رد هذا الاعتراض ابن يعقوب المغربى بقوله " فهل يمكن أن يدعى أن الوجـــه هنا اختلاف الحركات فيتحدو فيه أن ذلك الادعاء رد الى الجملة مع امكان التفصيل المناسب اعتباره لبلاغة الشاعر مع ظهور ارادته بالاشارة الى اختلاف مخصوص فـــى الحركة وذلك يشعر بأن المعتبر التفصيل ثم لو فتح هذا الباب اعنى كون امكان الجملة يسقط التفصيل اتجهت عرى أذنب التشبيه المركب الوجه وكره وسقط اعتباره دفعـــــة اذ ما من تفصيل وتركيب الا يمكن وجود جملة مشتركة فيه فنقول فى عنقود الملاحية مع الثريا الوجه بينهما هو المناسبة فى مطلق الشكل واللون وفى صدر الشقيق مع اعلام الياقـــوت المنشورة على رماح من زبرجد الوجه بينهما هو وجود حمرة متصلة بخضرة والذهاب المثـــل هذا يسقط وجود الدقائق فى التشبيه العربى رأسا ولا سبيل اليه " (٢)

وحقا ما ذهب اليه المغربى فان الحركة فى المصحف او فى البرق ليست كحركـــــة السهم لما فيها من اختلاف الجهة التى يتحركان اليها ولما فيها من نوع الحركة السريعة فى الظهور والاختفاء ٠

وقد تكون هيئة الحركة مجردة كما فى المثالين السابقين وقد تضم الى الحركـــــة غيرها كاللون والشكل وحينئذ يكثر التركيب فى الوجه ويزداد دقة وجمالا ومثال ذلـــك "والشمس كالمرآة فى كف الأشل فان الجامع هو الهيئة الحاصلة من الايتدارة فـــى المرآة والشمس واشراقها وحركتها السريعة المتصلة مع تموج اشراقها حتى يـــرى الشعاع كأنه يهم أن ينبسط حتى يفيض من جوانب الدائرة ثم يصد أن يهم بذلك يعـــود

(١) عروس الافراح شروح ٣ / ٣٧١
(٢) عروس الافراح شروح ٣ / ٣٧١

اه فيرجع الى الانتقاض "(١)

وبالرغم من اتفاق عبد القاهر والسكاكى والخطيب على تركيب الوجه هنا فانه اعترض بأن هذا الوجه من المتعدد لا من المركب وقد أورد المغربى هذا الاعتراض فى قوله "ثم قد يعترض بأن يقال هذا تشبيه بأوجه متعددة لا بوجه مركب فان كل واحد من هذه الأمور مستقل بنفسه يمكن أن يجعل وجها "(٢)

ورد المغربى هذا الاعتراض بقوله "ورد بأن الحركة هنا أيضا روعى معها غيرها من أوصاف الجسم وهو الاشراق واللون "(٣)

وان كنت أرى أن الرد على ذلك ممكن فاننا لو جردنا الحركة من الشكل واللون وابقينا الحركة وحدها لكان وجه الشبه مركبا من هيئة الحركة لانها تتم بالمرحلة المتصلة فى اتجاهين مختلفين وكثرة الحركة فاذا أضفنا الى ذلك كون هذه الحركة مقيدة بوقوعها على جسم مستدير مشرق ازداد التركيب دقة وتفصيلا .

و كما يقع التركيب فى هيئات الحركة يقع أيضا فى هيئات السكون "ومن ذلك قول بعضهم يصف مصلوبا .

كأنه عاشق قد مد صفحته ... يوم الوداع الى توديع مرتحل

فقد اعتبر سكون عنقه وصفحته فى حال امتدادها واعتبر مع ذلك السكون صفة اصفرار الوجه بالموت لأن تلك الهيئة موجودة فى الماشق الما وعنقه وصفحته لوداع المعشوق "(٤)

فقد اقترن التركيب فى هيئة السكون باللون وهو الاصفرار فى كل من المصلوب والماشق .

وقد تجرد هيئة السكون من الاعتبارات الاخرى التى يزداد بها التركيب تفصيلا مثل تشبيه اقماء الكلب بجلوس الهدوى المصطلى فقد نظر الى هيئة الاعضاء نفسها

---

(١) مواهب الفتاح شروح ٣٦٩/٣
(٢) مواهب الفتاح شروح ٣٦٩/٣
(٣) مواهب الفتاح شروح ٣٧١/٣
(٤) حاشية الدسوقى ٣٧٣/٣

سكونها ووقوع كل عضو موقعه دون مراعاة لون أو اعتبار آخر يقول الدسوقي في هذه الهيئة " فانها مركبة من سكونات لان الكل عضو منه في حال اصطلاحه وقوعا خاصا والمجموع اعضائه هيئة مؤلفة من تلك الوقوعات (١)

يقي بعد ذلك ان نعلم أن التركيب في هيئة الحركة باعتبار الوجه سواء كان الطرفان مفردين أو مركبين بدليل انهم حكموا على الطرفين في قوله " و الشمس كالمرآة في كف الأشل " بأن الطرفين مفردان و أن كان المشبه به مقيدا يقول ابن يعقوب المغربي " والشمس كالمرآة في كف الأشل فان الشمس وهو المشبه لا تقيد فيها وما اعتبر منها من الحركة والشكل وتموج الاشراق على الوجه السابق انما ذلك في الوجه " (٢)

---

(١) حاشية الدسوقي ٣/٣٧٢

(٢) مواهب الفتاح ٣ / ٤١٩

المبحث الرابـــع :

التقيـــــــد
نشأته وتطـــــــوره

قبل عبد القاهـــــر :-

أحس العلماء والنقاد في وقت مبكر بالتقييد في التشبيه وأدركوا مدى تأثيره على الصورة التشبيهية ودوره في تحقيق الشبه والابانة عن غرض المتكلم .

وقد عبرت النماذج التشبيهية المقيدة التي عرضوا لها عن فهمهم هذا وان لم يصرحوا بمصطلح التقييد وليس ذلك قصورا منهم فان الشأن في المصطلحات العلميـــة ألا تأخذ صورتها النهائية الا بعد استقلال العلوم وتحديد مباحثها وهو ما لم يتهيأ لهم في هذه العصور المتقدمة .

وقد رأينا من العرض التاريخي للافراد والتركيب قبل عبد القاهر كيف عرض الاصمعي لما نسميه " بالاغفال " (١) وكشف عن دور الوصف الذي يحقق غرضا في التشبيه ، كما رأينا أبا عبيدة وابن قتيبة وغيرهما يتناولون نماذج التشبيه المقيد ويكشفون عن القيود ودورها في تحقيق الشبه دون ذكر لمصطلح التقييد .

وفي القرن الرابع الهجري أخذ هذا المصطلح طريقه الى الظهور والتحديد وكان الرماني أول من صرح بذكره فيما نقله ابن رشيق ، ثم جاء ابن فارس فأفرد حديثا خاصا للاطلاق والتقييد عرف فيه كلا منهما ومثل له ، وذكر أنواع القيود ، فكان بذلك رائد فكرة التقييد الذي كشف عن وجهها وحدد معالمها بما لم يستطع المتأخرون أن يزيدوا عليها شيئا " (٢) كما أن الباقلاني أبان عن فهم دقيق للقيود التي تؤدي دورا في صورة التشبيه والقيود التي تأتي زائدة عن المعنى عارية عن الفائدة فتفسد جمال الصورة " (٣)

---

(١) راجع صـ ١٤ من هذا البحث
(٢) راجع صـ ٩١ من هذا البحث
(٣) راجع صـ ٩٣ من هذا البحث

التقييد عند الامام عبد القاهـــر :ـ

ثم يتمخض القرن الخامس الهجرى عن علم البلاغة وفارسها عبد القاهر الجرجانـــى الذى يأخذ حديث الاقران والتركيب فى كتابه " اسرار البلاغة " مساحة واســـعـــة يتحدث فيها من خلال التركيب عن القيود ودورها فى صياغة التشبيهة وغرضه ، واكتـــه لا يفرد للاطلاق والتقييد فصلا خاصا ولا يقطع المقيد عن المركب لان وجهة نظـــره قائمة على أنهما شىء واحد ، فليس التقييد سوى التركيب وما القيود الا وسائـــل لتحقيق التركيبه وسنرى من خلال نصوصه ما يؤكد زعمنا هذا .

تصور عبد القاهر المثال الذى عده المتأخرون من التشبيه المقيد وهو قولهـــم (هو كالقابض على الماء) وذلك فى ثنايا حديثه عن التمثيل المركب فقال (وأ مـــا الثانى وهو ما ينتزع من التشبيه لأمر لا يرجع الى نفسه فمثاله أن يتعدى الفعل الـــى شىء مخصوص يكون له من أجله حكم خاص نحو كونه واقعا فى موقعه وعلى الصـــواب أو واقعا غير موقعه كقولهم هو كالقابض على الماء والراقم فى الماء فالشبه ها هنا منتـــزع مما بين القبض والماء وليس بمنتزع من القبض نفسه " ثم يمضى الى القول " واذا ثبـــت هذا فمثل شبه كان هذا سبيله فانك لا تجد بين المعنى المذكور وبين المشبه اذا افردته ملابسه البته الا تراك تضرب الرقم فى الماء والقبض عليه لامور لا شبه بينهما وبينها البتـــه من حيث هما رقم وقبض واذا عرفت هذا فالحمل فى الآية من هذا القبيل ايضا لانه تضمن الشبه من اليهود لامر لا يرجع الى حقيقة الحمل بل لامرين آخرين احدهما تعديه الـــى الاسفار والآخر اقتران الجهل للاسفاريه " (١)

فكلام عبد القاهر يدل بوضوح على رأيه فى جعل هذا المثال من التشبيه المركـــب فالشبه منتزع مما بين القبض والماء وليس منتزعا من شىء واحد " ولا تجد بين المعنـــى المذكور وبين المشبه اذا افردته ملابسه البته " وهذا يعنى أن المشبه به ليس مفـــردا فهو اذن مركب لان التقييد لا ينافى الافراد كما هو معروف لدى المتأخرين اذ يدخلون المقيد فى دائرة المفرد ويحسم عبد القاهر الامر حين يقرن بهذا المثال بقوله تعالـــى

---

(١) الاســـرار ص ٧٦

" مثل الذين حملوا التوراة " الآية ويقرر رأيه بقوله " واذا كان الأمر كذلك كان قطعك الحمل عن هذين الامرين فى البعد عن الوجه كقطعك القبض والرقم عن الماء " ولم يخالف أحد من المتأخرين فى عد الآية من التشبيه المركب الطرفين والوجه .

ويستوفى عبد القاهر جميع القيود التى ذكرها المتأخرون لتقييد التشبيه ويجعل الحكم فيها واحدا من حيث كونها ادوات التركيب " واعلم أن هذا الشبه حكمه واحد سواء أخذته ما بين الفعل والمفعول الصريح أو ما يجرى مجرى المفعول فالمفعول كالقوس فى قولك أخذ القوس باريها وما يجرى مجرى المفعول الجار مع المجرور كقولهم كالرقم فى الماء وهو كمن يخط على الماء وكذلك الحال كقولهم كالحادى وليس له بعير " ويصل الى القول " وقد تجد بك حاجة الى فصل والى الجار مع المجرور كقولك وهما يجمع السيفان فى الغمد أو كمن يجمع السيفين فى غمد " (١)

فهذه القيود التى ذكرها عبد القاهر من مفعول أو جار ومجرور أو حال هى بعينها القيود التى جعلها المتأخرون ادوات التشبيه المقيد .

ويتحدث عبد القاهر فى موضع آخر عن دور القيود فى صنع التركيب حديثا يمزج فيه النحو بالبلاغة موحدا فكرة النظم عنده التى هى مراعاة العلاقة بين مفردات الجملة وقوانين النحو فيها ويتناول نماذج اتفق المتأخرون على التركيب فيها ولم يقولوا بالتقييد فى طرفيها .

فبعد أن ذكر بيت بشار كأن مثار النقع .. اتبعه قول البحترى :

ترى فيجاله يصدون فيه .. صعود البرق فى الغيم الجهام

ثم قال " لا يريد به تشبيه بياض الحجول على الانفراد بالبرق بل المقصود الهيئة الخاصة الحاصلة من مخالطة أحد اللونين الآخر كذلك ليس المقصود فى بيت بشار تشبيه النقع بالليل من جانب والسيوف بالكواكب من جانب آخر وانما وجب الحكم كما كنت ذكرت فى موضع بأن الكلام الى قوله وأسيافنا فى حكم الصلة للصدر وجارى مجرى الاسم الواحد لئلا يقع فى التشبيه تضييق ويتوهم أنه كقولنا كأن مثار النقع ليل وكأن السيوف

---

(١) الاسرار ٧٨

كواكب ونصب الاسياف لا يصح من تقدير الاتصال ولا يوجب أن يكون فى تقدير الاستئناف لأن الواو فيه بمعنى مع " (١)

فهيت بشار من التشبيه المركب الطرفين الأول : النقح المشار بقيد ظهور الاسياف فيه والقيد هنا جاء بعد واو المصاحبة فكأنه قيد بالظرف وتكونت منها هيئة مركبة والطرف الثانى (المشبه به) أيضا تقيد بالوصف تهاوى كواكبه)) فكان هيئة مركبة أيضا • وهكذا فى البيت الثانى حيث تركب المشبه وهو الاحجال مع القيد بالحال (يصعدن فيه) والمشبه به تركب من البرق والجار والمجرور وهما فى موقع الحال ايضا •

ثم يمضى عبد القاهر فى حديثه الى القول وبهذا الاختصاص وكما ذكرت لك نجد أحد المشبهين فى الأمر الاهم الاكثر وقد ذكر فى صلة الآخر ولم يعطف عليه والمشبه بينهن فى الشباب)) ((وبياض فى جوانبه احمرار)) وأشباه ذلك فان جاءت الواو كانت واو حال كقوله :

كأنما الريح والمشترى •• قدامه فى شامخ الرفعة

وهى اذا كانت حالية فهى كالصفة فى كونها تابعة وبحيث لا ينفرد بالذكر بل يذكر فى ضمن الأول وعلى أنه من تمامه وحاشيته وهكذا الحكم فى الطرف الاخر الا ترى الى قوله " ليلى تهاوى كواكبه " فشبهها وى كواكبه جملة من الصفة الميل واذا كان كذلك فالكواكب مذكورة على سبيل التبع لليل ولو كانت مستبدة بشأنها لقلت ليل وكواكب " (٢)

وهكذا يستوفى عبد القاهر جميع القيود من وصف وحال ومجرور ومفعول وظرف ويجعل كل ذلك وسيلة الى تركيب الشبه •

الـــــرازى :-

وقد فهم الرازى ما فهمناه من عبد القاهر فى عدة القيد مركبا واتخاذ التقييد وسيلة لتركيب التشبيه فأخذ يستعمل التقييد مرادفا للتركيب ويطلق اسم المقيد على المركب يتبين ذلك من الفصل الذى عقده لتقسيم التشبيه الى مفرد ومركب حيث

---

(١) اسرار البلاغة ص ١٥٨
(٢) اسرار البلاغة ص ١٦٠ ــ ١٦١

يبدأ الفصل بقوله " المشابهة اما أن تكون فى أمر واحد أو فى أمور كثيرة فان كانت فى امر واحد فلا يخلو اما الا يكون مقيدا بانتسابه الى شئ او يكون مقيدا بذلك والاول مثل ما مضى من تشبيه الكلام بالعسل فى أن كل واحد منهما يوجب للنفس لذة وحالة محمودة والثانى يكون مقيدا بالانتساب الى شئ فأما الى الفضول كقولهم أعطى القوس باريها وذلك لان المقصود وقوع الاخذ فى موقعه ووجوده من اهله وهذا لا يحصل من الأخذ المطلق ولكن من حيث الحكم الحاصل له بوقوعه من البارى المتوسط فيه " (١)

ثم يمضى الرازى بعد ذلك يستعرض التقيد من جار ومجرور و حال ووصف وغير ذلك ويجعلها وسيلة الى التركيب ويطلق على هذا النوع اسم الوصف المقيد مريدا به المركب المقابل للمفرد ثم يعقد بعد ذلك فصلا يتحدث فيه عن تقسيم التشبيه المركب الى ما يمكن فض تركيبه وما لا يمكن ذلك فيه ويعنون له بالعنوان التالى " ما به المشابهة اذا كان وصفا مقيدا فانه ينقسم الى ما يمكن افراد أحد جزئيه بالذكر والى ما لا يمكن ذلك فيه " ويمثل للأول بقول الشاعر

وكأنما للبين و المشترى ٭٭ قدامه فى شامخ الرفعة

منصرف بالميل عن دعوة ٭٭ قد اسرجت قدامه شمعة

ويمثل للثانى الذي يمكن فض تركيبه يقول الشاعر :

كأن اجرام النجوم لوامعا ٭٭ درر نثرن على بساط ازرق

وواضح أن كليهما من التشبيه المركب يسميه الرازى وصفا مقيدا ويجعله مقابلا للمفرد ومرادنا للمركب هنا يؤكد ما فهمناه من أن عبد القاهر لا يفرق بين المقيد والمركب المكاكى :ـ

لم يذكر التشبيه المقيد ولم يصرح بهذا اللفظ ولعله جرى على مذهب الامام عبد القاهر والرازى فى اعتبار المركب والمقيد مترادفين ومن ثم اكتفى بذكر المركب

---

(١) نهاية الايجاز صـ ٦٦

باعتباره أشهر المصطلحين فهو أحق بالاستخدام وعلى ذلك فادعاء المعض بأن السكاكي يدخل التقييد فى حيز الافراد لا يقوم على دليل صحيح يقول عبد الحكيم فى حاشيته " وقوله والشمس كالمرآة فى كف الأشل • فان المشبه فيه مفرد غير مقيد فلابد أن يكون المشبه به مفردا مقيدا عند السكاكي رحمة الله تعالى لعدم قولهبتشبيه المفرد بالمركب "(١)

والذى دفع عبد الحكيم و غيره الى نسبة مثل هذا الرأى الى السكاكى هو تصويحه بأن تشبيه الشاة الجبلى بالحمار الابتر الحشوق الشفة الثابت على رأسه شجرتا غضى من تشبيه المفرد بالمفرد • فاما لم يستقم ذلك مع منهج اصحاب الشروح لان التركيب واضح فى المشبه به اتخذوا حلا وسطا وهو القول بالتقييد ونسبوا ذلك الى السكاكى لان هذا المثال لا يصح كونه من تشبيه المفرد بالمفرد الا أن يكون المفرد مقيدا وفى رأيى أن هذا مالا يحتمله من قريب أو بعيد كلام السكاكى ولما كانت نسبة القول بالتقييد الى السكاكى لا تستند الى دليل فقد استخدم العصام تعبيرا يوحى بالشك وذلك حيث يقول " ولولا اشتباه المقيد بالمركب لما كان الاشتباه بين المابين بتلك المثابة وكفى شاهدا فى شدة الالتباس ووقوع الاختلاف بين المصنف والمفتاح حيث جعل المفتاح تشبيه الشاة الجبلى من تشبيه المفرد بالمفرد والمصنف جعله من تشبيه المفرد بالمركب وانه لم يثبت المفتاح تشبيه المفرد بالمركب بالمكرر مع كثرة أمثلتهما فكانه جعل المركب فى الصورتين مقيدا "(٢)

وفرق بين تعبير العصام بـ كأن وتعبير عبد الحكيم الجازم " فلابد أن يكون المشبه به مقيدا عند السكاكى)•

الخطيب واصحاب الشروح :ـ

كان الخطيب اول من صرح بالفصل بين المقيد والمركب وجعل التقييد داخلا فى الافراد تقليلا للأقسام ولذلك يقول ابن يعقوب " فهذه تسعة أقسام من ضرب ثلاثة أحوال الافراد والتركيب والتقييد فى نفسها •• ثم هذه التسعة صيرها المصنف (الخطيب)

---

(١) حاشية عبد الحكيم صـ ١٠١
(٢) الاطول ٢ / ٩٧

أربعة بأن جعل التقييد من حيز الافراد " (١)

وبذلك ينقسم المفرد من الطرفين الى مقيدين او غير مقيدين أو مختلفين وقد شـــا، الخطيب المقيدين بقوله " واما مقيدان كقولهم لمن لا يحصل من سعيه على شـــــى " هو كالقابض على الماء والراقم فى الماء فأن المشبه هو الساعى لا مطلقا بل مقيـــــدا بكون سعيه كذلك والمشبه به هو القابض أو الراقم لا مطلقا بل مقيدا بكون قبضه على الماء او رقمه فيه فالقيد فى هاتين الصورتين هو الجار والمجرور ونحوهما وقولهم هو كمن يجمع سيفين فى غمد وقولهم هو كمبتغى الصيد فى عريسة الاسد وقد يكون حالا كقولهم هـــو كالحادى وليس له بعير " (٢)

ونلاحظ ان هذه القيود ذكرها عبد القاهر فى المركب وجعلها شروطا يتم بهـــــا التركيب ويتحقق بها الغرض من التشبيه • وأما تشبيه المفرد غير المقيد بالمفرد المقيـــد فقد مثل له الخطيب بتشبيه الشمس بالمرآة فى كف الأشل فان المشبه الشمس بلا قيـــد والمشبه به المرآة بقيد كونها فى كف الاشل وقد تعرض التشبيه فى المثال لعـــــدة اعتراضات اولها ان المشبه مقيد بالحال لان الشمس لا ينتزع منها شبه المرآة فـــــى كف الأشل الا فى حال حركتها وهذا قيد ولكن الدسوقى يرد الاعتراض بقوله " فان قلـت المشبه هو الشمس لا مطلقا بل حال حركتها فيكون مقيدا قلت الحركة لما كانت لازمـــة للشمس غير منفكة عنها أبدا كانت كأنها جزء من مفهومها وليست بقيد خارج " (٣) وبذلك يضع الدسوقى شرطا للقيد وهو الا يكون جزءا من حقيقة الطرفين بل يجب أن يكـون خارجا عنهـا

الاعتراض الثانى أن الشمس مقيدة بالحركة والشكل واللون وقد ذكر هذا الاعتـــراض ابن يعقوب المغربى وأجاب عليه بقوله " فان الشمس وهو المشبه لا تقييد فيها وما اعتبـر معها من الحركة والشكل وتعوج الاشراق على الوجه السابق انما ذلك فى الوجه " (٤) وهذا الرد مبنى على القول بأن الوجه المركب قد يكون طرفاه مفردين وتركيب الوجـــه

(١) مواهب الفتاح ٣ / ٤١٧
(٢) الايضاح شروح ٣ / ٤١٨ ــ ٤١٩
(٣) حاشية الدسوقى شروح ٣ / ٤٢٠
(٤) مواهب الفتاح شروح ٣ / ٤١٩

لا يلزم منه تركيب الطرفين أو تقييدهما .

الاعتراض الثالث أن يكون المشبه مقيدا بالظرف لان حركة الشمس هذه لا تظهر الا عند الشروق أو الغروب ومرة أخرى يتصدى ابن يعقوب لهذا الاعتراض فيقول

" وتقييدها بزمن الطلوع وقرب الغروب طردى لان التشبيه صحيح فيها دون ذلك الاعتبار والمرآة وهو المشبه بها مقيدة بكونها فى كف الأشل اذا الهيئة الحاصلة من الاستدارة والحركة وتموج الاشراق على الوجه السابق التى هى الوجه لا تتحقق الا باعتبار قيد كونها فى كف المرتعش ومما يتوقف عليه الوجه قيد والتوقف هنا ضرورى اذا المرآة فى كف الثابت اليد لا يتصور فيها ما ذكر " (١)

فالقيد اذن يجب ان يكون مما يتوقف عليه الوجه ولذلك فان الظرف هنا ليس قيدا لان الوجه يتحقق بدونه ولذن السيد الشريف يجيز أن يكون المشبه فى هذا المثال مقيدا او غير مقيد وقد صرح بذلك فى قوله " والظاهر أن تشبيه الشمس بالموثقة التى فيها ذهب ذاهب من تشبيه المفرد الغير مقيد او المقيد بمفرد مقيد كتشبيهها بالمرآة فى كف الاشل " (٢)

وبذلك يتميز التقييد بأنه تعلق أحد طرفى التشبيه بصفة أو اضافة أو حال أو مجرور أو ظرف أو غير ذلك مما يتوقف عليه وجه الشبه ويكون خارجا عن حقيقته .

ولما كان التمييز بين المقيد والمركب من الصعوبة والعسر فقد حاول أصحاب الشروح ايجاد الفوارق بينهما ووضع الضوابط لتمييز أحدهما عن الآخر ما وسعهم الجهد وقد اعترفوا بدقة الفرق وخفائه بل ويعجز هذه الضوابط والحدود التى وضعوها عن الفصل بينهما مما دفع الدسوقى الى القول " ان تمييز كون هذا المشبه أو المشبه به من قبيل المفرد المقيد او من قبيل المركب يحتاج لتأمل لأن القيود معتبرة فى كل من الامرين ولا حاكم فى تمييز احدهما عن الآخر عند الالتباس سوى ذكاء الطبع وصفاء القريحة " (٣)

---

(١) مواهب الفتاح شروح ٣ / ٤١٩
(٢) حاشية السيد على المطول / ٣٣٧
(٣) حاشيته والدسوقى شروح ٣ / ٤٢٢

المبحث الخامس :ـ

موازنة بين منهج عبد القاهر والمنهج التقسيمي

يكشف مبحث الافراد والتركيب في التشبيه عن الفرق بين منهج عبد القاهر الـــذي يقوم على تحليل النماذج الأدبية والموازنة بين التركيبات وابراز دقائق التخصيـــص فيها وبين منهج السكاكي والخطيب وأصحابها الشروح والحواشي الذي يوجه اهتمامـــه الاكبر الى الحصر والتقنين والتبويب .

فالبحث عن غرض المنشيء وما يتوخاه من تصويره هو الذي يوجه حديث عبد القاهـــر ويجذب باهتمامه فيعمد الى وجه الشبه ليبين ما فيه من افراد أو تركيب او تعدد ويكشـــف عن هيئة التركيب وجزئياتها التي تكونت منها ، ويجيء حديثه عن افراد الطرفـــين او تركيبهما من خلال البحث عن الأوصاف او الاجزاء التي تكون منها التركيب في وجـــه الشبه دون أن نرى تقسيما خاصا لكل طرفين من حيث الافراد والتركيب .

أما السكاكي ومن ساروا على نهجه فقد استهواهم حديث الافراد والتركيب عنـــد عبد القاهر وأعجبوا به ووقفوا عنده لا يتجاوزونه وان اجتهدوا في ضبطه وحصره مـــن خلال أقسام للوجه واقسام للطرفين وهم يستوحونه ويترسمون خطاه .

التركيب في وجه الشبه :ـ

اراد عبد القاهر من خلال اعجابه بالتمثيل أن يميز بين وجه الشبه المفرد ووجـــه الشبه المركب انطلاقا الى غاية يهدف اليها وهي أن التمثيل المركب اكثر حاجـــة الى التأول في استخراج العلاقة من الطرفين . وهو لذلك أجدر باسم التمثيـــل واحق بأن ينال شرف التفوق والسبق . يقول عبد القاهر " ان هذا الشبه المنتـــزع مما انتزع من شيء واحد كما مضى من انتزاع الشبه للفظ من حلاوة العسل وربما انتـــزع من عدة أمور يجمع بعضها الى بعض ثم يستخرج من مجموعها الشبه فيكون سبيـــه سبيل الشيئين يمزج احدهما بالاخر حتى تحدث صورة غير ما كان لها في حال الافـــراد لا سبيل الشيئين يجمع بينهما وتحفظ صورتهما ومثال ذلك قوله عز وجل مثل الذيـــن حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا " الشبه منتزع من أحوال الحمار

وهو أنه يحمل الأسفار التى هى أوعية العلوم ومستودع ثمر العقول ثم لا يحس بما فيها ولا يشعر بمضمونها ولا يفرق بينها وبين سائر الاحمال التى ليست من العلم فى شىء ولا من الدلالة عليه بسبيل فليس له مما يحمل حظ سوى أنه يثقل عليه ويكد جنبيه فهو كما ترى مقتض امور مجموعة ونتيجة لأشياء ألفت وقرن بعضها الى بعض "(١)

فنحن نرى أنه عمد بحديثه الى وجه الشبه باعتباره الغرض الاصيل الذى يكشف عن خلجات النفس ويبرز خواطره وأفكاره ، ونرى أيضا ان تعريفه للافراد والتركيب فى الوجه لم يأت بمعزل عن الطرفين • فالمفرد هو ما انتزع من امر واحد و المركب هو ما انتزع من عدة امور فالطرفان هما مصدر تركيب الوجه او افراده باعتبار ما يراعى من أوصافهما واحوالهما بغض النظر عن كون الطرف حقيقة واحدة روعى فيها عدة أوصاف أو أحوال • أو حقائق متعددة انتزع من مجموعها وجه الشبه لأن الحقائق من حيث هى لا قصد للمشبه اليها •

وذلك يضع أيدينا على معلم من معالم البحث عند عبد القاهر أيدته الدراسات النقدية الحديثة وهو أن اللفظ فى المعجم له مدلول عام لكنه يكتسب فى جملة التركيب مدلولا خاصا بحيث لو تجرد منه لما أدى وظيفته فى التعبير عن غرض المتكلم لان الألفاظ تكتسب كما يقول عبد القاهر صورة غير ما كان لها فى حال الافراد " ومن ثم فالبحث فى طرفى التشبيه من حيث كونه حقيقة واحدة او عدة حقائق لم يشغل اهتمام عبد القاهر •

أما اصحاب المنهج التقليدى فقد التفتوا ـ بحكم غلبة الاتجاه الفلسفى على ابحاثهم الى هذه الأجزاء التى ينتزع منها الوجه ان كانت حقيقة واحدة أو حقائق متعددة وما اذا كانت الحقيقة الواحدة ملتئمة من أجزاء فتكون مركبة أو لافتكون مفردة وبذلك انقسم الوجه المركب الى حقيقى واعتبارى وذلك التقسيم لم يصرح به احد ممن سبقوا السكاكى مما كان مدعاة الجدل وخلاف بين المتأخرين فمن أين جاء السكاكى بهذا التقسيم ؟

الذى اراه أن الامام عبد القاهر هو مصدر السكاكى فى تقسيمه هذا ونحن وان لم نجد تصريحا من الامام بذلك الا أن حديثه عن التفصيل فى وجه الشبه فيه ما يوحى

(١) أسرار البلاغة صـ ٧٣ ـ ٧٤

الى السكاكى بهذا التقسيم •

جعل الامام التفصيل فى التشبيه وجوها مختلفة أحدها أن تفصل بأن تأخذ بعضا كما فى الملهب حين عزل الدخان عن السنا وجرده فى قول الشاعر :

جمعت رديا كأن سناه ٠٠ سنا لهب لم تتصل بدخان

والثانى أن تفصل بأن تنظر من المشبه فى أموره لتعتبرها كلها وتطابقها فيما يشبه به و ذلك كاعتبارك فى تشبيه الثريا بالعنقود الا نجم نفسها والشكل منها واللون وكونها مجتمعة على مقدار من القرب والبعد والثالث بأن تنظر الى خاصة فى بعض الجنس كالتى تجدها فى تشبيه سقط النار بعين الديك " (١)

وكل هذه الأوجه التى ذكرها عبد القاهر أمثلة لوجه مركب تركيبا حقيقيا لا نوعى فيه عدة أوصاف راجعة الى حقيقة واحدة فى كل من المشبه والمشبه به •

ثم بدأ يتحدث عن نوع آخر يزداد فيه التركيب دقة وتفصيلا فقال " ومما يكثر فيه التفصيل ويقوى معناه ما كان من التشبيه مركبا بين شيئين او اكثر " (٢) ثم مثل لهذا النوع بنماذج من التشبيهات المركبة وكلها مما تركب فيه المشبه به من شيئين او اكثر وهو ما اطلق عليه المتأخرون المركب الاعتبارى لمح السكاكى ذلك عند الامام فاستثمره وجعل الوجه المنزل منزلة الواحد — وهو المركب — نوعين : ما كان حقيقة منتزعة وما كان أوصافا مقصودا من مجموعها الى هيئة واحدة ومثل للأول بما مثل به عبد القاهر وهو تشبيه سقط النار بعين الديك وتشبيه الثريا بعنقود الكرم المنور والشمس بالمرآة فى كف الاشل • ثم مثل للثانى بأمثلة عبد القاهر للنوع الذى يقوى فيه التفصيل ويكثر نتيجة تركب طرفيه أو احدهما مثل قول الشاعر :

كأن مثار النقع — وقوله : وكأن اجرام النجوم اوامــا — وقوله :

كأنما المريخ والمشترى —

وحتى يميز السكاكى بين نوعى المركب فى التمثيل لهما غير طريقة التعبير بعد أن ذكر امثلة المركب الحقيقى فقال :

" وكوجه الشبه " اشارة الى أنه سيمثل النوع الثانى من المركب الذى يعرف بالمركب

(١) راجع اسرار البلاغة صـ ١٣٤

(٢) راجع اسرار البلاغة صـ ١٣٦

الاعتبارى ويفهم من ذلك أن مراد السكاكى بالوجه المركب من حقيقة ملتئمة ما كان طرفاه حقيقتين مفردتين انتزع الوجه من مراعاة أوصاف وأحوال فيهما التأمت وصارت كالشىء الواحد .

وقد تنبه الى ذلك قطب الدين الشيرازى فى شرحه للمفتاح حيث يقول " وغير الواحد اما أن يكون فى حكم الواحد لكونه اما حقيقة ملتئمة أى مجتمعة كالمشترك بين سقط النار وعين الديك واما أوصافا مقصودا من مجموعها أى من مجموع تلك الصفات وهو فاعل مقصودا أى اوصافا قصدت من مجموعها الى هيئة واحدة ومنه يعرف أن افظة الى ليست زائدة على ما قيل لانه صلة ، أى قصد منه اليه ومثاله :

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا .. واسيافنا ليل تهاوى كواكبه . (١)

وقد احسن عبد الحكيم فى رده على السعد الذى خالف السكاكى والخطيب و نفى القول بوجود مركب حقيقى فى الوجه وعده من المفرد رد عليه عبد الحكيم قائلا : فليحمل قوله اما حقيقة ملتئمة على كونه حقيقة ملتئمة بحسب اعتبار العقل كما فصل سابقا عن شرحه للمفتاح فلا يكون داخلا فى الواحد والمقابلة بينها وبين الهيئة المنتزعة أنها حقيقة للطرفين فيكون كل من الطرفين أيضا مركبا والهيئة المنتزعة صفة عارضة لهما فيجوز أن يكونا مفردين وأن يكونا مركبين فالنظر المذكور ساقط . (٢)

التركيب فى الطرفين :ـ

لم يصرح عبد القاهر فى حديثه عن التشبيه المركب بما اذا كان هناك طرفان ومفردا ن او احدهما مفرد والاخر مركبه وذلك لانه يرى أن الوجه المركب لابد أن يراعى فيه عدة امور فى المشبه والمشبه به ولم يكن يمنعه ان تنتزع هذه الامور من حقيقة مفردة او عدة حقائق منفصله لان غرضه الى بيان الهيئة المركبة فى الوجه وكيفية انتزاعها من الطرفين وهناك مثالا يوضح مسلك عبد القاهر فى تناول التركيب " والثانى ان تفصل بأن تنظر من المشبه فى امور اعتبرها كلها وتعلم بها فيما يشبه به وذلك كاعتبارك فى

(١) مفتاح المفتاح ورقة ٨٢٤
(٢) حاشية عبد الحكيم صـ ٦٧

تشبيه الثريا بالمنقود الانجم نفسها والشكل منها واللون وكونها مجتمعة على مقدار فمن القرب والبعد فقد نظرت فى الأمور واحدا واحدا وجعلتها بتأملك فصلا فصلا ثم جمعتها فى تشبيهك وطلبت المهيئة الحاصلة من عدة أشخاص الانجم والاصناف التى ذكرت لك من الشكل واللون والتقارب على وجه مخصوص هيئة أخرى شبيهة بها وأصبتها فى المنقـــود الخور من الملاحية ولم يتح لك التشبيه بينهما الا بأن فصلت اجزاء المنقود بالنظـــر على انها خصل بيض وأن فيها شكل استدارة النجم ثم الشكل الى الصغر ما هو كمـــا أن شكل انجم الثريا كذلك وأن هذه الخصل لا مجتمعة اجتماع التضام والتلاصـــق ولا هى شديدة الافتراق بل لها مقادير فى التقارب والتباعد على تخيم تقريبة مما تجـده فى رأى العين بين تلك الأنجم يدلك على أن التشبيه موضوع على مجموع هذه الاوصاف ٠(١)

فنحن أمام مثل عدة السكاكى من المركب الحقيقى الذى طرفاه مفرد ان تناولـــه عبد القاهر لهيئة التركيب فى الوجه وكيف أنك تراعى فى كل من الطرفين عدة أمـــور وتنتزع من الطرف الواحد عدة أوصاف تتكون منها هيئة التشبيه ولا يضيرك بعد ذالـــك أن يكون هذا الطرف مفردا لأنك قد جعلت منه هيئة مكونة من عدة اوصاف تركب منهـــا التشبيه وصار بالامتزاج شيئا واحدا ٠ هذا بخلاف التشبيه الذى يقوم على تشـــبيه شيئين بشيئين صورة واحدة الا أن احدهما لا يداخل الاخر فى الشبه كقول امرئ القيس كأن قلوب الطير ٠٠٠ الهيت ٠ فليس بينهما اكثر من الاجتماع فى مكان فقط بخـــلاف كون الشقيقة على قامتها الخضراء فقد امتزج الشكل واللون والمقدار مكونا هيئـــة واحـــدة ٠(٢)

تلك هى طريقة عبد القاهر وذلك مسلكه فى بيان التركيب فلما جاء السكاكـــى وقسم المركب من الوجه الى نوعين الجمع الى أن الحقيقة الملتئمة فى الوجه تكون فيمـــا طرفاه مفردان اذا الوجه المركب من عدة أوصاف قصد الى مجموعها هيئة واحدة فانهـــا تتحقق فى تشبيه المركب بالمركب وكانت تلك بداية تقسيمات جديدة فى افراد الطرفـــين وتركيبهما صار تحت الخطيب أربعة أقسام :

---

(١) الاســـرار ١٣٥

(٢) راجع ص ١٥٦ من أسرار البلاغة

تشبيه مركب بمركب ومفرد بمفرد ومفرد بمركب ومركب بمفرد وليس ذلك التقسيم من الخطيب بجديد فقد سبقه ابن الأثير ومثل له بمأثور الشعر والنثر غير أن الخطيب زاد عليه بأنه ربط بين تقسيم الوجه والطرفين بينما كان ابن الأثير يتحدث عن التركيب من جانب الطرفين فقط :

وقد ظلت هذه التقسيمات والتعريفات للطرف المفرد والمركب لدى اصحاب الشروح والحواشي ـ على الروح الادبية فأفسدتها وأحالت أبحاث البلاغة جدلا لا جدوى منه بالرغم من اعترافهم بأن غرض المتكلم هو الفيصل في التركيب بما يقصده من أوصاف في الطرفين وقد صرح ابن يعقوب المغربي بذلك في تعريفه للتركيب " المركب هو الهيئة الحاصلة من أشياء تضامت وتلاصقت في اعتبار المتكلم حتى صارت شيئا واحدا بحيث اذا انتزع الوجه من بعضها اختل التشبيه في قصد المتكلم " (١)

وهذه لمحة ذكية من ابن يعقوب كان يجب أن تغنيهم عن البحث في الحقيقة المفردة أو الحقائق المتعددة ما دام غرض المتكلم موجها الى اعتبارات وأوصاف قد تكون في الحقيقة المفردة كما تكون في الحقائق المختلفة ولكنها روح الفلسفة التي غلبت على اصحاب الشروح والحواشي والتي انحرفت عن مسار عبد القاهر في طريقة عرضه وتحليله انماذج التركيب مما افسد على البحث البلاغي متعته وجاذبيته واليك مثالا جاء على لسان بهاء الدين السبكي الذي يعتبر اقرب تلامذة هذه المدرسة الى الروح الادبية والذوق البلاغي كما صرح بذلك الاستاذ أمين الخولي (٢)

يقول السبكي " والثالث تشبيه مفرد بمركب قال المصنف كما مر في بيت الشقيق يشير الى قوله :

وكأن محمر الشقيق ٠٠ ق اذا تصوب او تصعد
أعلام ياقوت نشر ٠٠ ن على رماح من زبرجد

فان قلت قد سبق الاعتراض على هذا بأن وضع هذين البيتين كوضع قوله : وكأن اجرام النجوم لوامعا ـ فانه ليس مع واحد منهما من الشقيق واجرام النجوم قيد لفظي ولا معنى

---

(١) مواهب الفتاح شروح ٣ / ٤٢٠
(٢) مناهج تجديد ص ٢٤٦ وما بعدها

لا تقيد فيه معنى فاما أن يقدر لهما قيد ويجعلا تشبيه مركب بمركب او يجعلا تشبيه مفرد بمفرد وكيف يمكن أن يشبه مفرد مشتمل على صفة واحدة بمركب مشتمل على صفتين ملحوظتين فى الشبه فان قيل المراد الشقيق وساعده قلنا فهو تشبيه مركب بمركب قلت المراد بالمركب ما كان هيئة حاصلة من حقيقتين متفاصلتين يجتمعان والشقيق مراد به هو وساعده فالمجموع منهما حقيقة واحدة لا حقيقتان ركبت احداهما مع الاخرى بخلاف اجرام النجوم فانها لا يطلق على مجموع النجوم والسماء انهما نجوم لانهما حقيقتان مختلفتان نعم قد يقال هذا جعلت الاعلام برماحها حقيقة واحدة لان الجميع يسمى علما ٠(١)

هذا حديث التركيب عند السبكى جدل واعتراضات حول الحقيقة الواحدة او الحقائق المختلفة وكيف يمكن أن يشبه مفرد بمركب الى غير ذلك مما لا جدوى منه ولا أثر له فى التركيب ٠

فالثريا مثلا حين شبهت بعنقود الكرم المنور ما الذى روعى فيها ؟

الانجم نفسها والشكل واللون والتقارب على شكل مخصوص ومثل ذلك روعى فى المشبه به فما الذى يفيد بعد ذلك فى تركيب الصورة من كونها مفردة او مركبة ؟ وماذا يعود على البحث البلاغى مما يقوله ابن يعقوب " فالثريا وعنقود الملاحية مفردان لان كلا منهما اسم لمسمى واحد صارت اجزاء كل منهما كالبعد من زيد ٠(٢)

فى التقييد :-

لم يكن القول بتقييد المشبه او المشبه به واحد عند القاهر او الخطيب فقد سبق لابن فارس أن افرد وفصلا خاصا للحديث عن الاطلاق والتقييد فلما جاء عبد القاهر بسط الحديث عن التقييد وذكر انواع القيود من صفة ومفعول وحال وجار ومجرور واضافة وظرف وغير ذلك وأبان عن تعدد القيود فى الطرف الواحد ولكنه لم يفصل

---

(١) عروس الافراح شروح ٤٢٣/٣

(٢) مواهب الفتاح شروح ٣٥٨/٣

التقيد عن المركب بل جاء ذكره التقيد اثناء حديثه عن التركيب وجعل القيود أدوات ووسائل يتم بها التركيب فى وجه الشبه واقتضبته طريقته فى البحث عن اسرار التراكيب من خلال صور التشبيه أن يعقد موازنات بين الصور التشبيهية المركبة ويفاضل بينها من حيث زيادة التفصيل وكثرة القيود فى احداها عن الاخرى ويورد لذلك النماذج المتتالية حتى تم له من ذلك الوثيق المعجب فى حديثه الافراد والتركيب وهذه واحدة من موازناته يقلب عبد القاهر النظر فى أنحاء الصورة ويكشف عن الملامح والخطوط الدقيقة التى بها يتفاضل تصوير عن تصوير ويتفوق شاعر عن شاعر آخر يقول " ويشبه هذا الموضع فى زيادة أحد التشبيهين على الاخر مع أن جنسيهما جنس واحد وتركيبهما على حقيقة واحدة بأن فى احداها فضل استقصاء ليس فى الاخرى قول ابن المعتز

وطاف بها ساق أديب بمنزل ٭٭ كخنجر عيار صناعته الفتك
وحمل أذربونه فوق أذنه ٭٭ ككاس عقيق فى قرارتها مسك

مع قوله :

مداهن من ذهب ٭٭ فيها بقايا غالية

الاول ينقص عن الثانى شيئا وذلك أن السواد الذى فى باطن الأذربونة الموضوع بازاء الغالية والمسك فيه أمران أحدهما أنه ليس شامل لها والثانى أن هذا السواد ليس صورته صورة الدرهم فى قعرها أعنى أنه لم يستدر هناك بل ارتفع من قعر الدائرة حتى اخذ شيئا من سمكها من كل الجهات وله فى منقطعه هيئة تشبه آثار الماليه فى جوانب المدهن اذا كانت بقية عن الأصابع وقوله " فى قرارتها مسك يبين الامر الأول وهو من من دخول النقص عليه كما كان يدخل لو قال " ككاس عقيق فيها مسك، ولم يشترط أن يكون فى القرارة • وأما الثانى من الأمرين فلا يدل عليه كما يدل قوله بقايا غالية وذلك أن من شأن المسك والشىء الياسر اذا حصل فى شىء يستدير فى القعر لا يرتفع فى الجوانب الارتفاع الذى نراه فى سواد الأذربونة وأما الغالية فهى رطبة ثم هى تؤخذ بالأصابع واذا كان كذلك فلابد فى البقية منها ان تكون قد ارتفعت عن القرارة وحصلت بقية شبيهة بذلك السواد ثم هى لنعومتها ترق فتكون كالصبغ

الذى لا جرم له يملك المكان وذلك أصدق التشبيه ". (١)

أرأيت كيف تدق نظرة عبد القاهر وبوق حديث التركيب عنده فهو يفرق بين قيد يحقق التشبيه ويؤمن من دخول النقص عليه وذلك كاشتراط أن يكون المسك فى القرارة فذلك شرط لا يتحقق الشبه الا به لأن السواد فى باطن الآذريونة فلابد أن يكون المسك فى قرارة الكأس. وبين قيد لا يتوقف التشبيه عليه ولكنه يأتى بمعنى زائد خفى يصل به التشبيه الى غاية الدقة فى التفصيل ويستحق به أن يخص بأنه من اصدق التشبيه وذلك كاشتراط أن يكون فى المداهن الذهبية بقايا غالية لان الغالية رطبة واخذها بالأصابع يترك بقايا سوداء ترتفع فى جوانب المدهن فيلتقى اون السواد وهيئته فى كلا الطرفين التقاء تاما يبلغ به التشبيه قمة الصدق والاصابة.

ويصرح عبد القاهر بالقيود ونوع القيد واثره فى تركيب الصور اثناء حديثه عن التركيب فى هيئات السكون فيقول: "ومن لطيف هذا الجنس قوله فى صفة العصاوب:

كأنه عاشق قد مد صفحته ∴ يوم الوداع الى توديع مرتحل

أو قائم من فقد من فيه لوعته ∴ مواصل التمطية من الكلل

ولم يلطف الا لكثرة ما فيه من التفصيل ولو قال كأنه متمط من نعاس واقتصر عليه كان قريبا من المتناول لأن الشبه الى هذا القدر يقع فى نفس الرائى العصوب لكونه من حد الحطة فأما بهذا القيد وعلى هذا التقييد الذى يفيد به استدامة تلك الهيئة فلا يحضر الا مع سفر من الخاطر". (٢)

فعبد القاهر يبحث عن القيود وأثرها فى تحقيق الصورة أو كمال التركيب فيها من خلال الهيئة التى يقصد المتكلم رسمها لهيئة سكون الاعضاء وموقع كل عضو من قصده وليس بمعزل عن التركيب وقد اعترف المتأخرون بتركيب الصورة سواء فى الوجه او الطرفين ولم يقولوا ان ذلك من التشبيه المقيد بالرغم من أن عبد القاهر استعمل مصطلح القيد والتقييد فهذا عبد الحكيم يصرح "قوله و من لطائف ذلك الخ. "فى ما وقع التركيب فى هيئة السكون فان المقصود تشبيه هيئة المصلوب المركبة من سكون كل عضو

---

(١) اسرار البلاغة صـ ١٤١ وما بعدها

(٢) الاسرار صـ ١٥١

منه فى موقعه بهيئة القائم من التماس المتمطى المركبة من سكون كل عضو منه فى موقعه والتعرض للتماس مرة للوثة والكسل لتفصيل تلك الهيئة وبيان سببها " (١)

فهذا حديث صريح فى تركيب المشبه والمشبه به والوجه من هيئات ثلاث وصريح أيضا فى أن بعض القيود جاء لزيادة التفصيل والدقة فى الهيئات وبيان سببها بما يكشف أن عبد القاهر يرى أن المقيد والمركب مترادفان وأن القيود ليست الا شروطا تحقق التركيب • وقد فهم الرازى من كلام عبد القاهر ما فهمناه فكان استعماله المقيد على انه مرادف للمركب كما سبق أن رأينا ذلك فى حديثنا عن الرازى فلما جاء الخطيب كان أول من فصل المقيد عن المركب والحق التقييد بالافراد ووضع كثيرا من الأمثلة التى ذكرها عبد القاهر شواهد للتشبيه المركب فى دائرة التشبيه المقيد ففتح بذلك بابا واسعا للاجتهادات فى التفريق بين التركيب والتقييد والاختلاف فى وجهات النظر حول المثال الواحد هل هو من المركب أو من المقيد حتى أصبح كل شاهد من الشواهد التى مثلوا بها المقيد محتملا للقول بتركيبه بل ربما يعد الواحد منهم المثال مركبا فى موضع ويذكره على أنه مقيد فى موضع آخر •

وهذا الفهم المتقيد بأنه تقيد المشبه او المشبه به بوصف أو اضافة أو حال أو مجرور أو ظرف او غير ذلك مما له تعلق بوجه الشبه لا يمنع من دخول التركيب فيه فليس ثمة مركب واحد الا وفيه بعض هذه القيود وقد استوفى عبد القاهر هذه القيود جميعها فى حديثه عن التركيب التى أخذ الخطيب أمثلتها • مع بيان عبد القاهر لها وأدخلها فى التشبيه المقيد وفى سبيل المثال قولهم هو وهو كالقابض على الماء) جاء به عبد القاهر كنموذج للوجه المركب المنتزع مما بين القبض والماء وقارن عليه التركيب فى قوله تعالى " مثل الذين حملوا التوراة " ثم قال " واذا ثبت هذا فكل شبه كان هذا سبيله فانك لا تجد بين المعنى المذكور وبين المشبه اذا افردته ملابسة البتة " (٢)

وبالرغم من أن الشيخ يقيس الآية على المثال ويجعل حكمها من حيث التركيب

---

(١) حاشية عبد الحكيم صـ ٧٦

(٢) الاسرار صـ ٧٦

واحدا الا أن الخطيب يفرق بينهما فيجعل المثال من المقيد والآية من المركب ويقول الخطيب بعد أن مثل للطرفين المفردين " واما مقيدان كقولهم لمن لا يحصل من سعيه على شيء هو كالقابض على الماء وكالراقم في الماء فان المشبه هو الساعي لا مطلقا بل مقيدا يكون سعيه كذلك والمشبه به هو القابض والراقم لا مطلقا بل مقيدا يكون قبضه على الماء أو رقمة فيه " (١)

ومع أن فصل التقييد عن التركيب لهو وراءه نتيجة أو نكتة بلاغية فاني اعتقد أن الخطيب انساق اليه بدافعين :

احدهما محاولة تصحيح الاقسام في كلام السكاكي الذي حكم على بعض المشبهات بافراد طرفيها وعلى البعض الاخر بتركيب الطرفين فكان مما حكم عليه بافراد الطرفين بعض الأمثلة التي يظهر التركيب بوضوح في أحد طرفيها او كليهما مثل تشبيه الشاة الجهلى بحطار ابتر مشتوق الشفة نابت على رأسه شجرتا غضا وقد حكم عليه السكاكي بأنه من تشبيه المفرد بالمفرد فلما لم يستقم ذلك للخطيب وأصحاب الشروح ذهبوا الى القول بالتقييد وجعلوه من المفرد تمهيدا لان يقولوا ان هذه الامثلة التي يظهر فيها التركيب في بعض اطرافها هي من المفرد المقيد وبذلك يصح كلام السكاكي وقد أشار الى ذلك عبد الحكيم حين قال " والشمس كالمرآة في كف الاشل فان المشبه فيه مفرد وغير مقيد فلابد أن يكون المشبه به مفردا مقيدا عند السكاكي رحمة الله تعالى لعدم قوله بتشبيه المفرد بالمركب " (٢)

هكذا لان السكاكي لا يقول بتشبيه المفرد بالمركب فلابد أن يقول بالتقييد بالرغم من أن هذا المصطلح لم يرد على لسان السكاكي . والى ذلك ذهب العصام أيضا وان كان قد احتاط في تعبيره " ولولا اشتباه المقيد بالمركب لما كان الاشتباه بين البابين بتلك المثابة وكفى شاهدا في شدة الالتباس وقوع الاختلاف بين المصنف والمفتاح حيث جعل المفتاح تشبيه الشاة الجبلى من تشبيه المفرد بالمفرد والمصنف جعله من تشبيه المفرد بالمركب وانه لم يثبت المفتاح تشبيه المفرد بالمركب وبالعكس

---

(١) الايضاح شروح ٣/ ٤١٨

(٢) حاشية عبد الحكيم صـ ١٠١

مع كثرة امثلتهما فكأنه جعل المركب فى الصورتين مقيدا " (١)
ثانيهما أن هناك نصا فى كتاب اسرار البلاغة ربما أوعز الى الخطيب بهذا الفصل بين المقيد والمركب بدليل أن الخطيب نقل هذا المثال وتعليق عبد الظاهر عليه وجعله من المفرد المقيد وهذا النص هو قول عبد القاهر " واعلم أنه قد يجىء فى هذا الباب شىء له حد آخر وهو نحو قوله :

انى وتزيينى بمدحى معشرا ... كمعلق درا على خنزير

هو على الجملة جمع بين شيئين فى حد تشبيه الا أن التشبيه فى الحقيقة لاحدهما الا ترى أن المعنى على أن فعله فى التزيين بالمدح كفعل الآخر فى محاولته تزيين الخنزير بتعليق الدر عليه ووجه الجمع أن كل واحد منهما يضع الزينة حيثما يظهر لها أثر لأن الشىء غير قابل للتحسين ومتى كان المشبه به كمعلق فى البيت فلا شك أن التشبيه لا يرجع الى ذات الشىء بل الى المعنى المشتق منه الصفة واذا رجع اليه رجع اليه مقرونا بصفته على نحو ما مضى فى نحو مازال يفتل فى الذروة والغارب فقد شبه تزيينه بالمدح من ليس من أهله بتعليق الدر على الخنزير هكذا بجملته لا بالتعليق غير معدى الى الدر والخنزير فالشبه مأخوذ من مجموع الصدر وما انتهى صاحبه " (٢)

ووجه الابهام فى هذا النص هو قوله ـ بعد بسط الحديث عن التشبيه المركب وما يمكن افراده منه وما لا يمكن ذلك فيه ـ قد يجىء فى هذا الباب شىء له حد آخر ثم ذكر المثال ، مما يوهم بأنه يتميز عن المركب وقوله " هو على الجملة جمع بين تشبيهين فى حد تشبيه الا أن التشبيه فى الحقيقة لاحدهما " لا يترك مجالا لجعله من المتعدد لأن التشبيه فى الحقيقة لاحدهما ثم انه لا يمكن القول بأنه من المفردات المطلقة لقوله " أن التشبيه لا يرجع الى ذات الشىء بل الى المعنى المشتق منه الصفة ، واذا رجع اليه رجع اليه مقرونا بصفته " فليس بعد ذلك مجال لغير القول بالتقييد.

---

(١) الاطول صـ ٩٧
(٢) الاسرار ١٦٠ ـ ١٦٢

ولعل هذا هو الذى جعل الخطيب ينقل هذا المثال فى الايضاح بتعليق الشيخ عليه ثم يدخله فى المفرد المقيد يقول الخطيب " ومما طرفاه مقيد ان يقول الشاعر

وانى وتزيينى بمدحى معشرا ... كمعلق درا على خنزير

فان المشبه فيه هو المتكلم بقيد اتصافه بتزيينه بمدحه معشرا فمتعلق التزيين ا عنى قوله بمدحى دخل فى المشبه • والمشبه به من يعلق درا بقيد أن يكون تعليقه اياه على خنزير فالشبه مأخوذ من مجموع المصدر وما فى صلته وهو أن كل واحد منهما يضع الزينة حيث لا يظهر لها أثر لأن الشىء غير قابل للتزيين فالواو فى قوله وتزيينى بمعنى مع اذ لا يمكن أن يقال تقديره انى كمعلق درا على خنزير وان تزيينى بمدحى معشرا كتعليق درر على خنزير لانه لا يتصور أن يشبه المتكلم نفسه من حيث هوهو بمعلق درا على خنزير بل لابد أن يكون يشبه نفسه باعتبار تزيينه بمدحه معشرا " (١)

واذا صح ما افترضناه من أن الخطيب أخذ فكرة استقلال التقييد عن التركيب من هذا النص فهل هذا هو ما قصد اليه عبد القاهر بالفعل ام أن ذلك بعيد عن مراد الشيخ ؟ والاجابة على ذلك تستوفى بقية النص حتى لا نصدر حكما على كلام مبتور يقول عبد القاهر فى معرض تعليقه على البيت السابق " ولا بد للواو فى هذا النحو أن تكون بمعنى مع وأمرها فيه أبين اذ لا يمكن أن يقال انى كذا وان تزيينى كذا لأنه ليس معنا شيئان يكون احدهما خبرا عن ضمير المتكلم فى " انى " الذى هو المعطوف عليه والآخر عن " تزيينى " المعطوف كما يكون فى نحو بيت بشار شيئان يمكن فى ظاهر اللفظ أن يجعل احدهما خبرا عن النفع والاخر عن الأسياف الى أن تجىء الى فساده من جهة المعنى فأنت فى نحو انى وتزيينى ملجأ الى جعل الواو بمعنى مع من كل وجه حتى لا تقدر على اخراج الكلام الى صورة تكون فيها الواو عارية من معنى مع ويكون تشبيهها بعد تشبيه • فان قلت ان فى معلق معنى الذات والصفة معا فيمكن أن يكون اراد أن يشبه نفسه بذات الفاعل وتزيينه بالفعل نفسه أقول لو أريد انى كمعلق درا على خنزير وان تزيينى بمدحى معشرا كتعليق درر على خنزير

---

(١) الايضاح ٣/٤١٩

كان قولا ظاهر السقوط لما ذكرت من أنه لا يتصور أن يشبه المتكلم نفسه من حيث هو زيد مثلا بمعلق الدر على الخنزير من حيث هو عمرو وانما يشبه الفعل بالفعل فاعرفه "(١)

هذا نص كلامه رحمه الله ذكرته كاملا حتى تتضح وجهة نظره التى لا يمكن فصلها عما سبقها من حديث التركيب والا كان من تضمينه الكلمات لتأييد استنتاجات لم يقصد اليها صاحبها ذلك أن هذا النص جاء فى سياق حديثه عن التركيب والفرق بينه وبين المتعدد الذى يكون كل تشبيه فيه مستقلا بذاته بحيث لو فصل عن جاره لما نقصت صورة التشبيه وذكر امثلة من المركبات يدلل بها على أنه اذا حاولت فض تركيبها وجعلها من التشبيهات المجتمعة على سبيل التعدد ذهبت بحسن التركيب وبعدت عن غرض المتكلم وكأن ينظر من خلال ذلك الى جانبين احدهما جانب التركيب اللفظى من خلال قواعد النحو والثانى من جانب المعنى الذى يحدد غرض المتكلم وذلك على طريقته المعهودة فى نظرية النظم التى تقوم على ابراز المعانى من خلال قواعد النحو .

ففى بيت بشار .. كأن مثار النقع .. المعنى يوجب صورة التركيب لان غرض الشاعر فى رسم هيئة المعركة لا يتحقق بافراد الصورة وتشبيه كل من النقع والسيوف بالليل والكواكب كل على حدة فاذا فعلت ذلك ابطلت غرض الشاعر وان لم يبطل التشبيه فان التشبيه بين الغبار والليل أو السيوف والكواكب قائم هذا ما يحتمه الغرض البلاغى للمتكلم ولذلك كان التركيب اللفظى متجاوبا مع الغرض فى اداء هذه الصورة حيث جاءت الواو بمعنى مع التى توجب صورة التركيب بخلاف واو العطف التى يتأتى معها استقلال كل تشبيه عن الاخر كما فى بيت امرئ القيس :

ثم جاء حديثه عن البيت الذى نحن بصدده ورأى أنه ليس على غرار بيت امرئ القيس مما جمع فيه بين تشبيهين على سبيل الاستقلال ولا هو من المركب الذى يمكن افراد التشبيه فيه حتى مع ضياع الحسن والغرض كبيت بشار بل هو نوع خاص من المركبات أدخل فى التركيب من بيت بشار وهذا هو الذى جعله يقول انه جاء على حد آخر غير بيت امرئ القيس وبيت بشار وما شابهه من المركبات والسبب فى ذلك انك اذا حاولت افراد التشبيه فى بيت بشار وابطال التركيب منه كنت قد ضيعت غرض الشاعر وأفسدت

(١) أسرار البلاغة صـ ١٦٢

عليه صورة يد يمنة اكسبت البيت حسنا وجمالا ولكنك فى الوقت نفسه لا تعدم شبها بين الخيار والليل والسيف والكواكب وان كان الشبه عاما هنا لا الا أن هنا لك شبها على أى حال ٠

اما اذا حاولت أن تخرج ذلك فى قوله انى وتزيينى بمدحى معشرا ٠٠

فانك ستجد فى مقابل المادح مطلق الدر وليس هناك بينهما شبه البتة لا من قريب ولا من بعيد مما يحتم أن تكون الواو هنا بمعنى مع ولا تحتمل العطف ابدا و يلتقى اللفظ والمعنى فى لزوم التركيب وأى محاولة هنا لفض التركيب وفرط عقد النظم لا تذهب بغرض الشاعر وحده وانما تذهب بالتشبيه من أصله ولذا صرح عبد القاهر بأنك اذا حاولت جعلت من المتعدد كان " قولا ظاهر السقوط لما ذكرت لك من أنه لا يتصور أن يشبه المتكلم نفسه من حيث هو زيد مثلا بمعلق الدر على الخنزير من حيث هو عمرو))

فكون هذا المثال على حد آخر لا يعنى به أنه ليس من المركب بل اراد أنه أدخل فى التركيب من غيره حتى لا يتأتى معه الافراد وابطال التركيب الا مع فساد الصورة وضياع التشبيه ٠

وكأنى بالخطيب ومن تابعه قد احسوا بالحرج فى التمييز بين المقيد والمركب فراحوا يدافعون عن وليدهم الجديد بعبارات لا تصلح للحجاج العلمى يقول الخطيب " والفرق بين المركب والمقيد احوج شىء الى التأمل فكثيرا ما يقع الالتباس " (١)

ويقول ابن يعقوب المغربى مقررا أن القيود قسمة مشتركة بين المقيد والمركب " لو كان التقييد النحوى يخرج عن التركيب لعدم التركيب او لقل فان قوله فيما تقدم ليلى تهاوى كواكبه هذا من المركب مع أن غاية ما فيه وصف الليل بتهاوى الكواكب ولكن اذا قيد الشىء بشىء من القيدات النحوية من مفعول او وصف أو ظرف او مجرور او غير ذلك فان كان المقصود بالذات فى قصد المتكلم هو المقيد والقيد معا كان من باب المقيد وان كان المقصود الهيئة الاجتماعية وتوصل اليها بتلك القيود ولا ترجيح لما يوجد من اجزاء الطرف بعضها على بعض كان من قبيل المركب " (٢)

---

(١) الايضاح شروح ٣/ ٤٢٢
(٢) مواهب الفتاح شروح ٣/ ٤٢٢

ومن هذا النص لابن يعقوب تحسر باهتزاز فكرة التقييد وعدم وضوح الفرق بين المقيد والمركب فالتقييد النحوى من وصف أوحال او اضافة او غير ذلك كما هو موجود فـــى المقيد موجود ايضا فى المركب وبذلك لا يكون هذا الحد ميزا المقيد عن المركـــب فاذا لم يستطع هذا التعريف النحوى للتقييد ان يفصل المركب عن المقيد فهل هنـــاك ميز آخر ؟ هنا يلجأ ابن يعقوب الى جدل المناطقة فى محاولة لايجاد فرق فيـــرى ان ذلك يحكمه قصد المتكلم فان كان مقصوده المقيد بالأصالة والقيد تبع كان ذلـــك من التشبيه المقيد وان كان قصده الى الاجزاء جميعها من غير ترجيح لجزء من آخـر كان ذلك من التشبيه المركب ، وحينئذ تبع القضية أمام الغوص فى بطن الشاعـــر وسؤاله عن مقصوده ولا ت حين جواب الا أن يتخيل كل ما شاء له خياله فى البحـــث عما يقصده المتكلم مع احتفاظ الكل بحقه فى أن هذا هو مراد الشاعر او الكاتـــب ويصرح الدسوقى بهذا ذلك فيقول " ان تميز كون هذا المشبه الذى فيها او المشبه به من قبيل المفرد المقيد أو من قبيل المركب يحتاج لتأمل لأن القيود معتبرة فى كل مـــن الأمرين ولا حاكم فى تمييز احدهما عن الاخر عند الالتباس سوى ذكاء الطبع وصفـــاء القريحة " (١)

ولعمرى ماذا كان يحدث لو جعلوا المقيد والمركب واحدا ما دام التداخـــل بينهما انى هذا الحد الذى عجز فيه الضوابط عن التمييز بينهما "

على أن السبكى يذهب الى ماهو ابعد من ذلك حيث يرى ان القيد اللفظى يمكـن أن يكون شركة بين المقيد و المركب والمتعدد ايضا وعليك أنت أن تميز ان كان هـــذا القيد جيء به لقصد التركيب او لبيان التعدد او لغرض التقييد يقول السبكـــى " واذا وجدت فى أحد الطرفين قيدا لفظيا فانظر الى المعنى فان وجدت القيـــد هو المقصود والقيد تبع له لم يؤثر فيه شيئا فهو مفرد مقيد وان وجدت تشبيههمـــا الى الهيئة الحاصلة فى الذهن على السواء فهو تشبيه مركب وان اردت تشبيه أشـــياء متفاصلة بأشياء متفاصلة فهو تشبيه متعدد بمتعدد واذا اتيت بالعطف وقلت زيـــد وثوبة كبكر وثوبة احتمل ذلك تشبيه زيد بعكر وثوب زيد بثوب بكر فيكون لفا ونشرا فهذان

---

(١) حاشية الدسوقى شروح ٣/ ٤٢٢

حينئذ تشبيهان متفاصلان متعددان وليس الكلام فيه واحتمل أن يريد زيد كعمرو في حال كون كل منهما مع ثوبه والثوبان شرطان في التشبيه أحدهما بالاخر فيكون تشبيه مفرد بمفرد واحتمل أن يريد تشبيه الهيئة الحاصلة من مجموع هذا فيكون تشبيه مركب بمركب " (١)

وبهذه المقاييس المضطربة التي ارتآها اصحاب هذا الاتجاه للدفاع عن ظاهرة بدت للخطيب وأبى هو ومن تابعه الا أن يلبسوها ثوب الرأى المسلم به والحجة المقطوع بصحتها بهذه المقاييس تضيع الضوابط بين المفرد والمقيد والمركب والمتعدد ويصبح من حق كل احد أن يجعل المركب متعددا والمتعدد مقيدا ويحتج لرأيه بأن هذا هو المراد والمقصود ولم نذهب بعيدا وهذا هو السبكي نفسه يأتي الى تشبيهات مركبة يكاد يجمع جمهور علماء البلاغة على تركيب الطرفين فيها فيجعلها من المفردات المقيدة (واذا تقرر ذلك فهيت يشار تشبيه مركب بمركب لان المقصود تشبيه الهيئة الحاصلة من احدهما بالهيئة الحاصلة من الاخر وان كان قوله تهاوى كواكبه قيدا في اللفظ ولم يدخل عليه حروف التشبيه ولكنه مقصود على أنه جزء لا شرط فلذلك جعلناه مركبا واما قوله : غدا والصبح تحت الليل بادٍ ، فيظهر أنه تشبيه مقيد بمقيد فان المقصود تشبيه الصبح بقيد كونه بهذه الصفة لا الهيئة الحاصلة وكذلك قوله كأنما المريخ والمشترى واما قوله وكأن اجرام النجوم لوامعها فيظهر فيه أنه مركب بمركب لان المقصود تشبيه الهيئة بالهيئة كما قال المصنف وان كان يحتمل أن يكون تشبيه مقيد بمقيد وانما يصح ذلك بناء على أن قوله " وكأن اجرام النجوم " فيه تركيب من قيد مقدر والمعنى اجرام النجوم في السماء ولقائل أن يقول جعلت في الكلام قيدا مطويا وهو كون النجوم في سماء زرقاء وهي حالة دائمة كدوام الارتعاش لحركة الشمس وجعلت قوله " والشمس كالمرآة في كف الأشل تشبيه مفرد غير مقيد بمفرد مقيد ولم تعتبر الارتعاش الدائم للشمس لكونها لا يختلف حالها فاجعل زرقة السماء قيدا دائما للنجوم ويكون تشبيه مفرد غير مقيد بمفرد مقيد " (٢)

---

(١) عروس الافراح شروح ٣/٤٢٣

(٢) عروس الافراح ٣ / ٤٢٤

فها هو ذا يجعل قول الشاعر : غدا والصبح ٠٠ من تشبيه المقيد بالمقيد مع أن الشيخ عبد القاهر قطع بأنه من تشبيه المركب بالمركب وتابعه على ذلك الخطيب وجمهور المتأخرين يقول الامام عبد القاهر " قصد الشبه الحاصل لك اذا نظرت الى الصبح والليل جميعا وتأملت حالهما معا وأراد أن يأتي بنظير للهيئة المشاهدة من مقارنة احدهما الآخر ولم يرد أن يشبه الصبح على الانفراد و" الليل على الانفراد(١) كما يجعل قول الشاعر كأنما المريخ ٠٠٠ من تشبيه المقيد بالمقيد مخالفا الشيخ والخطيب والجمهور وهذا كلام عبد القاهر في هذا الشاهد " لو قلت كأن المريخ متصرف بالليل عن دعوة وتركت حديث المشترى والشمعة كان خلفا من القول وذاك أن التشبيه لم يكن للمريخ من حيث هو نفسه ولكن من حيث الحالة الحاصلة له من كون المشترى امامه وأنت وان كنت تقول المشترى شمعة على التشبيه العامي الساذج في قولهم كأن النجوم مصابيح وشموع فانه لم يصح التشبيه على هذا وانما قصد الهيئة التي يكسبها المريخ من كون المشترى امامه " (٢) فالشبه كما يقضي به كلام عبد القاهر ويشهد له الذوق السليم هيئة حاصلة من المريخ والمشترى أمامه كما أن المشبه به كذلك ولكن السبكي يأبى الا أن يدلل على فساد هذا المذهب باقحام التقييد على تقسيمات التركيب والافراد ٠

وأعجب من ذلك كله في تدويخ الضوابط أن يزعم السبكي في قوله " وكأن النجوم أن البيت يحتمل أن يكون من تشبيه المفرد الغير مقيد بالمفرد المقيد وبذلك يكون المشبه في البيت محتملا للافراد والتقييد والتركيب ٠

ولم أطل مناقشة السبكي قصدا اليها ولكنني اردت التدليل على أن هذه المدرسة في سهيل الانتصار لفكرة استقلال التقييد عن التركيب بمحت الضوابط وتركت الباب مفتوحا امام الفلسفات المشوهة عن روح البحث البلاغي وليس السبكي وحده يشنع ذلك فان أغرب من صنيعه أن نجد ابن يعقوب المغربي يحكم على مثال واحد مصورة بأنه مفرد ثم يحكم مرة اخرى بتركيبه فهو يسير مع الخطيب في جعل تشبيه الشمس

---

(١) أسرار البلاغة ١٣٧

(٢) الاسرار ص ١٥٩

بالمرآة في كف الاشل من تشبيه المفرد غير المقيد بالمفرد المقيد ثم يعود بعد صفحات فيقول " تشبيه الشمس بالمرآة في كف الأشل فان الاول مفرد والثاني غير مفرد والوجه هو الهيئة المنتزعة من عدة أوصاف كل منهما التي هي بمنزلة الاجزاء وقد تقدم بيان ذلك أيضا ومن تشبيه المرآة في كف الاشل بالشمس فان الاول غير مفرد والثاني مفرد " (١)

وربما يتوهم المتأمل أن الخطيب ليس صريحا في جعل المرآة في كف الأشل من المركب لأنه لم يصرح بذلك بل جعله من غير المفرد فلم لا يكون التقييد قسما آخر؟ والجواب على ذلك أن الخطيب أدخل المقيد في دائرة المفرد وتابعه على ذلك أصحاب الشروح وبناء عليه فان المفرد لا يقابله الا المركب باعتراف ابن يعقوب نفسه حيث صرح أن (التشبيه اما مفرد بمفرد بأقسامه واما مركب بمركب واما مفرد بمركب وأريد بالمفرد هنا ما يقابل المركب الشامل للمقيد لا ما يقابل المقيد لما تقدم أن الوصف أدخل المقيد في المفرد) (٢)

وا صرار هذه المدرسة على القول بالتقييد وفصله عن المركب أوقعها في مغالطات عجيبة فهذا الخطيب يجعل قولهم هو كالراقم على الماء من تشبيه المفرد المقيد بالمفرد المقيد " واما مقيد أن كقولهم لمن لا يحصل من سعيه على شيء هو كالقابض على الماء وكالراقم في الماء فان المشبه هو السعي لا مطلقا بل مقيدا بكون سعيه كذلك والمشبه به هو القابض او الراقم لا مطلقا بل مقيدا بكون قبضه على الماء أو رقمه فيه "

يقول هذا جائزا بالتقريد ثم يمثل بعد ذلك بنفس المثال في الاستعارة التمثيلية بعد تحويل هذا التشبيه الى الاستعارة فيصبح هذا المفرد المقيد مركبا . هكذا ولم يحدث سوى حذف أداة التشبيه وتصيره الى حد الاستعارة حيث مثل الخطيب للاستعارة التمثيلية بقوله أنت تخط على الماء ومعلوم أن مذهبه في الاستعارة التمثيلية كما سيجيء هو أن طرفيها مركبان فكيف يكون المثال الواحد مرة مفردا مقيدا حين يكون تشبيها واخرى مركبا حين يصير الى الاستعارة واخيرا ماذا يحدث لو اسقطنا

---

(١) مواهب الفتاح ٤٢٣/٣

(٢) مواهب الفتاح ٤٢١/٣

القول بالتقييد على أنه شيء اخر غير المركب واعتبرنا المقيد مركبا كما هو الشـــــأن عند عبد القاهـــــر ؟ هل يترتب على ذلك مساس بجوهر التشبيهات المقيـــدة ؟ لا أعتقد ذلك بل لعله من الخير تصحيحا للاقسام وضبطا لها خاصة وأنهم اجمعـــوا على أن الفرق بين المقيد والمركب معنوي مرجعه الذوق • ولما كانت الاذواق لا تنضبط فليس ثمة ما يمنع احدا من الحكم بتركيب مثال حكم اخر بتقييده وقد رأينا كيـــف حدث ذلك في الأمثلة التي ساقوها شواهد التركيب والتقييد ـ ثم هذا الفـــارق الذي حدده السبكي في قوله " والفرق بين المفرد المقيد والمركب أن المركـــب كل واحد من اجزائه جزءا لطرف والمفرد المقيد يكون الطرف فيه ذلك المقيـــد والقيد شرطا لا جزءا " (١)

هذا الفرق على فرض التسليم به لا يمنع من ادخال المقيد في المركب حيـــث أن القيد موضوع في الاعتبار ـ ومشروط في وجه الشبه ومنه تكونت الهيئة في الوجـــه فلا يضر كثيرا أن يكون جزءا لطرف أو شرطا له •

وبذلك يتقرر لدينا أن الخطيب لم يضف شيئا ذا بال الى ما قاله عبد القاهر حـــين قال باستقلال التقييد عن التركيب والخلاف بعد ذلك لفظي محصور في المصطلحـــات فقط •

---

(١) عروس الافراح ٣ / ٤١٨

الفصـــــل الثانـــــى

الافـــــراد والتركيب فى التمثيـــــل

عبد القاهـــــــــر

الفرق بين التشبيه والتمثيـــــــل

عقد الامام عبد القاهر فصولا مطولة فى كتابه " اسرار البلاغة " تحدث فيهـــــا عن الفرق بين التشبيه والتمثيل وما يتصل بذلك من الافراد والتركيب والتعـــــــدد ، ووضح رأيه فى ذلك توضيحا كاملا .

وقد بدأ حديثه عن الفرق بين التشبيه والتمثيل بقوله " اعلم ان الشـــــيئين اذا شبه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين احدهما أن يكون من جهة امر بيـــن لا يحتاج فيه الى تأول ، والآخر أن يكون الشبه محصلا بضرب من التأول " (١)

و قد مثل للضرب الاول بنماذج من التشبيهات التى يكون طرفاها حسيين أو ما كان ملحقا بالحسى من الغرائز والطباع " لأن الشبه فى هذا كله لا يجرى فيه التـــأول ولا يفتقر اليه فى تحصيله " (٢)

وقد مثل للضرب الثانى بقولك عنده حجة كالشمس " وقد شبهت الحجة بالشـــمس من جهة ظهورها كما شبهت فيما مضى الشئ بالشئ من جهة ما أردت من لـــون أو صورة أو غيرهما الا أنك تعلم أن هذا التشبيه لا يتم لك الا بتأول " (٣)

وبذلك ينحصر الفرق بين التشبيه والتمثيل فى حاجة الثانى الى التأول . ويعنـــى عبد القاهر بالتأول : اعمال الذهن فى البحث عن الشبه الحقيقى بين الطرفـــــين كما صرح بذلك فى قوله : (حقيقة قولنا تأولت الشئ أنك تطلب ما يؤول اليه مـــن الحقيقة أو الموضع الذى يؤول اليه من العقل " (٤)

فشمل التشبيه كل ما كان طرفاه حسيين و جرى مجرى الحسى من الغرائز والطبـــاع

---

(١) اسرار البلاغة صـ ٦٥
(٢) السابـــــق صـ ٦٦
(٣) السابـــــق صـ ٦٦
(٤) اسرار البلاغـة صـ ٧٢

لأن الشبه بينهما موجود بحقيقته فى الطرفين وليس فى حاجة الى اعمال العقل فى ادراكه .

اما ما كان احد الطرفين فيه عقليا او هما معا مما يتطلب وجه الشبه فيه البحث عن مآله من الحقيقة أو موضعه من العقل فهو التشبيه التمثيلى وقد مثل له عبد القاهر بنماذج أحد طرفيها حسى والآخر عقلى مما يترتب عليه أن يكون الوجه عقليا اعتباريا ، كتشبيه الألفاظ بالعمل . والحجة بالشمس . والشبه فيهما عقلى بينما المشبه به حسى

ثم مثل لما طرفاه عقلا بأن يقوله تعالى " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا " وقوله " مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض ".

ومثل للعقلى الوهمى بقول الشاعر :

وكأن النجوم بين دجاها ... سنن لاح بينهن ابتداع

" وذلك ان تشبيه السنن بالنجوم تمثيل والشبه عقلى وكذلك تشبيه خلافها من البدعة والضلالة بالظلمة ثم انه عكس فشبه النجوم بالسنن ...

واذا كان الأمر كذلك علمت أن طريقة العكس لا تجىء فى التمثيل على حدها فى التشبيه الصريح وأنها اذا سلكت فيه كان مبنيا على ضرب من التأول والتخيل "(١)

وقد حاول عبد القاهر اكثر من مرة التأكيد على أن التمثيل لا يكون الا فيما يدرك بالعقل " واذا ثبتت هذه الفروق والمقابلات بين التشبيه الصريح الواقع فى العيان وما يدركه الحس وبين التمثيل الذى هو تشبيه من طريق العقل والمقاييس التى تجمع بين الشبهين فى حكم تقتضيه الصفة المحسوسة لا فى نفس الصفة ... "(٢)

وحكم التمثيل على حد الاستعارة فى ذلك حكم التشبيه التمثيلى " واذ قد تقرر هذه الجملة فاذا كان الشبه بين المستعار منه والمستعار له من المحسوس والغرائز

---

(١) راجع اسرار البلاغة صـ ١٨٣ ـ ١٨٤

(٢) الاسرار صـ ١٩١

والطباع وما يجرى مجراها من الأوصاف المعروفة كان حقها أن يقال أنها تتضمن التشبيه ولا يقال أن فيها تمثيلا وضرب مثل واذا كان الشبه عقليا جاز اطلاق التمثيل فيها " (١)

الافراد والتركيب فى التمثيل :-

يقسم عبد القاهر التمثيل الى مفرد ومركب ومتعدد فى فصل يمهد له ذلك الغرض يبدؤه بقوله " ثم ان هذا الشبه العقلى ربما انتزع من شئ واحد كما مضى من انتزاع الشبه للفظ من حلاوة العسل وربما انتزع من عدة أمور يجمع بعضها الى بعض ثم يستخرج من مجموعها الشبه فيكون سبيله سبيل الشيئين يجمع بينهما وتحفظ صورتهما ومثال ذلك قوله عز وجل " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا " . ثم يمضى الى الحديث عن التعدد فيقول " ومثال ما يجئ فيه التشبيه معقودا على أمرين الا أنهما لا يتشابكان هذا التشابك قولهم هو يصفر ويكدر . ويمر ويحلو . ويشج ويأسو ويسئ ويلئم لانك وان كنت أردت أن تجمع له الصفتين فليست احداهما متزجة بالأخرى " (٢)

وبذلك يكون مدار الفرق بين التعدد والتركيب هو امتزاج أجزاء المركب بحيث تصبح خطوطا فى صورة واحدة بينما تستقل هذه الأجزاء فى المتعدد بحيث يحتفظ كل جزء بصورته المستقلة على حدة .

ومن هنا يتبين أن العنوان الذى وضعه لهذا الفصل المرحوم رشيد رضا وهو " التشبيه المعقود على أمرين وليس بتمثيل " ليس دقيقا لأن مذهب الامام فى التمثيل كما سبق ذكره أن يكون وجه الشبه عقليا سواء كان مفردا أو مركبا أو متعددا وبناء على ذلك فان تشبيه الرجل فى حالة غضبه بالماء فى كدرته وفى حالة الهدوء بالماء فى الصفاء هو من قبيل التمثيل لأن وجه الشبه متأول وليس متحققا فى ذات الطرفين

---

(١) الاسرار ص ١٩٤

(٢) أسرار البلاغة ص ٧٥

شأنه فى ذلك شأن قولهم الفاطة كالمسل فى الحلاوة وانما مثل عبد القاهر بقولهم هو يصفو ويكدر للتمثيل المتعدد وهو سبيل تحديد الفرق بينه وبين المركب لانك كما قال عبد القاهر : وان كنت جمعت له الصفتين فلهمت احداهما ممتزجة بالأخرى لانك لو قلت هو يصفو ولم تتعرض لذكر الكدر أو قلت يحلو ولم يسبق ذكر مر وجدت المعنى فى تشبيهك له بالماء فى الصفاء وبالمسل فى الحلاوة بحاله وعلى حقيقته وليس الأمر كذلك فى الآية " (١)

واعمل الامام أحسن محاجته الى بسط الكلام بصورة أوسع واشمل فعقد بعد هذا الفصل الذى كان مقصورا على الافراد والتركيب والتعدد فى التمثيل عقد فصلا آخر وضح فيه الافراد والتركيب والتعدد فى التشبيه بوجه عام سواء كان تمثيلا أو غير تمثيل أو استعارة باعتبار أن التشبيه هو منشأها وقد عنون المرحوم رشيد رضا لهذا الفصل " فروق بين التشبيه والتمثيل " وهو ليس دقيقا ايضا لان حديث الشيخ هنا كان متوجها الى الفروق بين الافراد والتعدد والتركيب وقد بدأ هذا الفصل بقوله " اعلم أن التشبيه اذا انتزع من الوصف لم يخل من وجهين أحدهما أن يكون لأمر يرجع الى نفسه والآخر أن يكون لأمر لا يرجع الى نفسه فالأول ما مر فى نحو تشبيه الكلام بالعسل فى الحلاوة وذلك أن وجه التشبيه هناك أن كل واحد يوجب فى النفس لذة وحالة محمودة ويصادف منها قبولا وهذا حكم واجب للحلاوة من حيث هى حلاوة او للعسل من حيث هو عسل وأما الثانى وهو ما ينتزع من التشبيه لأمر لا يرجع الى نفسه فمثاله أن يتعدى الفعل الى شىء مخصوص يكون له من أجله حكم خاص نحو كونه واقعا فى موقعه وعلى الصواب او واقعا فى غير موقعه كقولهم هو كالقابض على الماء والراقم فى الماء فالشبه هاهنا منتزع مما بين القبض والماء وليس منتزعا من القبض نفسه وذلك أن فائدة القبض من اليد على الشىء أن يحصل فيها فاذا كان الشىء مما يتعاسك فعلك القبض فى اليد لغو وكذلك القصد فى الرمى أن يبقى أثر فى الشىء واذا تعلق به فيما لا يقبله كان فعلك كلا فعل وكذلك قولهم " يضرب فى حديد بارد وينفخ فى غير فحم

---

(١) اسرار البلاغة صـ ٧٥

واذا ثبت هذا فكل شيء كان هذا سبيله فانك لا تجد بين المعنى المذكور وبين المشبه اذا افردته ملابسة البتة " (١)

ويبدو من هذا النص انه يفرق بين الافراد في قولهم كلام كالعسل في الحلاوة والتركيب في قولهم هو كالقابض على الماء لان وجه الشبه منتزع من عدة أمور لم تؤخذ من القبض وحده بل أخذت من القابض والقبض والمقبوض الماء كما أن المشبه هو الماشي الذي لا يحصل من مشيه على طائل فهو أيضا ليس امرا واحدا ويتأكد ذلك من قوله " فانك لا تجد بين المعنى المذكور وبين المشبه اذا أفردته ملابسة البتة " .

وقد ذهب فضيلة المرحوم الشيخ عبد الهادي العدل الى غير ذلك حيث قال (أما الفصل الثاني فالظاهر أن الشيخ يريد أن يبين نوعا خاصا من التمثيل هو ما كان المشبه به فيه وصفا واراد به الفعل والحدث ، سواء عبر عنه بفعل اصطلاحي ام باسم فاعل ام بمصدر أم بغيرهما فان هذا الوصف المشبه به اذا أخذ منه الشبه كان على ضربين ،
احدهما أن يكون انتزاع الشبه لأمر لا يرجع الى الوصف نفسه لانه يستفاد منه وحده من غير انضمام امر اخر اليه ومن أمثلته قولك عتاب كالضرب في الايلام ... ولعل تمثيل الشيخ لهذا الضرب بقوله " كلام كالعسل في الحلاوة سهو أو سبق قلم وكان ينبغي أن يمثل بنحوما ذكرنا ليلتئم مع الضرب الثاني وليكونا قسمين لامر واحد ... ثاني الضربين أن يكون انتزاع الشبه من الوصف المشبه به لامر لا يرجع الى الوصف نفسه لأنه لا يستفاد من الوصف وحده بل يستفاد منه منضما الى غيره مما اتصل به من متعلقاته " (٢)

والذي افهمه أن الشيخ في هذا الفصل لا يفرق بين نوعين من التمثيل وانما يفرق بين الافراد والتركيب والتعدد في التشبيه والتمثيل مما واذا كان قد مثل

---

(١) الاسرار ص ٧٦
(٢) دراسات تفصيلية شاملة صـ ٤٧

للمفرد والمركب بما هو تمثيل فقد مثل للمتعدد بما هو تشبيه صريح فهو يقول فى هـذا الفصل مبينا الفرق بين التركيب والتعدد " ولا ينبغى أن تعد الجمل فى هذا النحـو بعدد التشبيهات التى يضم بعضها الى بعض والاغراض الكثيرة التى كل واحد منهـا منفرد بنفسه بل يعد جمل تنسق ثانية منها على أولة وثالثة على ثانية وهكذا فـان ما كان هذا الجنس لم تترتب فيه الجمل ترتيبا مخصوصا حتى يجب أن تكون هذه سابقة وتلك تالية لها والثالثة بعدها الا ترى أنك اذا قلت زيد كالأسد بأسا والبحر جـودا والسيف مضاء والبدر بهاء لم يجب عليك أن تحفظ فى هذه التشبيهات نظاما مخصوصا بل لو بدأت بالبدر وتشبيهه به فى الحسن وأخرت تشبيهه بالأسد فى الشجاعـة كان المعنى بحاله " (١)

وهذا دليل على أنه لا يخص التمثيل بالحديث وانما يعرض للفرق بين المفرد والمركب والمتعدد وبذلك يكون مثاله " الفاظ كالعسل فى الحلاوة " صحيحا وفى موضعـه لأنه مثال للمفرد فى مقابله " هو كالقابض على الماء " وهو من المركب .

وقد تعرض استاذنا الدكتور محمد ابو موسى لما ذكره المرحوم الاستاذ العدل فـي وضح وجهة نظره بقوله " والذى أفهمه من كلام عبد القاهر هذا أن وجه الشبه الحقيقى أى الذى تقع فيه الشركة بين الطرفين فى التشبيه التمثيلى له ثلاثة كما قرر عبد القاهر فقد يؤخذ من الوصف الظاهر أى من وجه الشبه الظاهر كالحلاوة فى هذا المثـال فانها وجه شبه ظاهر لان ميل النفس الذى هو الوجه الحقيقى حكم لها ومقتضـى وقد يؤخذ من التشبيه به مباشرة كانتزاع ميل النفس من العسل باعتبار وصفه للحلاوة (٢)

وما فهمته من كلام عبد القاهر هو أن يفرق بين نوعين من التشبيه احدهما مفرد ينتزع فيه الشبه من الوصف وحده ومثاله كلام كالعسل فى الحلاوة وثانيهما مركب لا ينتزع فيـه الشبه من الوصف وحده وانما ينتزع مما بينه وبين ما تعلق به وقد مثل له بنما ذج متعددة كلها من المركب مثل قولهم هو كالقابض على الماء وقوله عز وجل مثل الذين حملـوا التوراة .. الآية .

(١) الاسرار ص ٧٩ ـ ٨٠
(٢) الاسرار ص ٧٩

ويؤكد ما ذهبت اليه من أن الشيخ يفرق بين المفرد والمركب قوله في هذا الفصل " فاذا ثبت هذا ظهر منه أنه لا بد لك في هذا الضرب من الشبه " " يقصد الضرب الثاني الذي لا ينتزع فيه الشبه من الوصف نفسه " من جملة صريحة أو حكم الجملة فالجملة الصريحة قولك أخذ القوس باريها وحكم الجملة أن تقول هذا منك كالرقم في الماء "(١) فهو يشترط أن يكون النوع الثاني مأخوذا من جملة او ما في حكمها ليكون في مقابلة الضرب الاول وهو المفرد .

ويتقدر من هذا العرض لكلام عبد القاهر في التمثيل انه لا يشترط التركيب فيه وان كان يرى أن التمثيل المركب اكثر دقة واحوج الى التأمل والفطنة حتى أن التشبيه كلما كان ارغل في كونه عقليا محضا كانت الحاجة الى الجملة اكثر "(٢) .

والقول بأن عبد القاهر يشترط التركيب في التمثيل مخالف لما ذكرناه من النصوص ولعل ما اوقع بعض الباحثين في هذا اللبس عبارة ذكرها عبد القاهر هي قوله " وعلى الجملة فينبغي أن تعلم أن المثل الحقيقي والتشبيه الذي هو الاولى بأن يسمى تمثيلا لبعده عن التشبيه الظاهر الصريح ما نجده لا يحصل لك الا من جملة من الكلام او جملتين أو اكثر " (٣)

فذهبوا الى القول بتركيب التمثيل عند الاطم ومن هؤلاء الدكتور شوقي ضيف حيث يقول " وضيق ــ عبد القاهر ــ شقة التمثيل فجعله قاصرا على التشبيهات المركبة التي يكون فيها وجه الشبه عقليا ومنتزعا من مجموع امور يقرن بعضها الى بعض في طرفي التشبيه " (٤)

والى مثل ذلك ايضا ذهب الدكتور حفني شرف (٥) وهذا مردود بما ذكرناه وقد سبق لبعض الباحثين أن اكدوا عدم صحة هذا الفهم يقول استاذنا الدكتور محمد ابو موسى " ويتحصل من هذا أن عبد القاهر يطلق المثل والتمثيل على التشبيه المؤول، وما ينبني عليه من الاستعارة سواء كانت مفردة أو مركبة . (٦)

---

(١) الاسرار ص ٧٨ ــ ٧٩
(٢) الاسرار ص ٧٩
(٣) الاسرار ص ٧٩
(٤) البلاغة تطور وتاريخ ص ١٩٦
(٥) الصورة البيانية بين النظرية والتطبيق ص ١٨١
(٦) البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري ص ١١٦

ثانيا : رأى الـــــرازى :ـ

كان الرازى أول من اشترط التركيب فى التمثيل حيث ان عبد القاهر جعـــــل مدار الفرق بين التشبيه والتمثيل هو الحاجة الى التأول فى الأخير دون أن يشـــترط كونه مركبا فلما جاء الرازى ووجد عبد القاهر يرفعهن شأن التمثيلات المركبة ويطيـــل الوقوف أمام شواهدها حسب أن عبد القاهر يشترط التركيب فيه خاصة أن الامـــام صرح بما يوهم ذلك فى قوله " فينبغى أن تعلم أن المثل الحقيقى والتشبيه الـــذى هو الاولى بأن يسمى تمثيلا لوحده عن التشبيه الظاهر الصريح ما تجده لا يحصـــل الله الا من جملة من الكلام او جملتين أو اكثر ".

يقول الرازى فى كتابه نهاية الايجاز " وقد خصوا التمثيل المنتزع من اجتمـــاع امور بتقييد البعض باسم التمثيل فقد يكون ذلك على حد الاستعارة كقولهم لمن يتردد فى الأمر أراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى وقد يكون لا على حد الاستعـــارة كما اوردناه من قوله تعالى " مثل الذين حملوا التوراة "(١)

فمن النص يتبين أن الرازى لا ينسب هذا القول بالتركيب فى التمثيل الى نفســه بل ينسبه الى غيره ولما كان عبد القاهر وحده هو الذى صرح بالفرق بين التشـــبيه والتمثيل ممن سبقوا الرازى وكانت أمثلته هى نفس الامثلة التى ذكرها عبد القاهـــر للتمثيل فقد دل على أنه فهم اشتراط التركيب منه وفى اعتداد عبد القاهر بالتمثيـــل المركب اعذار للرازى فى هذا الفهم ثم ان الرازى لم يصرح باشتراط أن يكون الشـــبه عقليا فى التمثيل فهل يعنى هذا أن كل مركب من التشبيه حسيا أو عقليا تمثيل ؟

والذى أراه أنه يخص التمثيل بما وجه الشبه فيه عقلى تمشيا مع روح الامام ونصوصـه فى اسرار البلاغة بدليل أن الأمثلة التى ذكرها الرازى كلها من التمثيلات التـــى وجه الشبه فيها عقلى محض سواء ما جاء منها على حد التشبيه أو على حد الاستعارة

---

(١) نهاية الايجاز ص ٦٩

وبذلك ينفرد الرازى بفهم خاص للتمثيل يختلف عن رأى الامام كما يختلف عن آراء المعاصرين له والمتأخرين عنه فيكون التشبيه التمثيلى عنده ما كان وجه الشبه فيه عقليا منتزعا من عدة أمور وذلك رأى خاص لا يجب تناسيه ولا ادرى لماذا درج مؤرخو البلاغة العربية على حصر الآراء فى التمثيل فى ثلاثة مذاهب رأى عبد القاهر ورأى السكاكى ورأى الخطيب والجمهور مع أن الرازى اذا صح فهمنا له فى اشتراط العقلية مع التركيب فانه ينفرد عن هذه المذاهب الثلاثة واذا لم يصح اشتراط العقلية عنده فانه يكون صاحب القول بتركيب التمثيل دون أن يكون متوقفا على عقلية الوجه وهو مذهب الخطيب فيصبح الرازى أحق بأن ينسب اليه هذا المذهب وليس ادل على هذا الاهمال لرأى الرازى من أن ينسب اول قول بتركيب التمثيل الى السكاكى مع وضوح ما قاله الفخر فى اشتراط التركيب يقول استاذنا الدكتور يوسف الهمومى " ان الشيخ هو الذى أوحى الى السكاكى برأيه فى التشبيه التمثيلى واشتراط التركيب فيه "(١)

كما ان الرازى كان أول من ميز بين مصطلحى المثل والتمثيل بعد أن ظلا يترددان فى كتب السابقين دون أن يتميز احدهما عن الآخر تميزا واضحا . وعبد القاهر نفسه يستعملهما بمعنى واحد كما هو ظاهر من قوله فينبغى أن تعلم أن المثل الحقيقى والتشبيه الذى هو أولى أن يسمى تمثيلا "

فقد عقد الرازى فصلا فى المثل عرفه بقوله " المثل تشبيه سائر وتفسير السائر أنه يكثر استعماله على معنى أن الثانى بمنزلة الاول والأمثال لا تغير لان ذكرها على تقدير أن يقال فى الواقعة المعينة أنها بمنزلة من قيل له هذا القول فالأمثال كلها حكايات لا تغير "(٢)

وهذا التعريف للمثل ليس جديدا فقد سبق المبرد الى ذلك كما اشرنا اليه ولكن الجديد هو التمييز بين مصطلحى المثل والتمثيل بعد أن ظلا متداخلين طوال القرون السابقة .

---

(١) علم البيان صـ ٢٠ ط ١٩٧١

(٢) نهاية الايجاز صـ ٨١

رأى السكاكى :-

فاذا انتقلنا من الرازى الى السكاكى ضاقت معنا شقة التمثيل فلم يعد يشترط التركيب فى الوجه المنتزع من الطرفين فحسب بل اشترط أن يكون وجه الشبه وصفا غير متحقق حسا أو عقلا وبذلك ينفرد عن الامام عبد القاهر فى امرين يكونان قيدين فى التعريف اولهما أن ينتزع الوجه من عدة امور بينما لا يشترط عبد القاهر ذلك وثانيهما أنه يشترط الوجه عقليا غير حقيقى بينما يكتفى الامام بألا يكون الوجه متحققا حسا فيدخل فى التمثيل كل ما هو عقلى وينفرد عن الرازى بهذا الشرط أيضا .

يقول السكاكى " واعلم أن التشبيه متى كان وجهه وصفا غير حقيقى وكان منتزعا من عدة أمور خص باسم التمثيل " وتقييد الوصف بكونه غير حقيقى اخرج كل ما كان وجهه حقيقيا سواء كان حسيا او عقليا وينحصر بذلك فى العقلى الاعتبارى والوهمى لأن السكاكى يقسم العقلى الى ثلاثة أقسام حقيقى واعتبارى وتصورى وهمى يقول السمد فى شرحه للمفتاح " قوله والعقلى أيضا يعنى أن المطلق الوصف انحصر فى الحسى والعقلى ، كذلك للعقلى انحصار فى حقيقى وهو ما يكون كذلك بألا يكون تقرره بالنظر الى نفسه بل يكون معنى يعتبر للشىء بالنسبه الى الغير ككون الشىء مطلوب الوجود أو العدم عند النفس فظ يعى للشىء فى هذا صفة متحققة وكذا كون الشىء مطلوبا فيه او غير مطلوب فيه بل بعيدا عن الطلب ولا يكون له تحقق أصلا لا بالنظر الى نفسه ولا بالنسبة الى الغير كصورة وهمية محضة تخترعها المتخيلة كاتصاف النعامة وكل ما هو علم وهداية بما يتخيل لها من بياض واشراق شبيه ببياض الكواكب واشراقها (١)

وقد صرح كل من السعد والسيد فى شرحهما للمفتاح بأن السكاكى خالف عبد القاهر فى اشتراطه أن يكون الوصف غير حقيقى مطلقا يقول السيد " ثم أن قيد كون الوصف غير حقيقى مطلقا مما تفرد به المصنف واما الشيخ عبد القاهر فقد اكتفى بأن لا يكون الوصف متحققا حسا " (٢)

---

(١) شرح السعد للمفتاح مخطوط بدار الكتب

(٢) شرح السيد للمفتاح مخطوط ورقة ١١٦

وقد أورد السكاكى نماذج متعددة للتمثيل بين فيها وجه الشبه وما فيه من توهم فجاءت كل الأمثلة من المعقلى التوهمى فمثل به قول الشاعر :

اصبر على كيد الحسود فان صبرك قاتله
كالنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله

ثم علق عليه بقوله " فان تشبيه الحسود المتروك مقاولته بالنار التى لا تجد بالحطب فيسرع فيها الفناء ليس الا فى أمر متوهم " (١)

والأمثلة التى أوردها جميعا للتمثيل هى امثلة ذكرها عبد القاهر فى كتابه اسرار البلاغة ما عدا قوله تعالى " مثلهم كمثل الذى استوقد نارا " وهو ما ينطبق عليه اسم التمثيل عند الشيخ أيضا فأين يفترقان ؟

ويفترقان فى التمثيل المنتزع وجهه من امر واحد مثل قولهم الفاظ كالعسل و حجة كالشمس فكلا هما تمثيل عند عبد القاهر وتشبيه عند السكاكى ويفترقان فيهما لأن وجهه مركبا عقليا حقيقيا مثل قوله " والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء " فان وجه الشبه فيه عقلى حقيقى منتزع من عدة أمور فهو تمثيل عند الشيخ لا عند السكاكى طبقا لما صرح به قطب الدين الشيرازى وأن الوجه هنا عقلى حقيقى يقول الشيرازى فى شرحه للمفتاح " واما أن يكون مستندا الى العقل كما اذا شبهت أعمال الكفرة بالسراب فى الانظر المطمح مع المخبر المر بصدوهو اشارة الى قولهتعالى " والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا " وكما اذا شبهت الحسناء أى المرأة الحسناء من منبت السوء اى من أصل ردئ بخضراء الدمن وهو اشارة الى قوله عليه السلام اياكم وخضراء الدمن قال المرأة الحسناء فى المنبت السوء فى حسن المنظر المنضم الى سوء المخبر والتمرى عن اثمار خير ... أو الجماعة المتناسبة فى الخصال أى فى الاخلاق والصفات المتمسة لذلك عن تصيرن فاضل ومفضول بالحلقة المفرغة " ثم يقول عن المثال الاخير هو من العقلى الاعتبارى " بخلاف المثال الأول فانه عقلى حقيقى وكذا الثانى " (٢)

---

(١) مفتاح العلوم صـ ١٦٤
(٢) مفتاح المفتاح مخطوط ٨٧٦ ـ ٨٣٧

والحق أن عد الآية والحديث من المثل الحقيقي مما لا يسلم به خاصة أن السكاكي عد من المثل المتوهم قوله تعالى " مثل الذين حملوا التوراة .. الآية . حيث علق عليها بقوله " و جه التشبيه بين أحبار اليهود الذين كلفوا العمل بما في التوراة ثم لم يعملوا بذلك، وبين الحمار الحامل الاسفار هو حرمان الانتفاع بما هو أبلغ شيء في الانتفاع به مع الكد والتعب في استصحابه وليس بمشتبه كونه عائدا الى التوهم "(١) فليس ثمة فارق بين وجه الشبه في الآيتين فاما أن يكونا من الحقيقي مما أو يكونا متوهمين ولعل التباس الحقيقي بغيره فيما كان وجهه منتزعا من عدة أمور هو الذي جعل السكاكي يصرح بدقة الفرق بينهما فيقول " والذي نحن بصدده من الوصف غير الحقيقي احوج منظور فيه الى التأمل الصادق من ذي بصيرة نافذة ورؤية ثاقبة لا لتباسه فيكثير من الواضح بالمثلي الحقيقي "(٢)

يبقى أن نعرف ما اذا كان السكاكي يشترط في التمثيل تركب الطرفين ام أنه يكتفي بتركب الوجه فقط ؟

والذي افهمه من تعريف السكاكي للتمثيل بقوله (وكان منتزعا من عدة أمور " أنه يقصر التمثيل على المركب الاعتباري دون المركب الحقيقي وقد استنتجت قبل ذلك من حديث التشبيه عند السكاكي ان المركب الذي ينتزع من عدة أوصاف قصد الى مجموعها هيئة واحدة لا يكون الا فيما تركب طرفاه ووجهه .

ويؤيد ذلك أن جميع الأمثلة التي ذكرها صاحب المفتاح للتمثيل جاءت مركبة الوجه والطرفين . وقد ذهب الى ذلك الدكتور بدوي طبانه في كتابة "علم البيان" حيث قال (التشبيه التمثيلي عند السكاكي هو ما كان الشبه فيه عقليا غير حقيقي وكان مركبا ... والتركيب يكون في الطرفين وهو أن تقصد الى متعددين فتنتزع منهما هيئتين ثم تقصد اشتراك الهيئتين في هيئة تجمعهما وانما يكون ذلك اذا كان وجه الشبه مركبا ليمكن انتزاع الهيئة التي تجمعهما منه "(٣)

---

(١) مفتاح العلوم صـ ١٦٥ (٢) مفتاح العلوم صـ ١٦٥

(٣) علم البيان صـ ٨٨

رأى الشيرازى والخطيب والجمهور :ـ

قصدت من تقديم الشيرازى على الخطيب تصحيحا لخطأ لا يزال يتردد على الألسنة حتى الان فى انفراد الخطيب برأى خاص فى التمثيل تابعه فيه الجمهور وكأن الخطيب هو صاحب هذا الرأى لم يسبقه فيه أحد وهو ليس صحيحا ذلك أن الخطيب كما هو معروف خالف السكاكى فى التمثيل من حيث عدم اشتراطه أن يكون وجه الشبه فيه وصفا غير حقيقى واكتفى بأن يكون الوجه مركبا سواء كان ذلك مستندا الى الحس أم مستندا الى العقل وهذا رأى جديد من حيث مخالفته للسكاكى من هذا الجانب ومخالفته للامام عبد القاهر فى الوجه الحسى المركب الذى يعده الخطيب تمثيلا ويراه الامام تشبيها وفى الوجه العقلى المفرد الذى يعده الخطيب تشبيها بينما يدخله عبد القاهر فى حيز التمثيل .

والخطأ هنا هو نسبة هذا الرأى الى الخطيب بينما كان قطب الدين الشيرازى اسبق من الخطيب فى عد التشبيه المركب المستند الى الحس أو المستند الى العقل كليهما من التمثيل وهذا نص كلامه تعليقا على قول بشار بن برد

كأن مثار النقع فوق رؤوسنا ... البيت

" انما المراد تشبيه الهيئة الحاصلة من النقع الاسود والسيوف البيض متفرقات حمال من السيوف فيه أى فى النقع الأسود بالهيئة الحاصلة من الليل المظلم والكواكب المشرقة فى جوانبه منه أى فى أطراف من الليل وهذا القسم يسمى التمثيل كقوله تعالى " مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا فان التشبيه حصل من الحمل وتصديته الى الاسفار واقتران الجهل بما فيها " (١)

والأمر واضح فى أن الشيرازى يرى أن كل مركب من وجه الشبه يسمى تمثيلا سواء كان ذلك مركبا حسيا كما فى البيت أو مركبا عقليا كما فى الآية ولما كان الشيرازى أسبق

---

(١) مفتاح المفتاح مخطوط صـ ٨٣٣

من الخطيب فهو احق بأن ينسب هذا الرأى اليه .

يقول الخطيب فى الايضاح " التمثيل ما وجهه وصف منتزع من متعدد من امريـــن أو امور وقيده السكاكى بكونه غير حقيقى " (١)

فالخطيب يكتفى بأن يكون وجه الشبه منتزعا من متعدد ولا يشترط أن يكـــون متحققا حسا أو عقلا وبذلك يدخل التشبيهات الحسيه المركبة فى حيز التمثيـــل مخالفا بذلك عبد القاهر والسكاكى . يقول د . احمد مطلوب " والاختلاف بينهمـــا السكاكى والخطيب " ـ أن السكاكى يرى أنه لابد أن يكون وجه الشبه وصفا غير حقيقى أى عقليا أما الثانى فيرى أنه يكون حسيا وعقليا " (٢)

و هذا صحيح عدا تفسير الكاتب (غير الحقيقى) بالعقلى فان ذلك التفســـير بعيد عن نص المفتاح وروحه فان السكاكى يشترط أن يكون الوجه غير متحقق حســـا أو عقلا فقوله غير حقيقى أخرج به الحسى والعقلى الحقيقى وحصره فى العقلى الاعتبـارى سواء كان نسبيا او وهميا كما اشرت الى ذلك فيما سبق والخطيب حين يشترط تركيـــب الوجه فى التمثيل لا يرى ضرورة تركب الطرفين فقد يكون الطرفان مفردين أو مركبيـــن او مختلفين والجمع يدخل فى دائرة التمثيل مثل تشبيه الثريا بعنقود الكرم المنـــور وسقط النار بعين الديك وغير ذلك مما تركب وجهه وأفرد طرفاه وقد تهنى الجمهـــور وجهة نظر الخطيب وداعـــوا عنها ما وسمهم الجهد ذلك أن قول الخطيب عـــن الوجه فى التمثيل انه " وصف منتزع من متعدد " يوحى بتركب الطرفين ولذلك انبرى كثير من جمهور البلاغيين لدفع هذا الاحتمال يقول عبد الحكيم " لا يخفى أن المتبـادر من الانتزاع من متعدد أن يكون المنتزع منه متعددا ومن كونه وجه الشبه أن يكـــون ذلك المتعدد حاصلا فى كل واحد من الطرفين فيجوز أن يكون المتعدد جزءا لـــكل منهما وأن يكون وصفا خارجا عنهما وأن يكون جزءا لاحدهما خارجا عن الآخر فـــلا يستلزم انتزاعه من متعدد تركيب الطرفين " (٣)

---

(١) الايضاح شروح ٣ / ٤٣٢

(٢) القزوينى وشروح التلخيص صـ ٢٤٧

(٣) حاشية عبد الحكيم صـ ١٠٣

رأى السيد الشريف :-

خالف السيد الشريف الجمهور فى متابعته للخطيب الذى لم يشترط تركب الطرفين فى التمثيل وانفرد عنهم فى القول بوجوب أن يكون طرفا التمثيل مركبين وهذا الاختلاف كان بداية معركة حادة بين السيد والسعد أثارها قول السكاكى فى تعريف التمثيل ما كان وجهه وصفا غير حقيقى وكان مع ذلك منتزعا من عدة أمور فقال السيد تعليقا على ذلك فى شرحه للمفتاح " أى من عدة أمور معتبرة فى طرفيه لا من عدة أمور يتركب هو منها فان المتبادر من انتزاع وجه الشبه انتزاعه من طرفيه لا انتزاعه من اجزائه التى يتركب هو منها فعلى ما ذكرنا يكون كل واحد من طرفى التشبيه التمثيلى مركبا كما أن وجه الشبه فيه أيضا مركب وتوهم بعضهم أن المراد انتزاع وجه الشبه من عدة أمور هى أجزاؤه فاكتفى فى التمثيل بتركب وجه التشبيه وحده فعد منه تشبيه الثريا بالعنقود وتوصل بعض المكتفين بذلك الى تجويز افراد الطرفين فى الاستعارة التمثيلية بناء على أن كل تشبيه تمثيلى اذا ترك فيه التشبيه الى الاستعارة صار استعارة تمثيلية " (١)

ثم يوضح السيد امثلة التمثيل الى ساقها السكاكى ويشرح التركيب فى طرفيها لنرى أن السكاكى يقصد من التركيب فى التمثيل تركيب الوجه والطرفين مما نجده يتعرض للمثال الذى ذكره السكاكى للتمثيل وهو قول الشاعر :

اصبر على مضض الحسود ٠٠ و د فان صبرك قاتله

كالنار تأكل بعضها ٠٠ ان لم تجد ما تأكله

ويشرحه بقوله " فان تشبيه الحسود هذا تشبيه ضمنى يقتضيه معنى الكلام وقد اعتبر فى كل من طرفيه أمور عدة أما فى جانب المشبه فالحسود ومضه وتطلبه للمقاولة ليتوصل بها الى التشفى عن وجع باطنه وصبرك على مضه وتركك مقاولته مع علمك بتطلبه اياها ٠ وأما فى جانب المشبه به فالنار المقتضية بطبعها للالتهاب وعدم امدادها بالحطب واسراع الفناء بسبب ذلك فالمشبه حالة مخصوصة للحسود مركبة

---

(١) شرح السيد للمفتاح ورقة ١١٦

من أمور والمشبه به حالة مخصوصة للنار مركبة ايضا من أمور ولا شك أن الهيئة والحالة المشتركة بين هاتين الحالتين منتزعة من عدة أمور "(١)

أما الجمهور ومنهم السعد فقد جروا على خطأ الخطيب فى اشتراط انتزاع الوجه من متعدد وفسروا ذلك بما يفيد تركب الوجه دون اشتراط تركب الطرفين وقد عبر عن ذلك الدسوقى فى حاشيته بقوله " وصف منتزع أى هيئة مأخوذة من متعدد سواء كان الطرفان مفردين أو مركبين أو كان احدهما مفردا والآخر مركبا وسواء كان ذلك الوصف المنتزع حسيا بأن كان منتزعا من حسى او عقليا او اعتباريا وهما هذا مذهب الجمهور "(٢)

وقد ظهر تناقض الجمهور فى قولهم بافراد الطرفين فى التشبيه التمثيلى حين تعرضوا للاستعارة التمثيلية • فهم يشترطون فيها تركيب الطرفين بينما هم يعترفون بأنها فى الأصل تشبيه تمثيلى •

وقد اتخذ السيد من تناقض الجمهور هذا وسيلة للاحتجاج عليهم واثبات رأيه فى تركيب طرفى التمثيل حيث قال فى حاشيته على المطول " لا يخفى أن المتبادر من انتزاع وجه التشبيه من متعدد انتزاعه من متعدد فى طرف التشبيه لاكونه مركبا من متعدد هو اجزاؤه كما توهمه الشارح فأورد فى مثاله تشبيه المفرد بالمفرد أولا ترى أن المصنف رد على السكاكى فى عد التمثيل على سبيل الاستعارة من الاستعارة التحقيقية بأن التمثيل يستلزم التركيب فكيف يندرج تحت الاستعارة التى هى قسم من اقسام المجاز المفرد فلا يصح أن يفسر كلامه هاهنا بخلاف ما يتبادر منه "(٣)

ثم يمضى السيد فى الرد على السعد بكلام السعد نفسه فى حاشيته على الكشاف " اقول لا يعنى للتشبيه المركب الا أن تنتزع كيفية من أمور متعددة فتشبه بكيفية أخرى كذلك فيقع فى كل واحد من الطرفين عدة امور يكون التشبيه فيها بينا ظاهرا

---

(١) شرح السيد للمفتاح ورقه ١١٦
(٢) حاشية الدسوقى شروح ٣/٤٣٢
(٣) حاشية السيد على المطول ٣٢٨

لكن لا يلتفت اليه بل الى الهيئة الحاصلة من المجموع كما فى قوله وكأن اجرام النجوم لوامعا ـ الهيت • ويستشهد بقول السعد أيضا فى الحاشية " وأما التمثيل فلكون كل من طرفى ال تشبيه حالة منتزعة من عدة أمور " (١)

ويقرر فى النهاية " وقد يتبين بما قررناه أن الصواب هو أن طرفى التشبيه التمثيلى مركبان معنى ولفظا " (٢)

ولكن ما هى حقيقة الخلاف بين السيد والسعد مثلا المجمهور وما مدى هذا الخلاف هل هو شكلى او جوهرى ؟

لا شك أن كلا من السيد والسعد يلتقيان حول وجوب انتزاع الوجه فى التشبيه التمثيلى من متعدد ولكنهما مختلفان فى حقيقة هذا التعدد فى طرفى التمثيل هل هو تعدد لفظى بحيث يقتضى تركيبهما ام أن هذا التعدد راجع الى أوصاف منتزعة منهما فتكون هناك اعتبارات فى المعنى متعددة ولكنها منتزعة من حقيقة واحدة مفردة • وبذلك يكون التعدد فى المعنى فقط هذا هو فى رأى جوهر الخلاف • وهو ما صرح به السيد فى رده على معارضيه ممن يقولون بجواز افراد الطرفين فى التشبيه التمثيلى فيقول " واما التجويز الأول فقد نقل له وجهان أحدهما أن وجه الشبه فى التشبيه التمثيلى ربما كان منتزعا من عدة أوصاف لطرفيه المفردين كما فى تشبيه الثريا بالمنقود فالواجب فيه تركيب وجهه لا تركيب طرفيه وهو مردود لما مر من انه خلاف المتبادر من العبارة فلا يصار اليه فى التعريفات لا سيما اذا لم تكن هناك ضرورة داعية اليه ولم يقل أحد ممن يتمسك بكلامه ان تشبيه الثريا بالمنقود تمثيلى والوجه الثانى ان انتزاع وجه الشبه من متعدد فى طرفى التشبيه يوجب تعددا فى كل منهما بحسب المعنى دون اللفظ لجواز أن يعبر عن الأمور المتعددة فى كل واحد منهما بلفظ واحد كقوله تعالى " مثلهم كمثل الذى أستوقد نارا " وهو مردود أيضا بأن انتزاع وجه الشبه من تلك الامور المتعددة

---

(١) حاشية السيد على المطول ٣٩٣
(٢) حاشية السيد على المطول ٣٩٣

يستلزم أن يلاحظ كل منها قصدا فلا يصح أن تكون تلك المدة معبرا عنها بلفـــــظ واحـــــد • (١)

ويبدو من ذلك ان الخلاف محصور فيما اذا كا ن تركيب الطرفين لفظا ومعنـــــى بحيث تتعدد الألفاظ والمعانى كما هو رأى السيد أم أن التعدد فى الاعتبـــارات والمعانى دون اللفظ فيكون الطرفان مفردين لفظا مركبين معنى كما هو رأى السيـــد والجمهور •

ويترتب على ذلك أن الخطيب والجمهور ومنهم السعد يحكمو ن على تشبيه الثريـــا بالعنقود بأنه تمثيل لان كلا من الطرفين مراعى فيه اعتبارات متعدد ة هى اوصـــاف الثريا والعنقود التى تركب منها الوجه بينما يرى السيد انه تشبيه وليس تمثيلا •

رأى الزمخشرى وابن الأثـير :ـ

لم يفرق الزمخشرى بين التشبيه والتمثيل ـ كما صنع عبد القاهر ـ بل ظل هذان المصطلحان يترددان فى تفسير الكشاف باعتبارهما مترادفين وبذلك يعود الزمخشـرى الى الوضع اللغوى الذى يجعل مادة شبه ومثل وما اشتق منهما بمعنى واحد لذلـــك وجدنا الزمخشرى يستعمل مصطلح التشبيه فيما هو تمثيل كما يستعمل لفظ التمثيـــل كذلك فيما عده المتأخرون من التشبيه الصريح وهاتان آيتان من التشبيه المفـــرد الذى وجهه عقلى يطلق على الأولى لفظ التشبية وعلى الثانية يستخدم مادتى شـــبه ومثل ومشتقاتهما دون تمييز بين المادتين ففى قوله تعالى " انما البيع مثل الربـــا " يقول الزمخشرى وشبهوا البيا بالبيع فاستحلوه " (٢)

وفى قوله تعالى " ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم " يعلق الزمخشرى بقولـــه " فان قلت كيف شبه به وقد وجد بغير أب ووجد آدم بغير أب وأم قلت هو مثله فـــى احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لأن المماثلـــــة

---

(١) حاشية السيد على المطول ٣٩٣

(٢) الكشاف ج ١ صـ ١٢٧ المطبعة البهية

مه لركعة فى بعض الأوصاف ولأنه شبه به فى أنه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما فى ذلك نظيران ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب وأخرق للعادة من وجود من غير أب فشبه الغريب بالأغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته " (١)

فقد استعمل الزمخشرى فى الآية الثانية المترادفات (الشبه والمثل والنظير " وأكد تعلقه بالمعنى اللغوى لها حين صرح بقوله " وأحسم لمادة شبهته "

وقد أكد أستاذنا الدكتور محمد ابو موسى بوجه قاطع اتجاه الزمخشرى فى عدم التفريق بين التشبيه والتمثيل بمثال اتفق الجميع على أنه من التشبيه الصريح لأنه حسى مفرد الطرفين والوجه وهو ما لا يقول أحد بأنه تمثيل الا اذا كان التشبيه والتمثيل مترادفين ذلك فى قوله تعالى " ان انكر الأصوات لصوت الحمير يقول الدكتور ابو موسى " والآية كما يرى الزمخشرى من الاستعارة ولكن حين أرجع الاستعارة الى أصلها ومبناها فرقها الى تشبيهين مفردين فقال " تشبيه الرافعين أصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم بالنهاق " فسمى تشبيه الأصوات بالنهاق تمثيلا وهو تشبيه صريح .

وفى نفس الوقت يطلق لفظ التشبيه على ما هو تمثيل لدى جميع من يفرقون بين التشبيه والتمثيل فهو يطلق على قوله تعالى " ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ، يقول " يجوز فى هذا التشبيه أن يكون من المركب والمفرق فان كان تشبيها مركبا فكأنه قال من أشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس وراءه نهاية بأن صور حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا فى حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به فى بعض المطارح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان فى علوه بالسماء والذى ترك الايمان وأشرك بالله بالساقط من السماء والأهواء التى تتوزع أفكاره بالطير المختطفة والشيطان الذى يطوح به فى وادى الضلالة بالريح التى تهوى بما عصفت به فى بعض المهاوى المتلفة " (٢)

---

(١) الكشاف ج ١ صـ ١٤٧ المطبعة البهية

(٢) الكشاف ٢ / ٦٢

وهذا دليل على أن الزمخشرى يطلق المصطلحين ويريد بهما معنى واحـــــد كما قضى الوضع اللغوى بذلك .

أما ابن الأثير فلسنا فى حاجة الى استنباط رأيه فى الفرق بين التشبيه والتمثيـــل فقد كفانا مشقة البحث عن ذلك حين صرح بأن اللغة لا تفرق بينهما و نص علـــــى بعض البلاغيين الذين جعلوا لكل مصطلح منهما دلالة خاصة .

يقول ابن الاثير " وجدت علماء البيان قد فرقوا بين التشبيه والتمثيل وجعلـــــوا لهذا بابا مفردا ولهذا بابا مفردا وهما شىء واحد لا فرق بينهما فى أصـــل الوضـــع يقال شبهت هذا الشىء بهذا الشىء كما يقال مثلته به وما أعلم كيف خفى ذلك علـــى اولئك العلماء مع ظهوره ووضوحه " (١)

يقول الاستاذ على الجندى " معنى التشبيه فى اللغة التمثيل تقول شبهته ايـــاه وشبهته به تشبيها : مثلته . فاللغة كما رأينا لا تفرق بين التشبيه والتمثيل .
وقد تعلق ابن الاثير بهذا النص اللغوى فعاب على البلغاء هذه التفرقة " (٢)
وا خيرا فقد ظهر أن آراء العلماء فى التمثيل تتلور فى ستة مذاهب هى :

١ ــ مذهب عبد القاهر (٢) مذهب الـــــــ

الفصـــــل الثالـــــث

التركيـــــب فى الاستمارة التشكيليـــــة

رأى عبد القاهـــــــــر :ـ

كما حدد عبد القاهر مصطلحات الافراد والتركيب والتعدد في التشبيه أيضا حدد هـذه المصطلحات وميز بينها في الاستعارة وأطلق اسم التمثيل على الاستعارة المركبـــة بينما يظل اسم الاستعارة علما على المفرد من الاستعارات ففي كتابة الدلائـــل يقول " وأما الاستعارة فسبب ما ترى لها من الحزة والفخامة أنك اذا قلت رأيـــت أسدا كنت قد تطلبت لها أردت اثباته له من فرط الشجاعة حتى جعلتها كالشـــيء الذي يجب له الثبوت والحصول وكالأمر الذي نصب له دليل يقطع بوجوده وذلـــك أنه اذا كان أسدا فواجب ان تكون له تلك الشجاعة العظيمة وكالمستحيل والممتنـــع أن يعرى عنها واذا صرحت بالتشبيه فقلت رأيت رجلا كالأســـد كنت قد اثبتهـــا اثبات الشيء يترجح بين أن يكون وبين أن لا يكون ولم يكن من حديث الوجـــوب في شيء وحكم التمثيل والاستعارة سواء فانك اذا قلت أراك تقدم رجلا وتؤخـــر اخرى فأوجبت له الصورة التي يقطع معها بالتحير والتردد كان أبلغ لا محالة من أن تجري على الظاهر فتقول : قد جعلت تتردد في أمرك فانت كمن يقول اخرج ولا اخـــرج فيقدم رجلا ويؤخر اخرى " (١)

ونلاحظ هنا أنه وضع الاستعارة المفردة وأطلق عليها لفظ الاستعارة وكشـــف عن الاستعارة المركبة وأطلق عليها اسم التمثيل وهكذا اذا جاءت كلمة التمثيـــل في مقابلة الاستعارة كان مقصودا بها الاستعارة التمثيلية .

ويبسط الكلام في موضع آخر عن الاستعارة المركبة ويسميها تمثيلا جاء على حـــد الاستعارة مع التصريح بنقل العبارة فيها من معناها الحقيقي الى المعنى المجـــازي " وأما التمثيل الذي يكون مجازا لمجيئك به على حد الاستعارة فمثاله قولك للرجـــل يتردد في الشيء بين فعله وتركه أراك تقدم رجلا وتؤخر اخرى فالأصل في هـــذا أراك في ترددك كمن يقدم رجلا ويؤخر اخرى ثم اختصر الكلام وجعل كأنه يقـــدم الرجل ويؤخرها على الحقيقة " (٢)

---

(١) دلائل الاعجاز صـ ٥٠
(٢) الدلائل صـــــ ٤٧

وهذا الذى ذكره عن الاستعارة والتمثيل فى الدلائل هو ما تجده فى كتابه " اسرار البلاغة " وان كان هناك امران يجب مراعاتهما لمن يريد استخلاص رأى عبد القاهر فى الاستعارة والتمثيل من هذا الكتاب أولهما أن التمثيل عند عبد القاهر ليس خاصا بالمركب من التشبيه كما هو مذهب غيره.

ثانيهما : أن حديث عبد القاهر عن الافراد والتركيب لم يكن مبنيا على نظام خاص يمكن الباحث بسهولة من استخلاص رأيه فى الافراد والتركيب فى التشبيه ثم فى التشبيه التمثيلى ثم فى الاستعارة بل كان فى حديثه مشغولا ببيان ما هو مفرد ومركب ومتعدد أينما وجد سواء كان فى تشبيه صريح أو تشبيه تمثيلى أو استعارة وهذا جعل بعض الباحثين يندفع الى القول بأن عبد القاهر " فى اسرار البلاغة لم يفرق بين ضربى التمثيل وجرى على أن كل تمثيل تشبيه وانما فرق بينهما فى دلائل الاعجاز " (١)

والذى أراه أن عبد القاهر فرق بين ضربى التمثيل فى الاسرار كما فرق بينهما فى الدلائل وهو ما سيتضح امامنا الآن .

وأول ما يطالعنا من حديث التركيب فى الاستعارة التمثيلية قوله بعد أن ذكر التركيب فى قوله تعالى " مثل الذين حملوا التوراه .. الآية " ومن هذا الباب قولهم أخذ القوس باريها وذلك أن المعنى على وقوع الاخذ فى موقعه ووجوده من أهله فلست تشبه من حيث الأخذ نفسه وجنسه ولكن من حيث الحكم الحاصل له بوقوعه من بارى القوس على القوس وكذلك قولهم مازال يفتل منه فى الذروة والغارب الشبه مأخوذ مما بين الفتل وما تمدى اليه من الذروة والغارب ولو افردته لم تجد شبها بينه وبين ما يضرب هذا الكلام مثلا له لأنه يضرب فى الفعل أو القول يصرف به الانسان عن الامتناع الى الاجابة وعن الاباء عليك فى مرادك الى موافقتك والمصير الى ما تريد منه وهذا لا يوجد فى الفتل من حيث هو فتل وانما يوجد فى الفتل اذا وقع فى الشعر من ذروة البعير وغاربه " (٢)

---

(١) دراسات تفصيلية صـ ٦٤

(٢) الاسرار ٧٧ ـ ٧٨

وقد ساق عبد القاهر هذا الكلام فى الفصل الذى أشرت اليه فيما سبق وهو الذى عقده لبيان التمثيل المفرد والمركب والمتعدد وهو فى ذلك يهدف الى بيان ما هو مركب وجهة التركيب فيه وما هو متعدد وسبب تعدده بغض النظر عن كونه واقعا فيما يسمى تشبيها تمثيليا او استعارة تمثيلية •

من ذلك يربط بين الآية وبين قولهم اخذ القوس باريها من حيث تركيب التشبيه فيها وهو ظاهر فى الآية واما المثال فعلى اعتبار ان كل استعارة مبناها التشبيه ونلاحظ أيضا من بيان عبد القاهر لطرفى التمثيل فى الآية والمثال أنه يرى تركيب الطرفين وهو ما يؤكده قوله " ولو أفردته لم تجد شبهها بينه وبين ما يضرب هذا الكلام مثلا له "•

ولان عبد القاهر لم يكن يقصد التمييز بين الاستعارة التمثيلية والتشبيه التمثيلى فى هذا الفصل فقد كان حديثه عن التركيب مشتملا بنماذج من المركبات التمثيلية بعضها استعارة على سبيل التمثيل وبعضها الآخر تشبيه على سبيل التمثيل يقول " وقد تجد بك حاجة الى مفعول والى الجار مع المجرور كقولك وهل يجمع السيفان فى الغمد وأنت كمن يجمع السيفين فى غمد ألا ترى أن الجمع فيه لا يغنى بتمديده الى السيفين حتى يشترط كونه جمعا لهما فى الغمد فمجموع ذلك كله يحصل الغرض " (١)

فأنت ترى نموذجين للمركب احدهما تشبيه تمثيلى والثانى استعارة تمثيلية وكأنه أحس بحاجة الاستعارة التمثيلية الى مزيد من البيان يكشف عن التركيب فيها ويميزها عن الاستعارة فى المفردات فعقد فصلا مستقلا أكد فيه ما فهمناه من وجوب تركيب طرفيها وصرح بأنه اذا لم يكن التشبيه منتزعا من عدة أمور كان جديرا باسم الاستعارة ولا يرقى الى لقب التمثيل وقد بدأ هذا الفصل بقوله " واعلم أنك تجد الاسم وقد وقع من نظم الكلام الموقع الذى يقتضى كونه مستعارا وذلك لان التشبيه المقصود مضطربه مع غيره واميله على ما قدمت لك من أن الشبه يجىء منتزعا من مجموع الكلام من ذلك قوله " الآن أخذ القوس باريها وان كان القوس يقع كناية عن الخلافة والبارى عن المستحق لها فانه لا يجوز أن يقال ان القوس مستعار للخلافة على حد استعارة النور والشمس

---

(١) الاسرار صـ ٧٨

لأجل أنه لا يتصور أن يخرج للخلافة شبه من القوس على الانفراد وان يقال هى قوس كما يقال هى نور وشمس وانما الشبه مؤلف بحال الخلافة مع القائم بها ومن حال القوس مع الذى يراها " (١)

فهو يرى أن ما كان أصل التشبيه فيه مفردا فهو من الاستعارة وما كان الوجه فيه منتزعا من جملة من الكلام كان جديرا باسم التمثيل ولابد أن يكون مركب الطرفين " وانما الشبه مؤلف بحال الخلافة مع القائم بها ومن حال القوس مع الذى يراها "

يجوز اطلاق التمثيل على الاستعارة المفردة :ـ

ها هنا تساؤل يطرح نفسه • ألم يكن عبد القاهر قد قرر قبل ذلك أن التمثيل يقع فى المفردات اذا كان وجه الشبه عقليا فلماذا ينفى وقوع التمثيل فى الاستعارة المفردة اذا كان الشبه فيها عقليا ؟ والذى أراه أن عبد القاهر لم يرتد عن مذهبه ولم ينف وجود التمثيل فى الاستعارة المفردة ولكن انما كان التمثيل المركب تظهر فيه دقة الصنعة ولطافة المأخذ وكثرة التفصيلات كانت الاستعارة المركبة أحق باسم التمثيل الذى حظى عند عبد القاهر بمكانة خاصة وقد سبق لعبد القاهر فى التشبيه التمثيلى بعد أن صرح بوقوعه فى المفرد أن جعل المركب أحق وأولى باطلاق اسم التمثيل عليه " فينبغى ان تعلم أن المثل الحقيقى والتشبيه الذى هو أولى بأن يسمى تمثيلا لبعده من التشبيه الظاهر الصريح ما تجده لا يحصل لك الا من الكلام أو جملتين أو اكثر "•

وهو اذ يطلق هنا التمثيل على الاستعارة المركبة فانه لا يعنى امتناع اطلاقه على الاستعارة المفردة اذا كان وجه الشبه فيها عقليا وانما المركبة هى الاحق والأجدر بهذا الاسم كما أن المركب العقلى من التشبيه أحق باسم التمثيل من المفرد وهذا ما صرح به عبد القاهر " واذا كان الشبه بين المستعار منه والمستعار له فى الاستعارة من المجموع والغرائز كان حقها أن يقال انها تتضمن التشبيه ولا يقال أن

---

(١) أسرار البلاغة صـ ٢١٧

فيها تمثيلا وضرب مثل واذا كان الشبه عقليا جاز اطلاق التمثيل فيها وأن يقال ضـــرب الاسم مثلا لكذا كقولنا ضرب النور مثلا للقرآن والحياة مثلا للعلم " (١)

فالعقلية شرط واجب لاستحقاق الاستعارة اسم التمثيل اما التركيب فليس شرطا يمنع دخول المفرد وان كان يضمن الحسن والتفوق للاستعارة المركبة ويجعلها احق وأولـــى بهذا الاسم بدليل أنه مثل باستعارتين مفردتين وأجاز اطلاق التمثيل عليهـــا

الفرق بين الاستعارة والمركبة والاستعارات المتعددة :-

كان الباقلاني قد صرح بالتعدد في الاستعارة حينما تعرض لقول امرئ القيـــس

فقلت له لما تمطى بصلبـــه ٠٠ وأردف اعجازا وناء بكلكـل

فقال " وهذه كلها استعارات أتى بها في ذكر طول الليل " (٢)

فجاء الشيخ واستفاد من هذه الاشارة وراح يبين التعدد في هذا البيت ويعقـــد المقارنة بين التعدد والتركيب ويبين اسرار الجمال في المتعدد فقد جاء في دلائـــل الاعجاز " ومما هو أصل في شرف الاستعارة أن ترى الشاعر قد جمع بين عدة استعارات قصدا الى أن يلحق الشكل بالشكل وأن يتم المعنى والشبه فيما يريد مثاله قـــول امرئ القيس :

فقلت له لما تمطى بصلبـــه ٠٠ وأردف أعجازا وناء بكلكـــل

لما جعل لليل صلبا قد تمطى به ثنى ذلك فجعل له اعجازا قد أردف فيها الصلـــب وثلث فجعل له كلكلا قد ناء به فاستوفى له جملة أركان الشخص وراعى ما يراه الناظـــر من سواده اذا نظر قدامه واذا نظر الى خلفه واذا رفع البصر ومده في عرض الجو " (٣) وفي الاسرار ومن خلال تناوله للفرق بين المركب والمتعدد يوازن بين التركيـــب في قول كثيـــر :

كما أبرقت قوما عطاشا غمامـــة ٠٠ فلما راوها أقشعت وتجلـــت

---

(١) اسرار البلاغة ص ١٩٤

(٢) اعجاز القرآن ص ١١١

(٣) الدلائل صـــ ٥٤

وهو من التشبيه التمثيلى وبين التعدد فى قولهم هو يصفو ويكدر وهو من الاستعارة المتعددة فيقول " فان قلت فهذا يلزمك فى قولك هو يصفو ويكدر ذلك ان الاقتصار على أحد الامرين يبطل غرض القائل وقصده أن يصف الرجل بأنه يجمع الصفتين وأن الصفاء لا يدوم . فالجواب أن بين الوصفين فرقا وان كان يغمض قليلا وهو أن الغرض فى البيت أن يثبت ابتداء مطمعة ومنها ادى الى انتهاء موحش وكون الشئ ابتداء لآخر هوله انتهاء معنى زائد على الجمع بين الامرين والوصف بأن كل واحد منهما يوجد فى المقصود وليس ذلك فى قوله يصفو ويكدر اكثر من الجمع بين الوصفين " (١)

تعهد القاهر يرى أن المثال من المتعدد بينما بيت كثير من المركب ولا يخفى أن المثال من الاستعارة المتعددة

---

(١) الاسرار صـ ١٨

رأى الزمخشرى فى تركيب الاستعارة التمثيلية :ـ

اننى حين أتعرض الآن لرأى الزمخشرى فى تركيب الاستعارة التمثيلية وافرادها لا أعنى بذلك أن هناك رأيا آخر يقول به الزمخشرى مخالفا لرأى الشيخ وانما تعرضت لبيان رأيه لأن بعض نصوص الكشاف كانت سببا فى معركة حادة بين السعد والسيد حول هيئة التركيب بها فى الاستعارة التمثيلية وجواز اجتماع التبعية منها

ومادعا ذى بدء أقول أن الزمخشرى يطلق لفظ التمثيل على المجاز المركب ويطلق لفظ الاستعارة على المجاز المفرد متابعا فى ذلك شيخ البلاغة ولكنه قد يستعمل مصطلحات أخرى دالة على هذا المجاز المركب كالمثل والمجاز والتمثيل والتصوير وهذا يتطلب يقظة تامة وفطنة فى استنتاج رأى الزمخشرى من نصوص الكشاف وتتبعه فى مواطن التمثيل المختلفة حتى لا تدفع المجلة الى خطأ الفهم ففى قوله تعالى " واعتصموا بحبل الله جميعا " يفرق بين الاستعارة فى المفرد والمجاز الاستعارى المركب فيقول " قولهم اعتصمت بحبله يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهابه به ووثوقه بحمايته بامساك المتدلى من مكان مرتفع بحبل وثيق بأمن انقطاعه وأن يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد أو ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه " (١)

فهو يفرق بين التمثيل والاستعارة بأن الاول تشبيه هيئة مركبة بأخرى مثلها أما الاستعارة فهى استعارة لفظ مفرد لآخر مفرد وهو هنا يجيز أن يكون فى الآية استعارتان على سبيل التعدد أو أن تكون الاستعارة الثانية ترشيحا

ولفظ المثل لا يقصره الزمخشرى على الاستعارة المركبة فقد يأتى دالا ايضا على الاستعارة المفردة كما وجدنا ذلك عند الامام .

فهذا لفظ المثل يطلق على الاستعارة المفردة فى قوله تعالى " وما يستوى البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج " يقول الزمخشرى " ضرب البحرين العذب والملح مثلين للمؤمن والكافر " (٢)

(١) الكشاف ج ١ / ١٥٨ المطبعة البهية
(٢) الكشاف ج ٢ / ٢١٤

فالايماء من التمثيل المجازي المركب كما يتضح من النص وقد اطلق عليها لفظ المثل ويأتي مصطلح التخييل دالا على هذا النوع من التمثيل المركب وذلك في شرحه للتصوير في قوله تعالى " وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه " والغرض من هذا الكلام اذا اخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقيف على كنه جلاله لا غير من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين الى جهة حقيقة او مجاز ثم يفضي الى القول " والخلاصة التي هي الدلالة على القدرة الباهرة وأن الأفعال العظام التي تتحير فيها الأفهام والاذهان ولا تكتنهها الأوهام هينة عليه هوانا لا يوصل السامع الى الوقوف عليه الا اجراء العبارة في مثل هذه الطريقة من التخييل "(١)

وفي هذا النص دلالة على أن الزمخشري حين يقول بالمجاز المركب فانه يجري التصوير في مجموع الكلام وتظل المفردات على ماهي عليه ويؤكد ذلك ما جاء في تناوله تعالى " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة " يقول الزمخشري " لا ختم ولا تغشية على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل أن يكون من كصلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة فأن تجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كأنها مستوثق منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تخليها أعين المعتبرين المستبطين كأنما غطى عليها وحيل بينها وبين الادراك وأما التمثيل فان تمثل حيث لم ينتفعوا منها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الانتفاع بها بالختم والتغطية "(٢) ويتبين من النص أولا أن الزمخشري يتفق مع عبد القاهر في اطلاقه اسم التمثيل على الاستعارة

(١) الكشاف ٢/ ٣٠٥ (٢) الكشاف ١/ ١٥٨ المطبعة البهية

المركبة ولفظ الاستعارة على المجاز المفرد •

ثانيا أنه اجاز فى الآية الافراد والتركيب بحيث تكون من الاستعارة المكنية أو التبعيـة أو تكون من قبيل التمثيل المركب الطرفين على أن يمثل عدم انتفاع الكفار بقلوبهـم فى الأغراض الدينية التى كلفوها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الانتفاع بها بالختم والتغطية •

ثالثا فى اجزاء الزمخشرى للتمثيل فى الآية ما يدل على تجويزه ان يصرح فى التمثيليـة بجزء من المشبه به باعتباره أهم الاجزاء ويستغنى عن بقية أجزاء التركيب ذلك أن المشبه به فى الآية " أشياء ضرب حجاب بينها وبين الانتفاع بها بالختم والتغطية " وهـذا المشبه به المركب لم يصرح منه الا بالختم والتغطية •

رابعا يرى الزمخشرى وجها آخر للتمثيل فى الآية بحيث يصرح فيه بالمركب كلـه وذلك حيث يقول " ويجوز أن تضرب الجملة كما هى وهى " ختم الله على قلوبهـم " مثلا كقولهم سال به الوادى أو طارت به العنقاء اذا أطال الغيبة وليس للـوادى ولا للعنقاء عمل فى طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلـت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافى بحال قلوب ختم الله عليها "(١)

وقد وضح العلامة ابو السعود ذلك فى تفسيره مذهب الزمخشرى فى الآيـة بقوله " اما على طريق الاستعارة التهمية بأن يشبه ذلك بضرب الخاتم على نحـو أبواب المنازل الخالية المعينة للسكنى تشبيه معقول بمحسوس بجامع عقلى هو العمل على منع القابل عما من شأنه وحقه أن يقبله ويستعار له الختم ثم يشتق منه صيغـة الماضى وأما على طريقة التمثيل بأن تشبه الهيئة المنتزعة من قلوبهم وقد فعل بهـا

(١) الكشـاف

ما فعل من احداث تلك الحالة الماثلة من أن يصل اليها ما خلقت هى لأجلـــــه من الأمور الدينية الناقصة وحيل بينها وبينه بالمرة بهيئة منتزعة من محال معـــــدة لحلول ما يحلها حلولا مستتبعا لمصالح مهمة وقد منع من ذلك بالختم عليهـــــا وجعل بينها وبين ما أعدت لأجله بالكلية ثم يستمار لها ما يدل على الهيئـــــة المشبه بها فيكون كل من طرفى التشبيه نوعا من أمور عدة قد انتزع من جانـــب المشبه به على ما عليه يدور الأمر فى تصوير تلك الهيئة وهو الختم والباقى مـــنوى مراد تصدا بألفاظ متخيلة بها يتحقق التركيب "(١)

و يطلق الزمخشرى لفظ المجاز على الاستمارة التمثيلية ايضا كما جاء فى تعليقه على قوله تعالى " وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالـــوا بل يداه مبسوطتان " يقول " على اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود و ضـــده قوله تعالى " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط " والقـــرينة المجاز هنا يراد به تمثيل منع الشحيح بغل اليد واعطاء المسرف بذى اليـــــد المبسوطه ولكن الدكتور شوقى ضيف فهم المجاز هنا على أنه كناية فقال " وقد صـــرح الزمخشرى فى آية المائدة " وقالت اليهود يد الله مغلولة .. الآية بأن الكنايـــة من باب المجاز " ثم ذكر ما نقلناه عن الزمخشرى وقال " ولا يقصد من يتكلم بـــه اثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وما وقع مجازا عنه "(٢)

والزمخشرى لم يصرح هنا بلفظ الكناية بل ولا يقصد بالمجاز هنا مجاز الكنايـــة ولكن يريد به الاستمارة التمثيلية ولو تنبه الدكتور شوقى ضيف الزمخشرى فى مواضـــع أخرى من الكشاف وهو يتحدث عن قوله تعالى " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقـــك" لوجده يصرح بأن الآية من مجاز التمثيل وهو ما ينسحب على قوله تعالى " وقالـــت اليهود يد الله مغلولة " لأن المجاز فيهما واحد يقول الزمخشرى " هذا تمثيـــل لمنع الشحيح واعطاء المسرف "(٣)

---

(١) تفسير العلامة ابى السعود ١١٤ وما بعدها
(٢) البلاغة تطور وتاريخ ص ٢٣٦
(٣) الكشاف ج ١ ص ٤٦٥ المطبعة البهيـــــة

وقد سبق الرمانى الى بيان المجاز فى هذه الآية بما يقطع بأنها من الاستعارة التى تسمى تمثيلا يقول الرمانى " ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط " حقيقته لا تمنع نافلته كل المنع بالاستعارة أبلغ لأنه جعل منع النافل بمنزلة غل اليد الى العنق وذلك مما يحسن حال التشبيه فيه بالمنع فيهما الا أن حال المغلول اليد أظهر وأقوى فيما يكره " (١)

ومرة أخرى جاوز التوفيق الدكتور شوقى ضيف حين فهم أن الزمخشرى يقصد بالتصوير فى قوله تعالى " وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطوية بيمينه " يقصد به مجاز الكناية يقول الدكتور شوقى " وواضح أنه جعل الكناية عن عظمة الله وقدرته فى الآية تفهم من مجموعها دون ملاحظة الحقيقة والمجاز فى مفرداتها وكأنه احس بأنها وسط بين الحقيقة والمجاز " (٢)

والذى أفهمه من تعليق الزمخشرى على الآية ـ كما سبق ذكره ـ أنه يرى فيها مجازا مركبا على سبيل التمثيل وهو الذى يقتضى نقل الجملة بأسرها لأن التشبيه يتم فى مجموع الكلام دون تجوز فى مفرداته وليست من الكناية ولا داعى لهذا التكلف فى فهم الكناية والقول بأنها وسط بين الحقيقة والمجاز . وقد صرح الزمخشرى بهذا حين تعرض لقوله تعالى " فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم " حيث قال " شبههم استحقارا لهم واستقلالا لعددهم وان كانوا الكثير الكثير والجم الغفير بحصيات أخذهن آخذ فى كفه فطرحهن فى البحر ونحو ذلك قوله " وجعلنا فيها رواسى شامخات "

" وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة " " وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه وما هى الا تصويرات وتمثيلات لاقتداره " (٣)

فليس بعد هذا التصريح شك فى عد الآية من مجاز التمثيل وهذا ما أحذر منه أن يختلط رأى صاحب الكشاف من نص فى آية دون تتبعه فى النصوص الاخرى .

---

(١) النكت فى اعجاز القرآن ص ٩٣
(٢) البلاغة تطور وتاريخ ص ٢٣٦
(٣) الكشاف ٢ / ١٦٢ المطبعة البهية

رأى السكاكـــــى :ـ

لم يفرد السكاكى للاستعارة التمثيلية فصلا خاصا بل ولم يجعلها قسما قائما برأسه بل جعلها من أنظمة الاستعارة التحقيقية " التصريحية " وبعد أن مثل للمفرد مـــن هذه الاستعارة بقوله رأيت أسدا ونظرت الى بدر يهتم مما هو مفرد الوجه والطرفـــين شرع فى بيان نوع من هذه الاستعارة لا يشبه فيه مفرد بمفرد وانما تستعار فيه صـــورة منتزعة من أمور لأخرى مطلها وقد أشعرنا السكاكى بهذا الفرق بين الاستعارة التمثيلية المركبة وما قبلها من التصريحية المفردة بقوله " ومن الامثلة استعارة وصف احـــد ى صورتين منتزعتين من أمور لوصف الاخرى مثل أن تجد انسانا استفتى فى مسألـــــة فيهم تارة باطلاق اللسان ليجيب ولا يهم أخرى فتأخذ صورة تردده هذا فشبهـــا بصورة تردد انسان قام ليذهب فى أمر فتارة يريد الذهاب فيقدم رجلا تارة ، وتـــارة لا يريد فيؤخر أخرى ثم تدخل صورة المشبه فى جنس صورة المشبه به روما للمبالغـــة فى التشبيه فيكسوها وصف المشبه به من غير تغيير فيه بوجه من الوجوه على سبيـــل الاستعارة قائلا أراك أيها الى فتى تقدم رجلا وتؤخر اخرى وهذا نسميه التمثيـــل على سبيل الاستعارة "(١)

ونلاحظ من النص الحقائق التالية

أولا أن هذا النوع مغاير لما قبله بدليل قوله " ومن الامثلة استعارة .. فى قولـــه " ومن الأمثلة " دون عطف مثال التمثيلية عطفا مباشرا على ما سبق من أمثلة المفـــرد وتقديم التعريف لها على ذكر المثال خير شاهد على مغايرتها للتصريحية المفـــردة فهم تغاير التمثيلية التصريحية المفردة ؟

المغايرة فى كون كل من طرفى التمثيلية صورة منتزعة من أمور كما صرح السكاكـــى بذلك وهذا هو الفرق بين التصريحية المفردة والتمثيلية فلو قلنا ان طرفى التمثيليـــة مفردان لما كان هناك أى فارق بينهما والقول بأن التركيب فى وجه التمثيليـــة دون طرفيها بعيد عن نص السكاكى الذى لم يأت فى حديثه شئ عن تركيب الوجـــه وان كان تركيب الطرفين يستلزم تركيب الوجه ضرورة وواجب فى فهم كلام الرجـــال

---

(١) المفتاح ص ١٧٩

أن يكون الاستنتاج من ظاهر النصوص ما دام فى النص تصريح بموارده والنص واضح فى تركيب الطرفين " فتأخذ صورة تردده هذا فتشبهها بصورة تردد انسان قام ليذهب .. الخ " ثم يقول ، ثم تدخل صورة المشبه فى جنس صورة المشبه به " ولا داعى للتخمين فيما يقطع به النص ولا أدرى أى كلام السكاكى يدخل فى التمثيلية ما كان مفرد الطرفين أو أحدهما كما يزعم ذلك الاستاذ على عبد الرازق فى أماليه حيث يقول " بقى القول فى الاستعارة التمثيلية وهى المركب المستعمل فى غير معناه الأصلى لعلاقة التشابه بين المعنيين ولا يكون تمثيلا الا اذا كان وجه الشبه هيئة مجتمعة من اشياء عدة وبخلاف ذلك لا يكون استعارة تمثيلية نحو أن يكون وجه الشبه مفردا أو متعددا غير مكون لهيئة واحدة ونحو أن يكون أحد طرفى التشبيه مفردا وان كان وجهه هيئة متعددة نص على ذلك صقر فى كتابه شرك الآمل ويدل عليه كلام الخطيب ولكن كلام السكاكى كأنه لا يخرج هذا القسم من الاستعارة التمثيلية " (١)

ويمكننى اقول ان كلام السكاكى يخرج هذا القسم من التمثيلية وليس فيه ما يحتمل ادخاله .

ثانيا أن السكاكى فى عده التمثيلية من الاستعارة التصريحية كان دقيقا ومتمشيا مع ما هو معروف من أن التصريحية يحذف منها المشبه ويصرح بالمشبه به والاستعارة التمثيلية من هذا الضرب الذى يأخذ فيه المشبه صورة المشبه به ، والفرق أن المشبه به هناك مفرد وهنا مجموع كلام مركب .

ثالثا يتأكد هذا الذى فهمناه من تركيب طرفى التمثيلية بتصريح السكاكى أن هذه الاستعارات اذا فشا استعمالها سميت أمثالا وسلمت من التغيير فهل هناك مثل لا يكون جملة من الكلام يشبه فيها مضربها بموردها وتنقل هذه الجملة كاملة دون تغيير ؟ هذا هو نص السكاكى " ولكون الأمثال كلها تمثيلات على سبيل الاستعارة لا يجد التغيير اليها سبيلا " (٢)

رابعا أن هذا النص للسكاكى كان أحد ميادين المعركة التى دارت بين المبرد والسهيلى حول تركيب التمثيلية مما سنجد تفصيلا له فى صفحات تالية .

---

(١) الأمالى صـ ١٠٣

(٢) المفتاح صـ ١٧٩

رأى الخطيـــــب :ـ

اما الخطيب فقد فصل الاستعارة التمثيلية عن الاستعارة التصريحية وجعـــــل الاولى من المجاز المركب والثانية من المجاز المفرد وعاب على السكاكى الذى ذكرهـا فى الاستعارة التحقيقية وهى من المجاز المفرد حيث قال فى الايضاح " وجعلهـــا (أى السكاكى) ثلاثة أضرب تحقيقية وتخيلية ومحتملة للتحقيق والتخييل وفسر التحقيقية بما مر وعنه التمثيل على سبيل الاستعارة منها وفيه نظر لأن التمثيل على سبيـــــل الاستعارة لا يكون الا مركبا كما سبق فكيف يكون قسما من المجاز المفرد " (١)

والخلاف هنا ليس فى تركيب التمثيلية فان كلا منهما صرح بالتركيب فيها واكتفى الخطيب بما رض السكاكى فى جعلها من التحقيقية مع أن التمثيلية مركبة والتحقيقيـة من المجاز المفرد فالخلاف اذن فى التبويب والحصر وليس فى التركيب وان كان السكاكى و جهة نظره فى عدها من التحقيقية لا باعتبار الافراد والتركيب ولكن باعتبار أن كـــلا منهما فيه تصريح بالمشبه به وحذف للمشبه فالصلة بينهما واضحة كما أن الخطيـــب له وجهة نظره فى التقسيم من حيث انه يجب فصل التمثيلية عن التحقيقية باعتبـــار ما بينهما من خلاف فى الافراد والتركيب فالخلاف بينهما فى الشكل لا فى المضمون بدليل أن تعريف الخطيب للاستعارة التمثيلية لا يخرج عن تعريف السكاكى يقـــول الخطيب " واما المجاز المركب فهو اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الاصلى تشبيـه التمثيل المبالغة فى التشبيه أى تشبه احدى صورتين منتزعتين من امرين أو أمـــور بالاخرى ثم تدخل المشبهة فى جنس المشبه بها مبالغة فى التشبيه فتذكر بافظهـــا من غير تغيير " (٢)

فهذا التعريف من الخطيب لا يختلف عما ذكره السكاكى وان كان قوله تشـــبيه التمثيل مشعر بخلاف فى تركيب طرفى التمثيلية باعتبار ان الخطيب لا يشترط الا تركيب الوجه فى التمثيل فتعددت الأراء فيما اذا كان يجب تركيب الطرفين كما يتضح ممـــن أمثلة الخطيب او يجوز أن يكون الطرفان مفردين كما هو الشأن فى التشبيه التمثيلـــى الذى يكتفى فيه بتركيب الوجه .

---

(١) الايضاح . شروح ٤ / ١٨٥

(٢) الايضاح . شروح ٤ / ١٤٢

بين الصعد والسيد :ـ

لابد فى حديثنا عن تركيب التمثيلية من عرض وجهة نظر كل من الصعد والسيد الشريف فى الاستعارة التمثيلية وحقيقة التركيب فيها والمعركة التى دارت بينهما والتعرف على أسباب الخلاف ومداه لأنه كان مثار جدل كبير انقسم معه العلماء الى فريق ينتصر للصعد وثان ينتصر للسيد وثالث يرى أن الخلاف فيما جوهريا وانما هو شكلى مما يتطلب من باحث يتعرض للافراد والتركيب فى الاستعارة أن يقف عنده ويستجلى حقيقة الأمر وهو ما أحاوله الآن .

جذور الخلاف :ـ

مما يعين على فهم حقيقة الخلاف بين الصعد والسيد فى تركيب التمثيلية البحث عن جذور هذا الخلاف حتى تتضح وجهة النظر لكل منهما ومنشأ الخلاف بينهما ليس فى الاستعارة التمثيلية وانما فى التشبيه التمثيلى فقد رأى الصعد مثلما للخطيب أن تركيب الوجه يقتضى تركب الطرفين لأن الوجه المركب لابد أن ينتزع من أمور فى المشبه والمشبه به وذلك لا يتأتى الا أن يكون الطرفان مركبين وبنا ء على ذلك ترتب الخلاف فى تركيب طرفى التمثيلية لأنها فى الأصل تشبيه تمثيلى حذف منه المشبه واستعيرت له صورة المشبه به .

وقد صرح السيد بمصدر هذا الخلاف فى شرحه للمفتاح اثناء حديث السكاكى عن التشبيه التمثيلى فقال " قد اشتهر اطلاق لفظ التمثيل على مطلق التشبيه فى عبارة الكشاف وغيره الا أنه قد يخص بقسم التشبيه وهو ما كان وجهه وصفا غير حقيقى أى غير متحقق حسا ولا عقلا وكان مع ذلك منتزعا من عدة أمور أى من عدة أمور معتبرة فى طرفيه لا من عدة أمور يتركب هو منها فان المتبادر من انتزاع وجه الشبه انتزاعه من طرفيه لا انتزاعه من أجزائه التى يتركب هو منها فعلى ما ذكرنا يكون كل واحد من طرفى التشبيه التمثيلى مركبا كما أن وجه الشبه فيه ايضا مركب وتوهم بعضهم أن المراد انتزاع وجه الشبه من عدة أمور هى أجزاؤه فلا تكفى بتركب وجه الشبه وحده فمنه تشبيه الثريا بالعنقود وتوصل بعض المكتفين بذلك

الى تجويز افراد الطرفين فى الاستعارة التمثيلية بناء على أن كل تشبيه تمثيلى اذا ترك فيه التشبيه الى الاستعارة صار استعارة تمثيلية فاذا كان الطرفان هناك مفردين كان هيهنا أيضا كذلك مع أن هذا التجويز منافيا سيأتى من تصويح المفتاح بانحصار الاستعارة التمثيلية فيما هو مركب الطرفين (١)

وقد نقلت النص كاملا للتأكيد على مصدر الخلاف الذى نشأ بين العلماء الجليلين وقد ظن البعض أن الخلاف محصور فى اجتماع التمثيلية والتبعية وليس هذا صحيحا بل هو مترتب فى الأصل على جواز افراد الطرفين أو وجوب تركيبهما فى التمثيل الذى يجىء على حد الاستعارة فما كان السعد يجيز الافراد كان قوله بجواز اجتماع التبعية مع التمثيلية منطقى من وجهة نظره أما السيد الذى يرى وجوب تركيب الطرفين فقد منع اجتماع التبعية مع التمثيلية لأن الأولى من المجاز المفرد والثانية من المجاز المركب الطرفين فلا يجتمعان .

وقد التهم ذلك على الملاحظ الدسوقى فأوهما أن كلا من السعد والسيد متفقان على تركيب الطرفين فى الاستعارة التمثيلية وأن الخلاف دائر حول ما اذا كان يشترط التصريح بتمام اللفظ المركب أو الاكتفاء ببعضه يقول الدسوقى " وأما اللفظ المستعمل فيما شبه بمعناه الاصلى تشبيه التمثيل المسمى بالمجاز المركب وبالاستعارة التمثيلية لابد فيه من كونه مركبا كما أن وجه الشبه لابد فيه من كونه مركبا ثم المراد بالتركيب المعتبر فى المجاز المركب أى تركيب كان ولا يشترط خصوص الاسنادى ولا غيره ثم هل يشترط التصريح بتمام اللفظ المركب أو يكفى الاقتصار على بعضه خلاف بين الشارح والصنف السيد فالسيد يقول لابد فى المجاز المركب من التصريح بتمام المركب الدال على الصورة المشبه بها والشارح يقول يكفى التصريح ببعضه (٢)

فكأنهما متفقان على التركيب والخلاف محصور فى وجوب التصريح بالمشبه به كله أو الاكتفاء ببعضه وليس شىء من ذلك صحيحا فهما غير متفقين على تركيب طرفى التمثيلية وليس بينهما خلاف حول جواز التصريح ببعض اجزاء المركب الدال على الصورة المشبه بها وهذا واضح كل الوضوح فى شرح السيد المفتاح أثناء حديثه

---

(١) شرح السيد المفتاح مخطوط ورقه ١١٦

(٢) حاشية الدسوقى شروح ٤ / ١٤٢

السكاكى عن الاستعارة التبعية حيث يقول " وقد تخايل لبعضهم من عبارات الكتاب أن الاستعارة المذكورة فى المثل تمثيلية فبنى على ذلك جواز اجتماع التبعية والتمثيلية وهذا تخيل فاسد جدا اذ قد صور المصنف فى صور كلامه بأن المشبه به والمستعار منه أصالة هو معنى الترجى ويعلم من ذلك مع باقى كلامه أن المشبه والمستعار له هو الارادة ثم يجرى التشبيه والاستعارة فيما بين معنى المثل حقيقة ومسنده المراد مجازا على ما تحققه ولا شك أن كل واحد من الترجى والارادة والمعنى الحقيقى والمجازى للكلمة المثل معنى مفرد كمعنى الانسان والاسد فلا يكون شئ من طرفى استعارة المثل صورة منتزعة على ما مر ودعوى كون استعارة المثل تبعية تمثيلية ناشئة من سوء الفهم والقصور فى دقائق الصناعة " (١)

ثم يصرح السيد فى حاشيته على الكشاف بجواز التصريح ببعض المركب الدال على الصورة المشبه بها ولم يوجب التصريح بتمام المركب كما يزعم الدسوقى يقول السيد " اعلم أن قوله على هدى يحتمل وجوها ثلاثة ، الأول ما مر من تشبيه تمسكهم بالهدى باستعمال المراكب ، الثانى أن تشبه هيئة منتزعة من المتقى والهدى وتمسكهم بالهيئة المنتزعة من المراكب والمركوب واعتلائه عليه فيكون هناك استعارة تمثيلية مركب كل من طرفيها لكنه لم يصرح من الألفاظ التى هى بازاء المشبه به الا بكلمة على فان مدلولها هو الممدة فى تلك الهيئة وما عداه تبع له ملاحظ معه فى ضمن ألفاظ منويه وان لم تكن مقدرة فى نظم الكلام " (٢)

فأين الخلاف اذن بين السعد والسيد فى جواز التصريح ببعض المركب او وجوب التصريح بتمامه .

على أن السيد أكد حقيقة الخلاف بينه وبين السعد فى حاشيته على المطول ايضا حيث صرح بقوله " وقد تبين مما قررناه أن الصواب هو أن طرفى التشبيه التمثيلى مركبان معنى ولفظا وأن تركيب الطرفين فى الاستعارة التمثيلية واجب قطعا ومن توهم خلاف ذلك فقد عدل عن سواء الطريق ثم أن هاهنا قصة غريبة فلنقصها عليك " (٣) ثم بدأ يناقش السيد فى قوله " أولئك على هدى من ربهم "

---

(١) شرح السيد على المفتاح مخطوط بدار الكتب ورقه ١٣٦
(٢) حاشية السيد على الكشاف ج ١ ص ١٤٢ـ١٤٣
(٣) حاشية السيد على المطول ٣٠٣

وبين وجهة نظره فى ترتيب التمثيل تشبيها واستعارة •

والدسوقى نفسه يعود بعد ذلك فيقر بحقيقة الخلاف حين يقول " واعلم أن الخلاف فى كون التمثيل يستلزم لتركيب أولا يستلزمه حاصل بين الشارح والعلامة السيد أيضا •(١)

المناظرة بين السعد والسيد :ـ

وأرى الآن ضروريا أن نذكر المناظرة التى تمت بين العالمين الجليلين فى مجلس تيمور لنك حتى تتضح لنا وجهة نظر كل منهما كاملة ونتعرف من خلالها على جوهر الخلاف وهى كما ذكرها الكفوى فى كتابه اعلام الأخيار :

" قال العلامة الزمخشرى فى تفسير الكشاف فى قوله أولئك على هدى من ربهم ومعنى الاستعلاء فى " على هدى " مثل لتمكنهم واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشئ وركبه ا • هـ • وقال العلامة التفتازانى فى حاشيته الكشاف يعنى أن هذه الاستعارة تبعية تمثيلا أما التبعية فلجريانها أولا فى متعلق معنى الحرف وأما التمثيل فلكون كل من طرفى التشبيه حالة منتزعة من عدة أمور لأنه شبهت حالهم فى اتصافهم بالهدى على سبيل التمكن والاستقرار بحال من اعتلى الشئ وركبه فتكون الصفة بمنزلة المركوب ا • هـ • فعارضه السيد الشريف فى المجلس وقال لا يخفى عليك أن متعلق معنى الحرف ههنا ـ أعنى كلمة على ـ هو الاستعلاء كما أن متعلق معنى من هو الابتداء وتعلق معنى الى هو الانتهاء ولا يلتبس أيضا أن الاستعلاء من المعانى المفردة كالضرب والقتل ونظائرهما وكذلك معنى " على " مفرد أذ لا يعنى بالمفرد فى اصطلاح القوم الا ما دل عليه بلفظ مفرد وان كان ذلك المعنى مركبا فى نفسه بدليل أن تشبيه الانسان بالاسد تشبيه مفرد بمفرد اتفاقا وان كان كل منهما ذا أجزاء كثيرة ولما صرح بأن كل واحد من طرفى التشبيه ههنا حالة منتزعة من عدة أمور لزمة ان يكون كل واحد منهما مركبا وحينئذ لا يكون معنى الاستعلاء مشبها به أصالة ولا معنى على مشبها به فى هذا التشبيه المركب الطرفين لأنهما معنيان مفردان واذا لم يكن شئ منهما

(١) حاشية الدسوقى شروح ٤ / ١٩٢

مشبها به ههنا سواء جعل جزءا من المشبه به أو خارجا عنه لم يكن شيء منهما ايضا مستعارا منه فكيف يسرى التشبيه والاستعارة من احدهما الى الاخر ه و الحاصل أن كون " على " استعارة تبعية يستلزم أن يكون متعلق معناها ـ أعنى الاستعلاء مشبها به ومستعارا منه أصالة وأن يكون معناها مشبها به ومستعارا منه تبعا وأن يكون كل واحد من طرفى التشبيه ههنا مركبا يستلزم الا يكون معنى " على " ولا متعلق معناها مشبها به ولا مستعارا منه لا تبعا ولا أصالة وتنافى اللازمين يلزم منه تنافى الملزومين فاذا جعلت استعارة تبعية لم تكن تمثيلية مركبة الطرفين قطعا وبعد ما أطنب السيد فى الاعتراض ولا يمل أوجز العلامة التفتازانى ولا يخل وقال : ان انتزاع كل واحد من طرفى التشبيه من أمور متعددة لا يستلزم تركيبا فى شيء من الطرفين بل فى مأخذهما •

فقابله السيد الشريف فى صحة هذا الأصل اللطيف وركب المجادلة والمكابرة وامتد بالمباحثة والمناظرة فقال كلامكم هذا ظاهر البطلان فان المشبه مثلا اذا انتزع من عدة أمور فلا يصح أن ينتزع بتمامه من واحد من تلك العدة لأنه اذا انتزع بتمامه من واحد منها فقد حصل المقصود الذى هو المشبه فلا معنى لانتزاعه من واحد آخر مرة أخرى بل يجب على ذلك التقدير أن يكون جزء من المشبه به مأخوذا من بعض تلك الأمور وجزء آخر من بعض آخر فيلزم تركيبه قطعا ولانهم قد أطبقوا على أن وجه الشبه فى التمثيل لا يكون الا مركبا وليس هناك ما يوجب تركبه سوى كونه منتزعا من عدة أمور فانهم عرفوا التمثيل بما وجهه منتزع من متعدد فاذا كان انتزاع وجه الشبه من أمور متعددة مستلزما لتركبه كان انتزاع كل من طرفى التشبيه

منها مستلزما لتركبهما لأن المقتضى للتركيب هو الانتزاع من أمور عدة ، وخصوصية كون المنتزع وجه شبه أو مشبها به أو مشبها طفاة من ذلك " مثلهم كمثل الذى أستوقد نارا " من تشبيه المفرد بالمفرد ، ومنهم من قال هذا التشبيه ليس تشبيها مفردا ولا مركبا ، وانما يكون كذلك لو كان تشبيه اشياء بأشياء ، وليس كذلك ، بل هو تشبيه شيء واحد ، هو حال المنافقين بشيء واحد هو حال

المستوقد نارا ، أقول : لا معنى للتشبيه المركب الا أن ينتزع كيفية من أمور متعددة ، فيشبه بكيفية أخرى كذلك فيقع في كل من الطرفين عدة أمور ربما يكون التشبيه فيها بينها ظاهرا ، لكن لا يلتفت اليه ، بل الى الهيئة الحاصلة من المجموع كما مر في قوله :

وكأن أجرام النجوم لوامعا ... درر نثرن على بساط أزرق

وهذا كلام مصرح بأن كل واحد من طرفي التشبيه اذا كان حالة منتزعة من أشياء متعددة كان مركبا ، وبأن التشبيه المركب لا يكون طرفاه الا منتزعين من أمور عدة ، فلا فرق اذن في وجود التركيب بين أن يقال : هذا تشبيه مركب بمركب وبين ان يقال هذا تشبيه منتزع من عدة أمور بمنتزع آخر من أمور اخرى ، فمنع هذا المعنى في هذا المقام مكابرة وتلبيس خوفا من شناعة الالزام ، ولذلك تشتهي الآن زيادة تحقيق وتوضيح في البيان فنقول : ان قوله تعالى "على هدى" يحتمل وجوها ثلاثة :ـ

أحدها أن يشبه الهدى بالمركب الموصل الى المقصد ، فيثبت له بعض لوازمه ، وهو الاستعلاء ، على طريقة الاستعارة بالكناية :

ثانيهما : أن يشبه تمسك المتقين بالهدى بالعتلاء الراكب في التمكن والاستقرار وحينئذ تكون كلمة "على" استعارة تبعية

ثالثهما : أن يشبه هيئة مركبة من المتقي والمهدى وتمسكه ثابتا مستقرا طيه بهيئة مركبة من الراكب والمركوب واعتلائه عليه متمكنا منه ، وعلى هذا ينبغي أن يذكر جميع الألفاظ الدالة على الهيئة الاثانية ، ويراد بها الهيئة الاولى ، فيكون مجموع تلك الالفاظ استعارة تمثيلية كل واحد من طرفيها منتزع من أمور متعددة ، فلا يكون في شيء من مفردات تلك الالفاظ تصرف بحسب هذه الاستعارة بل هي على حالها قبل الاستعارة ، فلا تكون استعارة تبعية في كلمة "على" كما ظننت كما لا استعارة تبعية في الفعل في قولك : تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، الا أنه اقتصر في الذكر من تلك الالفاظ على كلمة "على" لأن الاعتلاء هو العمدة في تلك الهيئة ، اذ بعد ملاحظته يقرب الذهن الى ملاحظة الهيئة واعتبارها ، فجعل كلمة "على" بمعونة قرائن الأحوال قرينة دالة على أن الألفاظ الأخر الدالة على سائر اجزاء تلك الهيئة مقدرة في الارادة قد دل بها على سائر الاجزاء قصدا ، كما قصد الاعتلاء بكلمة

"على" ولا مساغ لأن يقول : استميرت كلمة "على" وحدها من الهيئة الثانية للهيئة الأولى ، وذلك لأن الهيئة الثانية ليست معنى "على" ولا متعلق معناها الذى تسرى الاستعارة منه الى معناها ، والهيئة انما مفهومة هنا وحدها ، فكيف تستعار هى من الثانية للأولى ، ثم انما تخيل السيد الاعتراض من جانب المولى التفتازانى ، سارع الشريف الجرجانى الى الجواب ، فقال :ـ

فان قلت لما كان معنى الاعتلاء مستلزما لفهم المعتلى والمعتلى عليه كانت كلمة "على" دالة على مجموع الهيئة فلا حاجة الى تقدير الفاظ أخر قلت فهم المعتلى والمعتلى عليه من الاعتلاء انما يكون تبعا لا قصدا ، وذلك لا يكفى فى اعتبار الهيئة ، بل لابد أن يكون كل واحد منهما ملحوظا قصدا ـ كالاعتلاء ليعتبر هيئة مركبة منهما ، وهما من حيث أنهما ملاحظان مدلولا لفظين آخرين ، فلابد أن يكونا مقدرين فى الارادة ، و أما تقديرهما فى نظم الكلام فذلك غير واجب ، بل ربما كان تقديرهما موجبا لتغيير نظمه ، ويجوز كون الألفاظ مرادا بنويا ، وان لم يكن مقدرا فى تركيب الكلام ، وتمييز الوجه الثانى ـ أعنى أن تكون الاستعارة تبعية ـ عن الوجه الثالث ـ أعنى أن تكون الاستعارة تمثيلية ـ مبنى على تدقيق النظر فى أحوال المعانى المقصودة بالألفاظ المقدرة ، وعبارة ما يقتضيه قواعد علم البيان ، فمن ثمة زلت فيه اقدام الأقوام فضلوا و أضلوا .

ثم قال التفتازانى

فعلى أى هذه الوجوه تحمل كلام السلامة ؟

فقال الشريف الجرجانى :

على الوجه الثانى ، فانه جعل المشبه به اعتلاء الراكب ، و يعلم من ذلك أن المشبه هو التمسك بالهدى ، وأن وجه الشبه هو التمكن والاستقرار ، و أما قوله : مثل ، فمعناه تمثيل ، أى تصوير فان المقصود من الاستعارة تصوير المشبه بصورة المشبه به ، بل تصوير وصف المشبه بصورة وصف المشبه به مثلا اذا قلت رأيت أسدا يرمى : فقد صورت الشجاع فى صورة الأسد ، بل صورت شجاعته بصورة جرأته ، ولما كان المقصود الأعلى تصوير ما فى المشبه من وجه الشبه قدم التمكن والاستقرار على التمسك الذى هو المشبه ، وانما قال : ومعنى الاستعلاء تنبيها على أن

استعارة اللفظ تابعة لاستعارة المعنى ، فتكون مفيدة للمبالغة ، ثم قال الشريف : فان قلت قد تبين لنا مما قررت أن الصواب هو أن طرفى التشبيه التمثيلى مركبان معنى ولفظا كما صرح به فى الايضاح ، ويشهد به المفتاح ، وتبين أيضا أن الاستعارة التهمية فى كلمة "على" لا تجامع التمثيلية أصلا ، فما حال التهمية فى سائر الحروف والأفعال والأسماء المتعلقة بها ، قلت : هى لا تجامع التمثيلية فى شئ منها ، وذلك لأن معانى الحروف كلها مفردات ، لكونها مداولة لألفاظ مفردة ، وكذا متعلقات معانيها من حيث أنها مفهومة من تلك الحروف ومعانى الأفعال ومصادرها ، والأسماء المشتقة منها كلها مفردات أيضا كما ذكرنا ، وايضا شئ من هذه المعانى هيئة مركبة ، ولا حالة منتزعة من عدة أمور ، فلا يقع شئ منها مشبها به أصالة ولا تبعا فى الاستعارة التمثيلية :

فقال التفتازانى :-

لا يقال الاستعارة التهمية الحرفية لا تكون تمثيلية ، لأنها تستلزم كون كل من الطرفين مركبا ، ومتعلق معنى الحرف لا يكون الا مفردا ، لأنا نقول : كلتا الحالتين فى حيز المنع ، فان معنى التمثيل على تشبيه الحالة ، بل وصف صورة منتزعة من عدة أمور بوصف صورة أخرى ، وهذا لا يوجب الا اعتبار التعدد فى المأخذ ، لا فيه نفسه ، فلا ينافى كونهما متعلق معنى الحرف .

فتابعه الشريف وقال :-

وانت بعد ما خبرتك بتحقيق ما سلف من وجود افراد متعلقات معانى الحروف ووجوب تركبها ينتزع من أمور متعددة ، تعلم سقوط هذين المضمنين مما سقوطا لا مرية فيه ولا خفاء ، ومع هذا عبارتك هذه مختلفة أيضا ، فان لفظ الوصف فى الموضعين مستدرك ، بل الصواب أن يقال بل صورة منتزعة من عدة أمور لصورة أخرى فان المشبه - مثلا - هو الصورة المنتزعة - لا وصفها فرجع الحكم الضمان كلام الشريف على سعد الزمان ، فعند الامتحان يكرم المرء او يهان ، وهكذا سمعته من أصحاب المقال ، وأخذته من افواه الرجال . (١)

(١) اعلام الأخيار ورقة ٤٣٥ وما بعدها

رأى الباحث فى هذه المناظرة :ـ

بعد أن ذكرت هذه المناظرة كاملة كان لابد من ابداء الرأى فيها وتوضيح حقيقة الخلاف بين المتناظرين وذلك من خلال الحقائق الآتية :

أولا : أن منشأ الخلاف كما يتضح من المناظرة راجع الى اختلافهما وترتب على ذلك وتركيب الطرفين جواز اجتماع التبعية مع التمثيلية عند السمد لأنه لا تنافى بينهما حيث ان كلا من الطرفين مفردا ن وان تعدد المأخذ بينما منع السيد ذلك لأن طرفى التمثيلية مركبان بخلاف التبعية فهما مفردا ن ففى اجتماعهما تناقضه يؤكد ذلك قول السمد " ان انتزاع كل واحد من طرفى التشبيه من أمور متعددة لا يستلزم تركيبا فى شىء من الطرفين بل فى مأخذهما " وهذا هو مصدر الخلاف الاساسى .

ثانيا : أن كلا من السمد والسيد متفقان على جواز التبعية والتمثيلية فى الآية والخلاف هو فى اجتماعهما معا . كما هو واضح

ثالثا : أن كلام الزمخشرى يمكن حمله على وجه لا يختلف فيه السمد والسيد وهو أن تكون الآية من الاستعارة التمثيلية وهذا يتضح من قول الزمخشرى " مثل تمكنهم واستقرارهم عليه " فالتعبير بالمثل يستعمل غالبا عند الزمخشرى فى التمثيل الذى يجىء على حد الاستعارة وتوضيحه للطرفين ينهى عن تركيبهما حيث يقول

شبهت حالهم بحال من اعتلى الشىء وركبه " فالمشبه هو حال المتقين من تمسكهم بالهدى واستقرارهم عليه وليس المشبه كما يقول السيد هو التمسك بالهدى ولا داعى لحمل كلام الزمخشرى على الاستعارة التبعية كما يرى السيد ولا داعى الى القول انها تمثيلية تبعية كما يقول السمد . اذ ليس فى تعبير الزمخشرى تصريح بالتبعية .

رابعا : أن الزمخشرى لا يرى اجتماع التبعية والتمثيلية حتى يكون السمد الحق فى فهم ذلك منه ودليلى ما قاله الزمخشرى فى قوله تعالى " ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة " فقد وضع الزمخشرى رأيه فى

قوله تعليقا على الآية " لا ختم ولا تغشيه على الحقيقة وانما هو من بـــاب المجاز ويحتمل أن يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل أما الاستعارة فلأن تجعل قلوبهم لأن الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبـــل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله و اعتقاده واسماعهم لأنها تجـــــه وتنهو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كأنه مستوثق منها بالختم وابصارهـــم لأنها لا تجتلى آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعيـــن المعتبرين المستبصرين كأنما غطى عليها وحيل بينها و بين الادراك والـــى التمثيل فأن تمثل حيث لم ينتفعوا منها فى الأغراض الدينية التى كلفوهـــا وخلقوا من أجلها بما شبه ضرب حجاب بينها و بين الانتفاع بها بالختـــم والتغطية " فكلام الزمخشرى يجيز احد الاحتمالين لا اجتماعهما كمـــا يمنع ذلك فى بعض التشبيهات المركبة حين يجيز تفريقها وأوضح من ذلك ما صرح به فى قوله تعالى " و اعتصموا بحبل الله جميعا " حيث قـــال " قولهم اعتصمت بحبله يجوز أن يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايتـــه بامتساك المتدلى من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وأن يكون الحبـــل استعارة لعهده و الاعتصام لوثوقه بالعهد أو ترشيحا لاستعارة الجبـــل بما يناسبه "(١) فهذا صريح فى جواز الاستعارة والتمثيل على الانفـــراد لا على الاجتماع .

وبذلك نأتى اقتضاء السيد فى جواز التمثيل والتهمية فى الآية علـــى التبادل لا على الاجتماع كما يتضح من كلام الزمخشرى وكما يقتضيه كـــلام السيد نفسه فى شرحه للمفتاح حيث يقول " ومن الأمثلة اشارة الســـى نوع آخر من الاستعارة التمثيلية التحقيقية التى تسمى التمثيل على سبيـــل الاستعارة وحاصله أن تشبه صورة منتزعة من عدة أمور بصورة اخرى كذلك ثـــم يدعى دخول الأولى فى جنس الثانية تصلا الى المبالغة فى التشبيه ثـــم يطلق الكلام الدال عليها على الصورة المشبهة بمجرى التجوز فى مجمـــوع الكلام لا فى شئ من مفرداتها كما نقول .

(١) الكشاف ج ١ صـــ ١٥٨ المطبعة البهيه

المفتى المتردد فى جواب الفتوى اراك تقدم رجلا وتؤخر أخرى تشبيهـــا بحال من يريد الذهاب فى أمر فيقدم رجلا فلا يريد فيؤخر أخـــرى "(١)

واوضح من ذلك دلالة على ما يفيد عدم اجتماع التهمية والتمثيليـــة وهو فى نظرى أخطر ما يواجه به السعد قوله فى شرح المفتاح "وقدمنـــا الى ما علموا أى اخذنا فى جزء اعمالهم بعد الامهال ، والاستعـــارة تصريحية تهمية طرفاها والجامع وكلها عقلية فان قيل المجرى من تمثيـــل الحركة وهى حسية قلنا الاستعارة منه ليس مجرد المجرى الذى هـــو الحركة بل بقيد كونه للمسافر وبعد مدة ولهذا قد نذهب الى أن الاستعارة تمثيلية لا قدوم ولا ما يشبه القدوم بل مثلت حال هؤلاء واعمالهم التـــى علموها فى كفرهم من صلة رحم واغاثة ملهوف وقرى ضيف ومن على أســـير وغير ذلك من مكارمهم ومحاسنهم بخلاف قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليـــه فقدم الى أسبابهم وقصد فأفسدها ومزقها كل ممزق "(٢)

فالسعد هنا يذهب الى أن الآية استعارة تمثيلية وفى الوقت نفســـه يرفض أن تكون تهمية فلا قدوم ولا ما يشبه القدوم وهذا هو ما يقول به السعد خامسا : وأرى مع ذلك أن الخلاف بينهما يكاد يكون شكليا فيما يختص بتركيب طرفـــى التمثيلية فهما يلتقيان حول تركيبهما فى المعنى . أما فى اللفظ فهذا هـــو موضع الخلاف حيث يشترط السعد أن يكونا مركبين لفظا فاذا وجد لفظ واحد وفهم منه التمثيل كانت هناك الفاظ مقصودة ومنوية فى الارادة بينما يـــرى السعد أن هذا المعنى المركب قد فهم من اللفظ المفرد وحده دون حاجـــة الى تقدير ألفاظ اخرى لأن تعدد المنتزع لا يستوجب تعدد المأخذ . وهذا ما صرح به السعد تعليقا على قول الزمخشرى فى حديث الرسول "ان اللـــه حيى كريم يستحيى اذا رفع اليه العبد يديه أن يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا " يقول الزمخشرى " هو جار على سبيل التمثيل متـــى

---

(١) شرح السعد للمفتاح مخطوط بدار الكتب
(٢) شرح السعد للمفتاح مخطوط بدار الكتب

تركه تخييب العبد وأنه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يتـــــرك رد المحتاج اليه حياء منه "

فقال السعد " قوله هو جار على سبيل التمثيل أى الاستعارة التمثيلية وبـــــين التشبيه فى المصدر تنويها على أنه استعارة تهمية وبه ظهر أن المستعار فى الاستعـــارة التمثيلية قد يكون لفظا مفردا دالا على معنى مركب "

وقد حدد المولى خسرو فيما نقله عنه الانبابى هذا الخلاف وحصره بما ينبىء عـــن أنه شكلى حيث قال " والحاصل أن التعدد فى الجملة معتبر فى طرفى التمثيليـــــة الا أن الدال على الطرف هل يجب أن يكون ألفاظا بعضها محقق وبعضها مخهـــــل ينوى فى الارادة بلا ذكر ولا تقدير ، اذ تقديره قد يوجب تغيير النظم ومع ذلـــــك يسمى مركبا أو يكفى أن يكون لفظا مفردا يعتبر فى مدلوله التعدد ولو بحسب القرينة الخارجية "(١) والطوبح فالأول هو ما يراه السيد والثانى ما يراه السعد مما يؤكـــــد اتفاقهما على تركيب المعنى وان يبقى الخلاف بينهما فى تركب اللفظ مما ترتب عليه القـــول باجتماع التهمية والتمثيلية أو امتناعهما • وهذا ما صرح به الانبابى حيث قـــــال " أفاد كلامه أن كلا من المشبه والمشبه به ووجه الشبه فى الاستعارة التمثيلية يجـــب أن يكون منتزعا من متعدد و هذا باتفاق وأما اللفظ المستعار فكلامه فى المتزوفيـــــد أنه لابد أن يكون مركبا يدل جزؤه على جزء معناه حتى يدل على جميع الاجزاء التـــى انتزعت منها الهيئة وهذا هو مذهب السيد وفرع عليه امتناع التهمية والتمثيلية وذهـــب السعد الى أنه لا يشترط ذلك بل يكفى أن يعبر عن تلك الهيئة بما انتزاعها بلفـــظ مفرد يدل عليها اجمالا اما بالوضع او كثرة الاستعمال او قرينة الحال وفرع عليه جـــواز التهمية والتمثيلية "(٢)

المولى خسرو و دفاع عن السعـــــد :ـ

حاول المولى خسرو الدفاع عن السعد وتصحيح كلامه فى فهم المعنى المركـــــب

---

(١) حاشية الانبابى على الرسالة الميانية صـ ٤٦١

(٢) حاشيه الدنبابى على رسالة الميان صـ ٢١ ــ ٢٢

من اللفظ المفرد فقال ــ كما نقله الانبابى ــ " وقوله تعالى " أولئك على هدى من ربهم " يجوز أن يعتبر فيه التوصية وحدها وأن يعتبر معها التمثيل وبذلك جاز أن تعتبر هيئة منتزعة من المتقى والهدى وتمسكه به مشبهة بهيئة منتزعة من التراكب والمركب والاعتلاء عليه مفهومة من حرف الاستعلاء بعضها وهو الاعتلاء بالمطابقة والباقى بالالتزام فتحصل التمثيلية بلا تركب فى اللفظ المستعار "(١)

وواضح من دفاع الدرلى خسرو عن السعد أنه يرى تركب المعنى فى التمثيلية واجبا وأن فهم التركيب من اللفظ المفرد باعتبار تعدد دلالاته فهو يدل على معناه بالمطابقة وعلى التراكب والمركب بالالتزام لأن الاعتلاء يتطلب بالالتزام معتلى ومعتلى عليه فاللفظ مفرد ولكن دلالاته متعددة .

وأقول ان هذا ليس جديدا عما يقول به السعد الذى يرى أن كلا من التراكب والمركب مقصود فى الهيئة غاية الأمر أن القصد الى الألفاظ بذاتها عند السعد وبالالتزام من دلالة الاعتلاء عند المولى خسرو وفى ذلك تقريب لوجهة النظر بين السعد والسعد وليس هناك خلاف ان ادعى خسرو انه يدافع عن السعد .

الانبابى ورأيه فى التركيب :ــ

أحس الانبابى بأن المولى خسرو ــ زميله فى قضية الدفاع عن السعد ــ قد اقترب من السعد اقترابا يحول سير القضية الى الخصم لأن القول بأن اعتبارات التركيب مرجعها دلالة اللفظ على معناه بالمطابقة وعلى المعانى الأخرى بالالتزام يعد اقترابا من رأى السعد وبعدا عن مراد السعد . ومن ثم فان الانبابى طلب الكلمة ليصحح لزميله خسرو مفهوم السعد للتركيب وجاء برأى جديد فى التركيب مستوحى من العلامة عبد الحكيم وهو أن التركيب هنا اضافى يقول الانبابى " ولا يخفى عليك بعد ما مر انه لا حاجة فى تصحيح كلام السعد الى ذلك لانه لم يدع أن على مستعارة من هيئة مركبة الى هيئة أخرى كذلك بل جعلها مستعارة استعارة تمثيلية من حالة اضافية منتزعة من أمر بالقيام الى آخر هى استعلاء الراكب على المركب لحالة اضافية كذلك

---

(١) حاشية الانبابى على الرسالة الجلبية صـ ٤٦٠

هى تمسك المتقين بالهدى وفى كلام السعد فى حواشى يعد ما مر عنه ما هـــو صريح فى ذلك فالمشبه هو التمسك المقيد وكل من المتقين والهدى قيد له لا جـزء منه والا لم كون على مستعملة فى الهيئة المركبة من الثلاثة مع أن الهدى مصرح بـه فى التركيب والمتقين مشار اليهم بأولئك والمشبه به هو الاستعمال المقيد وكل من المراكب والمركب مقيد له لا جزء منه حتى يقال أن على تدل على كل منهما بالالتزام فهى غير موضوعة لهما حتى تستعار من الهيئة المركبة من الاستعمال ومنهما "(١)

فكأنى بالانبابى يريد أن يقول ان الطرفين فى التمثيلية من المفرد المقيـد وهذا فى نظرى يجعل الانبابى فى فهمه الذى ينسبه الى السعد اشد قوة مـن السعد لانى سبق أن اشرت فى الحديث عن التقييد أن الفرق بين المقيد والمركـب أمر ليس له ضوابط علمية باعتراف الجميع وأن مرجعه الى الذوق والاذواق لا تنضبـط مما جعلنى ادعو الى الغاء القول بفصل التقييد عن التركيب ووجوب جعلهما قسما واحدا يطلق عليه المركب •

رأى المصلم فى التركيب :ـ

قال المصلم فى شرحه للسمرقندية مفسرا التركيب فى التمثيلية " وحقيقتـــه أن تؤخذ أمور متعددة من المشبه وتجمع فى الخاطر وكذا من المشبه به ويجعـــل المجموعان مشتركين فى مجموع منتزع يشملهما "(٢)

وقد نقل الصبان فى رسالته البيانية رأى المصلم فى التركيب فقال " قال المصلم فى رسالته الفارسية ليس المراد بالمركب هنا المركب بالمعنى المشهور له أعنـــى ما يدل جزؤه على جزء معناه بل المراد من الاستعارة المركبة اللفظ المستعـــار الصورة منتزعة من أمور متعددة من صورة كذلك لعلاقة المشابهة بين الصورتين فى صورة كذلك ثم ذكر ان الصورة المنتزعة هى الهيئة الحاصلة من احضار معانى اجزاء العبارة فى الذهن وملاحظة خصوص بعضها الى بعض وتضامها بحيث تلبسها جميعا من الوحـــدة

---

(١) حاشية الانبابى على الرسالة البيانية صـ ٤٦١
(٢) شرح المصلم بحاشية الصبان صـ ١٢٣

فمعنى الانتزاع هو الاحضار والملاحظة المذكورة ن قال معربها وعلى هذا يمكن أن يعبر عن تلك الهيئة المنتزعة بعد انتزاعها بلفظ مفرد يدل عليها اجمالا اما بالوضع أو كثرة الاستعمال أو قرينة الحال فلا يجب أن يكون اللفظ المستعار من أحد الطرفين للآخر مركبا بالمعنى المشهور المركب وهذا مائل الى مذهب العلامة التفتازانى حيث جوز أن يكون اللفظ المستعار فى التمثيلية مفردا وفرع على هذا التجويز اجتماع التمثيلية والتهمية بخلاف السيد • (١)

ويستفاد من كلام المصلم أنه يتفق مع السيد فى اشتراط تركيب الطرفين ولكنه يختلف معه فى تفسير التركيب الذى هو عنده عملية ذهنية بمقتضاها يتم فى المخيلة احضار معان تركيبية ثم يعبر عنها فى النهاية بلفظ مفرد يدل عليها اجمالا وقرينه الوضع او الحال او الاستعمال توضح التركيب •

واعتقد أن الشريف لو عرض عليه ما يراه المصلم لما رفضه ولما عده بعيدا عن مذهبه وعلى الرغم من أن المصلم قد اطنب الحديث تأييدا للسعد ورد مذهب السيد فانى ارى انه بهذا التفسير للتركيب اقترب كثيرا من السيد حيث ان عملية الاحضار الذهنية للمعانى المركبة والتعبير عنها بلفظ مفرد كما هو تفسير المصلم ليست ببعيدة فى مضمونها عما قال به السيد فى جواز التعبير عن المشبه به المركب بالفاظ يذكر بعضها ويكون الاخر مرادا وان منح النظم من تقديره على أن يكون المذكور عدة ودليلا على المحذوف ، فاذا كانت عملية الاحضار الذهنية بعيدا عن رؤية الالفاظ التى هى منوية ومقصودة فكذلك عملية التعبير الجزء من اجزاء الطرف وارادة اجزائه الاخرى ايضا تتم بعيدا عن رؤية الالفاظ المرادة ضرورة ان النظم يمنح تقديرها وظهورها وفى كلا الامرين ليس معنا الا لفظ واحد يدل اجمالا على الهيئة بعد انتزاعها كما يقول المصلم او يدل بالتعاون مع الفاظ مقصورة بقرينة على هذه الهيئة •

وكلام السيد فى بيان التمثيل فى قوله تعالى اولئك " يشير بوضوح الى الملاحظة الذهنية حيث يقول " اختصر فى الذكر من تلك الالفاظ على كلمة " على " لان الاعتماد هو العمدة فى تلك الهيئة اذ بعد ملاحظته يقرب الذهن الى ملاحظة الهيئة واعتبارها

---

(١) الرسالة الشافية ص ٤٥٤

فجعل كلمة "على" بمعونة قرائن الأحوال قرينة دالة على ان الالفاظ الأخرى الدالـــة على سائر تلك الهيئة مقدرة فى الارادة "(١)

ولو أننا طلبنا من المصمم رأيه فيما اذا كانت العملية الذهنية من احضار المعانى الجزئيه والتعبير عنها بلفظ مفرد تمنح أن تكون هذه الالفاظ معتبرة منوية لأجاب بالنفـــى ويصبح الأمر بعد ذلك خلافا شكليا لا أثر له فى المضمون •

وأخيرا فان الخلاف الذى دار بين السعد والسيد وأنصارهما لم يكن خلوا مـــن الفائدة • فقد كشف عن الثراء الفنى فى التصوير القرآنى الذى يتيح تعدد الرؤى وتنوع المناظر من خلال تعدد زوايا الرصد بحيث ترى الصورة الواحدة وقد أصبحت عدة صـــور فنية شائقة • كما رأينا ذلك فى امكان الاستعارة التمثيلية والمكنية والتخييلية فى الآية التى دارت حولها المناظرة كما أن هذا الخلاف أكد دقة هؤلاء العلماء ووقوفهم الطويـــل أمام الصورة فى سبيل استكشاف خطوطها وملامحها وهو أمر لا يمكن تجاهله •

ومن ثم فان الهجوم على السعد والسيد بسبب هذه المناظرة يعوزه كثير من الانصـاف وأغـرب شىء أن نجد الدكتور فوزى السيد يثبت فى دراسته وتحقيقه لحاشية السعـــد المناظرة كاملة ثم يعد برأى فيها ولكنه يفاجئنا بأنها جدل عابث واستجابة لنوازع الهوى "اذ لا يليق بعالمين جليلين أن يعرضـا أنفسهما لمثل هذا الجدل الذى يطمئن جهدا أنه لا طائل تحته ولا فائدة وراءه وأنه يحط من قيمة العلم والعلماء فى نظـــر المقدم "(٢)

وهذا درس فى السلوك وليس رأيا فى المناظرة وكان حريا بالباحث ألا ينفى وقتـــه و يقتطع من بحثه صفحات نحيا يرى أنه عبث لا طائل تحته •

---

(١) حاشية السيد على المطول صـ ٣٩٥

(٢) تحقيق الجزء الثانى من حاشية سعد الدين على الكشاف صـ ١٨٥

خاتمـــــــة

كشفت هذه الدراسة التى تناولت موضوع الافـــراد والتركيب من خلال نشأته وتطوره عن بعض النتائج الهامـــة

أولا :ـ أن مباحث علم البيان من تشبيه واستعارة وكناية حظيت باهتمام المبدعين والنقاد منذ زمن بعيد وكانت تشكل أهم الأسس التى تقوم بها النصـــوص الأدبية وتوزن بها قدرة الشاعر على الابداع والتصويـــر

ثانيـــا :ـ أن النظر الى افراد الصورة أو تركيبها فى التشبيه والاستعارة و اكســب الابداع الفنى فى الأدب العربى منذ العصر الجاهلى كما اشار الى ذلـــك امرؤ القيس فى الرواية التى أثبتنا هـــا .

ثالثـــا :ـ صحب نزول القرآن الكريم تطور فى البيان العربى من خلال المصطلحـــات التى وردت فى تفسير آياته وكا ن أشهرها مصطلح المثل الذى يحمـــل دلالة التركيب سواء فى اطلاقه على ما عرف بالتشبيه التمثيلى أو الاستعـــارة التمثيلية .

رابعـــا :ـ كان تعدد التشبيه مقياسا معروفا لدى علماء اللغة والنقاد الأوائـــل يقيسون به جودة الشاعر وتفوقه مما يدل على البداية المبكرة فى البحث عـــن أطراف التشبيه افرادا وتعددا .

خامسا :ـ عرف هؤلاء العلماء والنقاد التشبيه المقيد ووضحوا فى احاديثهم أثـــر القيد فى بنية التشبيه وغرضه ولكن هذا المصطلح لم يعرف الا فى القـــرن الرابع حيث عقد ابن فارس فصلا خاصا تحدث فيه عن الاطلاق والتقييـــد وميز كلا منهما .

و كان الخطيب أول من فصل المقيد عن المركب مدفوعا ببعض أســـباب ذكرناها وان كان هذا الفصل لا يقوم على أساس علمى صحيح مما دفعنا الى رفض فكرة الفصل بين التقييد .

سادسا :ـ كشفت هذه الدراسة لأول مرة فى تاريخ البلاغة عن كتابين لهما أهمية بالغة فى نشأة علم البيان وتطوره وهما المعانى الكبير لابن قتيبة وصانى الشعر للأشناندانى وقد كان لذلك أثره فى تفسير بعض الظواهر البلاغية والنقدية وتصحيح بعض المفاهيم كما توصلت فى دراسة بعض المؤلفات التى لم تنل حظها الكافى من الدراسة مثل كتاب النقائض بين جرير والفرزدق .

سابعا :ـ نتيجة لاستقصاء مبحث الافراد والتركيب فى التمثيل ظهر أن آراء العلماء فى التفريق بين التشبيه والتمثيل تنحصر فى ستة مذاهب وليست أربعة كما هو الاعتقاد السائد وهى

١ـ مذهب عبد القاهر ٢ ـ مذهب السرازى

٣ـ مذهب السكاكى ٤ ـ مذهب الشيرازى والخطيب والجمهور

٥ ـ مذهب السيد الشريف ٦ ـ مذهب الزمخشرى وابن الأثير

ثامنا :ـ كان للمنهج الذى سلكته فى تتبع التركيب فى التمثيل ثم فى الاستعارة التمثيلية وتحديد آراء العلماء فيهما أثر كبير فى الوصول الى أسباب الخلاف وأبعاده الحقيقية فى المعركة التى دارت بين السعد والسيد حول اجتماع التبعية والتمثيلية وقد أعانى ذلك على حصر هذا الخلاف وتقويمه .

وبعد : فقد أعطت هذه الدراسة صورة واضحة لملامح الافراد والتركيب وكشفت عن دوره فى تحديد مباحث علم البيان وأظهرت الجهود التى بذلها العلماء واسهامهم فى نماء هذا الموضوع وتطوره .

والله أسأل أن يجعل هذا الجهد خالصا لوجهه والا يحرمنى أجر المجتهدين ؛

المصـــــادر والمـراجـــــع

(١) ابو زكريا الفراء ومذهبه فى النحو واللغة • د • احمد مكى الانصـــــــارى
رسالة دكتوراه • المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب

(٢) ابو هلال العسكرى ومقاييسه البلاغيـــة • د • بدوى طبانـــــــه
طبعة ١٣٧١ هـــ

(٣) اثر القرآن فى تطور البلاغه العربيـــه ــ د • كامل الخولـــــــى
دار الانوار للطباعه والنشـــــر ١٩٦٢م

(٤) اثر القرآن فى تطور النقد العربى الى آخر القرن الرابع الهجـــــــرى
د • محمد زغـــول سلام
دار المعارف الطبعه الثالثـــــــه

(٥) أثر النحاة فى البحث البلاغـــــــى : د • عبد القادر حســـــين
دار النهضـــــــــــــــــه

(٦) اخبار ابى تمام لابى بكر محمد بن يحيى الصولى
لجنه التأليف والترجمه والنشـــــــــر ١٣٥٦ هـــ

(٧) اسرار البلاغه • الامام عبد القاهر الجرجانـــى
تعليق السيد محمد رشيد رضا • مكتبه القاهره • الطبعة السادســـة
١٣٧٩ هـــ

(٨) اعجاز القرآن • لابى بكر محمد الباقلانـــــــى
المطبعه السلفية بالقاهـــــــرة ١٣٤٩ هـــ

(٩) اعراب القـــرآن • المنسوب الى الزجـــــــاج
تحقيق ابراهيم الابيارى • المؤسسه المصريه العامه ١٩٦٣ م

(١٠) اعلام الأخبـــــار • الكفـــوى
مخطوط بدار الكتب تحت رقـم ٣٨٤ تاريخ

(١١) الأطـــــول : عصام الدين • المطبعة العامـــــرة ١٢٨٤ هـــ

(١٢) الأقصى القريب • التنوخـــــى
مطبعه السعادة بمصر • الطبعه الاولـــــى ١٣٢٧ هـــ
(١٣) امالى على عبد الرازق فى علم البيان وتاريخه • بغـــداد • ١٣٣٠ هـــ
(١٤) الايضـــاح • الخطيب القزوينـــى
شروح التلخيص • مطبعة السعـــادة ١٣٤٢ هـــ
(١٥) الباقلانى وجهوده فى البلاغه والنقد
• عبده احمد هليـــل مخطوطه بمكتبة كلية اللغة العربية ١٩٧٦م
(١٦) البرهان فى وجوه البيان لأبى الحسن اسحاق ابن وهبا الكاتـــب
تحقيق د • احمد مطلـــوب • د• خديجه الحديثـــى
ط • بغـــداد ١٩٦٧م
(١٧) بلاغة أرســـطو د• ابراهيم سلامـــــه
الطبعه الثانية ١٣٧١ هـ ــ ١٩٥٢م مكتبة الأنجلو المصريـــــه
(١٨) البلاغة تطور وتاريخ د• شوقى ضيـــــف
الطبعه الثانيه • دار المعـــــارف
(١٩) البلاغه عند السكاكى د• أحمد مطلـــــوب
دار التضامن ــ بغداد ــ مكتبة النهضة ١٩٦٤م
(٢٠) البلاغه العربيه فى دور نشأتها • سيد نوفـــل
مكتبة النهضـــــــــة ١٩٤٨م
(٢١) البلاغه العربية نشأتها وتطورها • د • حفنى محمد شـــرف
المطبعه العثمانية • مكتبة الشـــــباب ١٩٧٣م
(٢٢) البلاغة العربية وأثر الفلسفة فيها • أمين الخولـــــــى
طـ ١٣٤٩ هـــ
(٢٣) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى وأثرها فى الدراسات البلاغية
د • محمد حسنين ابو موســى طـ دار الفكـــر
(٢٤) البيان العربى د• بدوى طبانـــه
الطبعه الرابعـــه • مكتبة الأنجلو المصريه ١٣٨٨ هـــ

(٢٥) البيان القرآنى د٠ محمد رجب البيومى
ط مجمع البحوث الاسلامية ١٩٧١م
(٢٦) البيان والتبين الجاحظ
تحقيق عبد السلام هارون ١٩٦٨م
(٢٧) تاج العروس٠ محمد مرتضى الحسينى الواسطى
مطابع بيروت ١٩٦٦م
(٢٨) تاريخ البلاغه العربيه الى نهاية القرن الرابع الهجرى
مخطوطة بكلية اللغه العربيه رقم ٨٢٢٨ ا حمد ابراهيم الشمراوى
(٢٩) تاريخ النقد العربى الى القرن الرابع الهجرى ٠ د٠ محمد زغلول سلام
دار المعارف بمصر ١٩٦٤
(٣٠) تاريخ النقد العربى من القرن الخامس الى العاشر
د٠ محمد زغلول سلام ط دار المعارف
(٣١) تأويل مختلف الحديث ٠ ابن قتيبة ٠ مطبعه كردستان العلميه ١٣٢٦هـ
(٣٢) تأويل مشكل القرآن ٠ ابن قتيبة ٠ تحقيق السيد صقر دار احياء الكتب العربيه
(٣٣) التشبيه بين عبد القاهر وابن الاثير
د ٠ محمد عبد الرحمن الكردى ١٣٩١هـ مطبعة السعاده
(٣٤) تحقيق الجزء الثانى من حاشيه السعد على الكشاف
د ٠ نوزى السيد
رسالة دكتوراه مخطوطة بكلية اللغه العربيه
(٣٥) التشبيه فى القرون الأربعة الهجريه واثر القرآن وعلم الكلام فيه
محمود شريف الخياط مخطوط بمكتبة جامعه القاهره
(٣٦) التعبير الفنى فى القرآن د٠ بكرى امين دار الشروق الطبعه الثانيه
(٣٧) تفسير ابى السعود المطبعه العامرة الشرقيه الأولى ١٣٠٨ هـ
(٣٨) تفسير الطبرى ٠ تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر
دار المعارف ١٣٧٤
(٣٩) تلخيص المفتاح ٠ الخطيب القزوينى ٠ الآستانه ١٣١٢ هـ

(٤٠) التشبيه على حدوث التصحيف • حمزه بن الحسن الاصفهانـــــــى
مطبوعات مجمع اللغه العربيه بدمشق
تحقيق محمد أ سمـــــــــــــــد ١٩٦٨م
(٤١) الجامع الكبير فى صناعة المنظوم والمنثور • ضياء الدين بن الاثيـــــــر
تحقيق د• مصطفى جواد • د• جميل سعيد المجمع العلمى العراقى
(٤٢) الجامع لعلم القرآن لأبى الحسن على بن عيسى الرمانـــــــــــــى
جزءان بمعهد المخطوطات ا اجزء العاشر • فيلم عن نسخة خطيـــــه
مخطوط بمكتبه طشقنـــــــد رقـــــم ٣١٣٧
الجزء الثانى عشر • فيلم عن نسخة مخطوطة بمكتبة المسجد الأقصـــــى
(٤٣) حاشيه الانبابى على شرح الدردير على رسالته فى علم البيـــــــان
مطبعه فرج الله زكى الكردى بمصـــــــــر •
(٤٤) حاشيه الانبابى على الرساله البيانيـــــــــــــــه
الشيخ محمد الانبابى المطبعه الاميريه ببولاق مصر ١٣١٥ هـــ
(٤٥) حاشيه الدسوقـــــى شروح التلخيص مطبعه السعاده ١٣٤٢ هـ
(٤٦) حاشيه السيد على الكشاف للسيد الشريف مطبعه الحلبى ١٣٨٥هـ
(٤٧) حاشيه السيد على المطول للسيد الشريف المطبعه العامره ١٣٣٠ هـ
(٤٨) حاشيه الصبان على شرح الصمام على السمرقنديـــه
المطبعه الميمنيه ١٢٩٩ هـــــ
(٤٩) حاشيه عبد الحكيم : عبد الحكيم السيالكوتـــــى
فيض الفتاح على حواش شرح تلخيص المفتاح
مطبعه والده عباس الأول • الطبعه الاولـــــــى ١٩٠٧م
(٥٠) حـليه المحاضره فى صناعه الشعـــــــــــــــر
تحقيق جعفر الطيار الكتانـــــــــــى
رسالة ماجستير مخطوطه بجامعه القاهـــــــــره
(٥١) الحيـــــوان : الجاحظ • الطبعـــــــــى
مطبعه السعادة بمصر ١٩٠٧م

(٥٢) خصائص التصوير فى القرآن الكريم وسماته البلاغيـــه
رساله دكتوراه مخطوطه بكليه اللغه العربيه
د • عبد العظيم ابراهـــــــــيم ١٩٧٣م
(٥٣) الخيال فى الشعر العربى • السيد محمد الخضر حســين
مطبعه الرحمانيـــــــه ١٩٢٢م
(٥٤) دراسات تفصيلية شاملـــه • المرحوم عبد الهادى المدل
الطبعه الثالثـــــــه
(٥٥) دلائل الاعجـــاز • الامام عبد القاهر الجرجانـــــى
تعليق المرحوم رشـــــيد رضـــــا
مكتبه القاهـــــــره ١٣٨١ م
(٥٦) رسالة الشيخ محمد الصبان فى علم البيـــــــان
المطبعة الأميرية ببولاق مصـــــر ١٣١٥هـ
(٥٧) رساله على بحث التشبيه • محمد بن عثمان الحلبى الأطول
أستانبـــــــول ١٢٤٣هـ
(٥٨) سر الفصاحه للأمير ابى محمد عبد الله بن محمد بن سنان الخفاجـــى
المطبعه الرحمانيه بمصـــــر ١٣٥٠ هـ
(٥٩) السمرقندية لأبى القاسم بن ابى بكر السمرقنـــــــدى
الآستانـــــــــه ١٣٠٧ هـ
(٦٠) شرح القسم الثالث من المفتاح للسعد • مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٢١ ق بلاغه
(٦١) شرح القسم الثالث من المفتاح للسيد الشريـــــــــف
مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٦٠ بلاغـــه
(٦٢) شرح الامصام على السمرقنديه • المطبعه الميمنيه بمصـــــر ١٢٩٩ هـ
(٦٣) شرح الدردير على رسالته فى علم البيـــــــــان
مطبعه فرج الله زكى الكردى بمصـــــر
(٦٤) شـــرح الآمـــل • على صقـــــر • مطبعه النيـــل ١٣٢٦ هـ
(٦٥) الشعر العربى المعاصر • د • عز الدين اسماعيـــــــل
دار الكاتـــــــــب ١٩٦٧

(٦٦) الشعر والشعراء لابن قتيبـــه
تحقيق احمد محمد شاكـــــــــر • الطبعة الثانيه ١٩٦٧م
(٦٧) الصاحبى لابن فـــــــــارس
مطبعة المؤيـــــد ١٩١٠هـ
(٦٨) الصبح البديـــــــــــى د• احمد موســـــى
دار الكاتب العربى للطباعه والنشـــــــــــــر ١٩٦٩
(٦٩) الصناعتين • لأبى هلال العسكـــــــــــــــرى
تحقيق • البجاوى • ابى الفضل ابراهيـــــــم
عيسى البابـــــى الحلبـــى ١٩٧١
(٧٠) الصور البديعيه بين النظرية والتطبيق د • حفنى شـــرف
مطبعه الرسالـــه ١٩٦١م
(٧١) الصور البيانية بين النظريه والتطبيـق د• حفنى شـــرف
الطبعه الاولى ١٩٦٥م دار نهضه مصـــر
(٧٢) الصور الشعرية عند العسرى • عبد الله عووضه حمـــــور
مخطوط بجامعه القاهـــــره رقم ١٦٠٦
(٧٣) الصور الشعرية فى البلاغه والنقد العربى القديم والمعاصـــر
د • احمد درويش • ماجستير مخطوطه بجامعه القاهرة
(٧٤) الصور الفنية عند أبى تمام• د• عبد القادر احمد رباعـــى
رسالة دكتوراه • مخطوطه بجامعه القاهره تحت رقـــم ١٦٤٧
(٧٥) الطراز للامام يحيى بن حمزه العلوى اليمنـــــــــــى
مطبعه المعتطف بمصـــــــــر ١٣٣٢ هـ
(٧٦) عبد القاهر الجرجانـــى • د • احمد بـــــــــدوى
سلسله أعلام العرب • مكتبة مصر ١٩٦٣
(٧٧) عبد القاهر والبلاغه العربيه • د• محمد عبد المنعم خفاجـــى
الطبعه الأولى ١٩٥٢• المطبعه المنيريه بالأزهر
(٧٨) عروس الأفراح • بهاء الدين السبكى • شروح التلخيـــــص
مطبعه السعـــــاده ١٣٤٢هـ

(٧٩) علاقة البلاغة بالنحو عند الزمخشري • تامر سلوم
رساله ماجستير مخطوطه بجامعه القاهره رقم ٢٢٦٤
(٨٠) علم البيان • د • بدوى طبانه
الطبعه الثانيه مكتبه الانجلو المصريه
(٨١) علم البيان • د • يوسف ابوحديد
دار نشر الثقافه ١٩٧١م
(٨٢) العمدة لابن رشيق • تحقيق المرحوم محمد محيى الدين
بيروت • الطبعة الرابعة ١٩٧٢م
(٨٣) عيار الشعر ابن طباطبا
تحقيق طه الحاجرى — محمد زغلول سلام
المكتبه التجاريه ١٩٥٦
(٨٤) فن التشبيه : على الجندى
نهضه مصر الطبعه الأولى ١٩٥٢م
(٨٥) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى • د • شوقى ضيف
لجنه التأليف والنشر • الطبعه الاولى ١٩٤٣م
(٨٦) الفوائد المشوق الى علوم القرآن • للامام شمس الدين ابى عبد الله
المعروف بابن قيم الجوزيه
مطبعه السعادة بمصر ١٣٧١ هـ
(٨٧) فيض الفتاح على حواش شرح تلخيص المفتاح
عبد الرحمن الشربينى • الطبعة الاولى ١٩٠٧م
مطبعه والدة عباس الاول
(٨٨) قدامه بن جعفر ونظرياته البلاغية
رسالة دكتوراه • السيد بشير محمود مخطوطه بجامعة
القاهره رقم ٩٠٧
(٨٩) القزوينى وشروح التلخيص • د • احمد مطلوب
دار التضامن بغداد ١٩٦٧

(٩٠) قضيه الصورة الفنيه فى التراث البلاغى والنقـــــــــــــــدى
رساله دكتوراه للدكتور جابر احمد عصفور • مخطوطه بجامعة القاهره رقم ١١٣٥
(٩١) قضية المجاز فى القرآن عند المعتزله • نصر حامـــــــد رزق
مخطوطه بجامعه القاهـــــــره رقم ٨٥٢
(٩٢) قواعد الشعـــر لابى العباس احمد بن يحيى ثعلـــــــب
تحقيق • د • رضـــــان عبد الوهـــــــــاب
دار المعارف الطبعة الأولـــى ١٩٦٦م
(٩٣) الكامل : ابو العباس المبـــــــرد
المكتبه التجاريه الكبـــــــرى ١٣٦٥هـ
(٩٤) الكتاب • سيبويـــــــــــــه
المطبعه الأميريـــــــــــــه ١٣١٦هـ
(٩٥) الكشاف • الزمخشـــــــــرى
مطبعه دار الكتاب العربى — بيروت
مطبعه المطبعه البهيه المصريـــــه ١٣٤٣هـ
(٩٦) المثل السائر فى أدب الكاتب والشاعر • ضياء الدين بن الاثير
تعليق د • احمد الحوفى • د • بدوى طبانـــــــه
دار نهضة مصر الطبعه الثانيـــــــــــه ١٩٧٣م
(٩٧) مجاز القرآن لأبى عبيده معمر بن المثنـــــــــــــــى
تحقيق فؤاد سزكين • الطبعة الاولـــــــــــى ١٣٧٤هـ
(٩٨) مجالس ثعلـــــــــب • احمد بن يحيى ثعلـــــــب
تحقيق عبد السلام هـــــارون
دار المعارف بمصـــــر
(٩٩) مجمع الامثال للميدانـــــى
تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميـــــــــــد ١٩٥٩م
(١٠٠) مختصر السعد • سعد الدين التفتـازانـــــــــــى
شروح التلخيص — مطبعه السعـــــــــــادة ١٣٤٢ هـ

(١٠١) المطـــول سعد الدين التفتازانـــــــــــــــــى
مطبعه العامـــــره ١٣٣٠هـ
(١٠٢) معالم النقد الأدبى • د • عبد الرحمن عثمـــــــــان
مطبعه المدنـــــى ١٩٦٨
(١٠٣) معانى الشعر • لأبى عثمان سعيد بن هارون الأشنانداني
دمشق • مطبعة الترقـــــى ١٩٢٢م
(١٠٤) معانى القرآن لأبى زكريـــــا الفـــــــــــراء
تحقيق احمد يوسف نجاتى • محمد على النجـــــار
طبعة دار الكتب ١٣٧٤ هـــ
وطبعة الدار المصريه للتاليف والنشـــــر
(١٠٥) المعانى الكبير لابى محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبـــه
مطبعه مجلس دائره المعارف العثمانيه • الطبعه الاولـــــى
(١٠٦) مفاتيح الغيـــب • الفخر الـــــــــــــرازى
المطبعه العامره • الطبعه الثانيـــــه ١٣٢٤ هـ
(١٠٧) مفتاح العلوم لابى يعقوب يوسف بن ابى بكر السكاكـــــى
الطبعه الاولى • مطبعة مصطفى البابى الحلبى ١٣٥٦هـ
(١٠٨) مفتاح الفتاح • قطب الدين الشـــــــــــــيرازى
تحقيق د • نزيه عبد الحميد الســـــيد
مخطوطه بمكتبه كليه اللغه العربيـــــــه
(١٠٩) مقدمه كتاب اسرار البلاغه • د • محمد عبد المنعم خفاجـــى
مكتبه القاهره • الطبعه الاولـــــــــى ١٩٧٢
(١١٠) مناهج تجديد فى النحو والبلاغه والتفســـــــير والأدب
امين الخولى • دار المعرفة ١٩٦١م الطبعه الاولـــــى
(١١١) مواهب الفتاح • ابن يعقوب المغربـــــــــــــى
شروح التلخيص • مطبعه السعـــــاده ١٣٤٢هـ

(١١٢) النقائض بين جرير والفرزدق لأبى عبيـــــــــــــــــدة
مطبعة الصـــــــــــــــاوى ١٣٥٣ هـ

(١١٣) النقد الأدبى الحديـث • د• غنيمى هـــــــــــلال
مكتبة الانجلو المصريـــــــــــة ١٩٧١م

(١١٤) نقد الشعـــــر • قدامه بن جعفـــــــــــــــــــر

(١١٥) نقد الشعر فى القرن الثالث الهجرى • د • الأمين محمدعثمان
رسالة دكتوراه ١٩٧٢ مخطوطه برقـــــــــــــم ٢٣٣٤

(١١٦) النقد المنهجى عند العرب • د • غنيـمى هـــــــــلا ل
مكتبة الانجلو المصريـــــــــــة ١٩٧١م

(١١٧) النكت فى اعجاز القرآ ن لابى الحسن على بن عيسى الرمانـــى
ضمن ثلاث رسائل • تحقيق د • محمد خلف اللـــــــــه
دار المعـــــــــارف ١٩٦٨

(١١٨) نهاية الايجـاز • فخر الـدين الـــــــــــــــــرازى
مطبعة الجوائـــــــــد ١٣١٧هـ

(١١٩) الوسيلة الأدبية • الشيخ حسين المرصفـــــــــــــــــى
الطبعه الاولى • مطبعه المدارس الملكيـــــه ١٢٩٢ هـ

فهرس الموضـــــــوعات

الموضـــــــوع	رقم الصفحة
اهـــداء	
هذا البحث	١
تمهيـــد	٥
الباب الاول :	
الافراد والتركيب قبل عبد القاهر	١٥
القرن الثانى الهجرى	١٦
سيبويـــه	١٦
ابو عبيـــده	٢٠
الفـــراء	٢٧
القرن الثالث الهجرى	٣٤
الجاحـــظ	٣٤
ابن قتيبـــة	٤٠
الاصفهانى	٥٠
المبرد	٥٥
ثعلـــب	٦٢
القرن الرابع الهجرى	٦٧
ابن طبا طبـــا	٦٧
قدامة بن جعفر	٧٠
ابن وهب الكاتب	٧٦
الرمانـــــى	٧٩
ابو هلال العسكرى	٨٥
ابن فـــارس	٩١
الباقـــلانى	٣٣
القرن الخامس الهجرى	٩٩
ابن رشيـــق	٩٩
ابن سنان الخفاجى	١٠٦

الموضـــــــوع	رقم الصفحـة
الباب الثانى : الافراد والتركيب لدى عبد القاهر والمتأخريـــن	١١٠
الفصل الاول : الافراد والتركيب فى التشبيه	١١٠
المبحث الاول : جهود عبد القاهر	١١١
المبحث الثانى : جهود لم تتأثر بالامام	١٢٣
ابن الاثيـــــر	١٢٣
التنوخـــــى	١٢٦
العلوى	١٢٨
ابن قيم الجوزية	١٢٩
المبحث الثالث : جهود تأثرت بالامام	١٣١
المنهج التطبيقى	١٣١
الزمخشـــــرى	١٣١
المنهج التعقيدى :	١٣٦
الرازى	١٣٦
السكاكـــى	١٤٠
مدرسة الخطيـــب	١٤٦
المبحث الرابع : التقييد : نشأته وتطوره	١٥٦
قبل عبد القاهـــر	١٥٦
عبد القاهـــــر	١٥٧
الـــــــرازى	١٥٩
السكـــاكـــى	١٦٠
الخطيب وأصحاب الشـــــروح	١٦١
المبحث الخامس : موازنة بين عبد القاهر واصحاب المنهج التقعيدى	١٦٤
فى التركيـــــب	١٦٤
فى التقييـــــد	١٧٠
الفصل الثانى : الافراد والتركيب فى التمثيـــل	١٨٤

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة
عبد القاهـــــر	١٨٥
الـــــــرازى	١٩٢
السكـــــاكـــى	١٩٤
الشيرازى والخطيب والجمهور	١٩٧
السيد الشريـــف	١٩٩
الزمخشرى وابن الاثير	٢٠٢
الفصل الثالث : التركيب فى الاستعارة التمثيلية	٢٠٥
رأى عبد القاهـــــر	٢٠٦
رأى الزمخشـــــــرى	٢١٢
رأى السكـــــــاكـى	٢١٧
رأى الخطيـــــــب	٢١٩
بين السعد والسيـــــد	٢٢٠
المناظرة بين السعد والسيد	٢٢٣
رأى الباحث فى المناظرة	٢٢٨
المولى خسرو ودفاع عن السعد	٢٣١
الانبابى ورأيه فى التركيـــب	٢٣٢
رأى العصام فى التركيـــــب	٢٣٣
خاتمـــــــة	٢٣٦
المصادر والمراجـــــع	٢٣٨
فهرس الموضوعـــــات	٢٤٨